الأدب الإسلامي

٩٤

مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية - العدد (٩٤) - ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

قصور المناهج النقدية الغربية وأبرز المآخذ عليها فنياً وفكرياً

د. زينب بيره جكلي

أبو الحسن علي الندوي رائد النقد الموضوعي للأدب الإسلامي

عبدالوهاب الدويري

البوح لوليد قصّاب والغوص في قيم الأدب الإسلامي

فرج مجاهد عبدالوهاب

دلالة السؤال في ديوان ثلاثية الغيب والشهادة لحسن الأمراني

د. عمر الملاحي

الشيخ أحمد بن محمد باجنيد في عيون الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الفنّ والدّين

إن الفنّ الإسلامي ليس حقائق مجردة باهتة عن الكون والإنسان، ولا هو يقدِّم حقائق العقيدة في صور مواعظ وإرشادات، وأوامر ونواهٍ كما يحسب قوم، ولكنه التعبير الجميل عن هذا كلّه، وهو بذلك يجمع بين الحقّ والجمال، وهو بذلك ينفع ويُمتع، ويطوي تحت جناحيه البهجة واللذة مع الصِّدق والخير.

إن الدين يسمو بالنفوس روحياً وجسدياً، وهو لذلك يبثّ في الأدب روحا طيبة تفيض بالمحبة والسلام، والتآخي والشفقة والرحمة.

إن الدين يلهم الأدب موضوعات تتّسم بالسمو والخلود، وليس صحيحاً أنه يضعفه أو يليِّنه كما زعم الأصمعيّ ومن ذهب مذهبه.

وإذا كانت الدنيا قد استحوذت على اهتمام عدد كبير من الأدباء، فأقبلوا يصوّرونها بما فيها من مباهج ولذات، وزخارف ومنكرات، ولم ينكر عليهم قوم كثيرون ذلك؛ أفليس - من تعدّد أطياف الحياة، وتلون صورها وأشكالها، ومن المصداقية والواقعية كذلك - أن ينهض قوم من الأدباء ليقدِّموا لنا جوانب من الحياة الدينية؟

لماذا يصّر قوم من الأدباء والنقاد ألا يصوّر الأدب إلا الدنيا وحدها؟ أليس للدّين - الذي به قِوام أمرنا - أي حظ في حياتنا؟ إن من واجب الأدب أن يصطبغ بالدين، وأنَ يتدثر بطهارته؛ لكي يسمو بنفوسنا قليلاً، لكي يرتقي بها مع معارج السمو بعد أن هوت في حضيض الشهوات، ومستنقع المصالح والماديات.

إن الفن والدين - كما يقول توفيق الحكيم: «ينبغي أن ينطلقا من مشكاة واحدة، هي ذلك القبس العلويّ الذي يملأ الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان.. لا بدّ للفن أن يكون مثل الدين قائماً على قواعد من الأخلاق. «فن الأدب: ص٧٢».

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٤) العدد (٩٤)
رجب - رمضان ١٤٣٨هـ
نيسان (أبريل)- حزيران (يونيو) ٢٠١٧م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٢٧٤٨٢
٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٦ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو ما يعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. محمد صالح الشنطي

د. محمود محمد أسد

د. محمد عمارة

مصطفى عكرمة

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، وألا يزيد على عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

الدراسات

❖ **الافتتاحية:**
- الفنّ والدينّ — مدير التحرير — ١
- قصور المناهج النقدية الغربية وأبرز المآخذ عليها فنيا وفكريا — د. زينب بيره جكلي — ٤
- أبو الحسن علي الندوي رائد النقد الموضوعي للأدب الإسلامي — عبدالوهاب الدويري — ١٨
- دلالة السؤال في ديوان ثلاثية الغيب والشهادة لحسن الأمراني — د. عمر الملاحي — ٣٤
- رحلة الشاعر الحطيئة من النار إلى النور — د. أحمد يحيى علي — ٣٨
- البوح لوليد قصّاب والغوص في قيم الأدب الإسلامي — فرج مجاهد عبدالوهاب — ٤٨
- معالم دمشق الإسلامية في الديوان الدمشقي — د. محمود محمد أسد — ٥٦

❖ **الورقة الأخيرة:**
- كلمة الأدب ودلالاته — د. عبدالباسط بدر — ١١٢

نصوص إبداعية

- ودعت دنياك - شعر — د. حيدر الغدير — ١٦
- رجل الوفاء - شعر — د. وليد قصاب — ١٧
- على لسان التراب - خاطرة — غياث الإسلام الصديقي — ٢٤
- البرُّ أنت - شعر — حسين محمد باجنيد — ٣٢
- وفيت أبا الوفاء - شعر — د. أحمد بن يحيى البهكلي — ٣٦
- وفاء الوفاء - شعر — د. عمر خلوف — ٣٧
- نداء القدس - شعر — د. مصطفى عبدالفتاح — ٤١
- حكاية أديب - قصة — سماح أحمد باديان — ٤٢
- في وداع الشاعر الكبير فيصل الحجي - شعر — عبدالعزيز صالح العسكر — ٤٧
- لن أنحني - شعر — عبدالحميد ضحا — ٥٥
- حوار في بهو السباع - شعر — د. عبدالرزاق حسين — ٦٥
- شقيقة بغداد - نثيرة — هاجر سالم مسلم — ٦٦
- قبل الجنون - قصة — ابتسام شاكوش — ٧٦
- أحزان ضمير الغائب - شعر — عبدالجبار الربيعي — ٧٨
- وصايا شياطين الإنس - شعر — عاطف عكاشة — ٧٩
- رحلة في المنزل - مسرحية شعرية — مصطفى عكرمة — ٨٠
- لماذا يا سومبك؟ - خاطرة — ليلى عبدالرحمن الموسى — ٨٦
- ذات حياة - قصة — د. منى محمد العمد — ٩٢
- على بوابة الأقصى - شعر — د. نصر عبدالقادر — ٩٤
- عودة لا بد منها - قصة — شعبان جادو — ٩٦
- أشكو زماني - شعر — نوال مهنى — ٩٧
- منى وحبة الحصى- خاطرة — عاتكة أبو السعود — ٩٨

الأبواب الثابتة

لقاء العدد:
- مع الدكتور محمد صالح الشنطي — حوار: التحرير — ٢٦

❖ **من تراث الأدب الإسلامي:**
- ترفع - شعر — مسكين الدارمي — ٥٤

❖ **من ثمرات المطابع:**
- رحلة نصف قرن - ديوان شعر لمحيي الدين عطية — د. محمد عمارة — ٦٨

❖ **رسالة جامعية:**
- الشعر الموافق للأدب الإسلامي.. أمية بن أبي الصلت نموذجاً — هيفاء غازي المطيري — ٨٨

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**
- الوطن في الشعر السعودي المعاصر، تأليف عطا الله الجعيد — عرض: محمد عباس عرابي — ١٠٠

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٢

قصور المناهج النقدية الغربية

وأبرز المآخذ عليها فنيّاً وفكريّاً

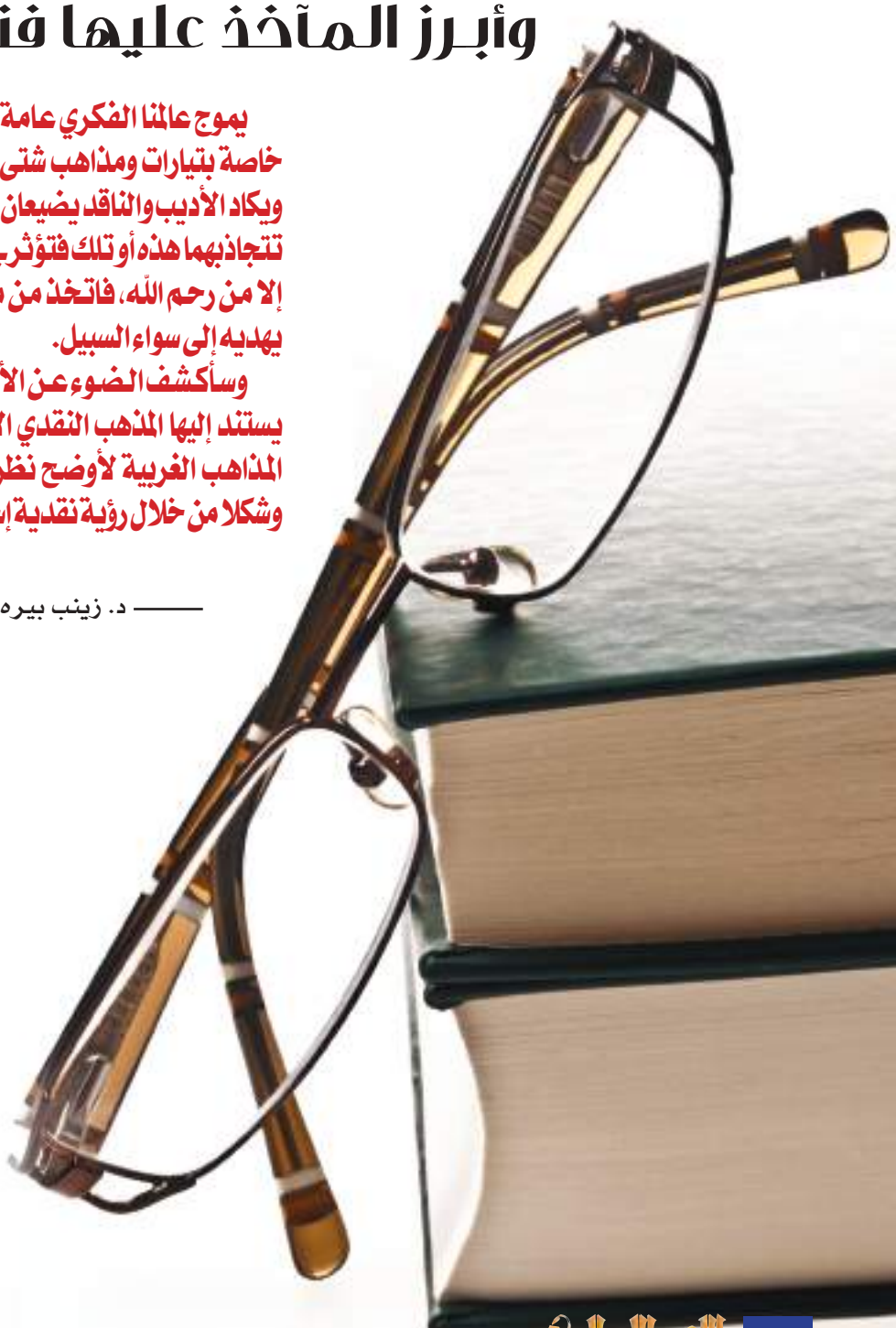

يموج عالمنا الفكري عامة، والأدبي والنقدي منه خاصة بتيارات ومذاهب شتى، ما صلح منها وما فسد، ويكاد الأديب والناقد يضيعان في زخم هذه التيارات، إذ تتجاذبهما هذه أو تلك فتؤثر في إنتاجهما سلبا أو إيجابا إلا من رحم الله، فاتخذ من مبادئه وهويته نبراسا يهديه إلى سواء السبيل.

وسأكشف الضوء عن الأصول الفلسفية التي يستند إليها المذهب النقدي الإسلامي، ثم أنطلق إلى المذاهب الغربية لأوضح نظرتها إلى الأدب مضمونا وشكلا من خلال رؤية نقدية إسلامية.

د. زينب بيره جكلي-سورية

أولًا: المذهب الإسلامي للنقد الأدبي:

ويستند إلى أصول فلسفية نبعت من الإسلام وهي:

أ-الربانية: وتعني أن تكون غاية الأديب والناقد إرضاء رب العالمين، لأن الإنسان لم يخلق عبثا، وعليه أن يخضع أهواءه ورغباته لنظام وشرع خطه بارئه تعالى، الذي أكمل دينه للبشرية لينقذ العباد من الوثنية وانحرافاتها ظاهرة كانت أم باطنة.

ب- الإنسانية: فالناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وأكرمهم عند الله أتقاهم، والإنسان مخلوق مكرم، برأه الله في أحسن تقويم، ومنحه العقل والإرادة، وهداه السبيل، واستخلفه في الأرض وطلب منه أن يتقرب إليه بلا واسطة، وهو على أي حال ليس ندا لله تعالى.

وهذه البديهيات لا يدركها كثير من أصحاب النظريات التي يؤله بعضها الإنسان، أو ينحط به إلى درجة الحيوانية.

ج- الشمولية: شريعة الإسلام شاملة للحياة أفرادا وجماعات، وفي جميع مراحل أعمارهم، كما تشمل جوانبها السياسية والاجتماعية والفكرية، وللناس طرا صغيرهم وكبيرهم، وفي جميع مراحل العمر، وفي الأمكنة والأزمنة كلها، ولكلٍ نظامٌ واضح في الإسلام.

د- الوسطية أو التوازن: فلا جموح بها إلى اليمين ولا إلى اليسار، ولا إلى فردية متطرفة أو جماعة ما إن كانت تخالف الإسلام.

هـ - الواقعية: وليست هذه كالواقعية المادية الغربية، وإنما هي واقعية الإنسان بخيره وشره، الذي تنتهي حياته بالموت وبعدها يوفى ما كسب في اليوم الآخر، واقعية يتعايش فيها الناس من غير جنوح إلى مثالية خيالية وهمية، ولا انحدار في حمأة المنكر والرذيلة.

و- الوضوح: في الأصول العقائدية والأخلاقية والتشريعات، وفي الهدف والمسلك والغاية مع الثبات على الحق في مرونة لا تتخطى الثوابت. بينما تفتقد الأنظمة البشرية هذا الوضوح وإن كانت أصولها واحدة، فالاشتراكية في فرنسا غيرها في البلاد العربية[1].

ز- الجمع بين الثبات والمرونة: الثبات في المصادر وفي الأسس والأصول، مع المرونة في التشريع فيما لم يأت به نص قاطع.

وفي ضوء هذه الخصائص يتحرك كل من الأديب والناقد.

فالأدب في المنهج الإسلامي «تعبير فني هادف عن الكون والإنسان والحياة وفق التصور الإسلامي»[2]، وبذلك يدور الأديب والناقد الإسلاميان مع الإسلام حيث دار، ويصدران عنه قولا وعملا في أي بقعة أو زمان، ساعيين نحو عالم أفضل يحكم بشرع الله وهداه[3].

أ-فمضمونه يتحدث عن الكون على أنه آية من آيات الله الكبرى، سخره الله لخدمة الإنسان ليكون عمله تبعا لما يرضي مولاه.

والإنسان جسد وروح، عقل وعاطفة، ولا صراع بين الإنسان والطبيعة.

والحياة في المنظور الإسلامي: هي دنيا وأخرى، يسير في الأولى نحو هدفه الأسمى دون أن يحرم من نعيمها، ويتآخى مع أخيه المسلم لإقامة خلافة الله في الأرض مهتديا بدستور القرآن الكريم، وهو في خضم الحياة ومعتركها يشعر بالعزة ولا يستكين إلا لرب العالمين، ينقض على الطغيان كالبركان، ويسير بخطى متفائلة لا متشائما ولا يائسا، وهو

لا يدع مجالا من مجالات الحياة دون أن تنفعل نفسه به، ويعبر عن تجربته الشعورية مستنهضا الهمم الخاوية ليغير التغيير المنشود، ويشارك الأدب والنقد الإسلامي الأمة في مصائبها وهو يرى في نزعة إنسانية إيمانية أن المسلم في كل بقاع الأرض أخو المسلم.

ولم ينس الأديب والناقد المسلم الدار الآخرة، فهي الحياة، وهي المرتجى، ولذلك فهو يسعى نحوها في مسيرته الدنيوية.

وبهذا يفتح المذهب الإسلامي في الأدب والنقد آفاقا رحبة يجول فيها كل منهما ويصول في عالمي الأرض والسماء، ملتزما في مسيرته الطويلة تعاليم الإسلام، يعبر عن تجاربه الذاتية فيقدم عصارة جهده ﴿...كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...(٢٥)﴾ (إبراهيم).

ب- أما نظرته إلى الشكل الفني: فهو يتطلب الجمال الفني والموضوعي معا للحفاظ على الهوية الإسلامية، ولتصحيح مفاهيم الغرب في مضمون الأدب وشكله، ولتوجيه من يقبس منهم الوجهة الرشيدة لينقذوا البشرية من أزمات الحضارة المادية.

كما يرفض المذهب الإسلامي استخدام المصطلحات الأجنبية التي لها بدائل بالفصحى، ويدعو إلى تعريب الأجنبية منها.

أما موقفه من الرمز فإنه لا يعارضه ما كان شافّا لا غامضا؛

لأن الغاية من الكلمة الإفهام، وانغلاق المعنى يقطع الصلة بين الأديب والمتلقي فيهدر بذلك رسالة الكلمة والغاية من الفن[٤]، وليس معنى هذا أن يعمد الأديب إلى الوضوح المبتذل أو إلى السطحية، بل إن التعبير المجازي أسلوب عربي قديم.

ومع هذه السعة فإن فريقا من المعارضين للمذهب الإسلامي اتهموه بالسطحية والفقر الإبداعي، وعدم مواكبة الحضارة المعاصرة، وهؤلاء أحد رجلين: إما أنهم لم يتعرفوا على هذا المذهب وخصائصه لأنهم لم يقرؤوا عنه، ولم يسبروا أغواره في المضمون والشكل[٥]، وإما أنهم ينظرون إلى الأدب العربي ومدارسه النقدية بمنظار غربي يجعلهم يرفضون أو يستهينون ما عداه.

ثانيا: المذاهب النقدية الغربية برؤية إسلامية:

وهذه المذاهب النقدية تقوم على أسس ومنطلقات نبعت من بيئة غير بيئاتنا، واعتمدت على قيم غير قيمنا، وسأوضح هذا من خلال رؤية إسلامية لها:

١- المذهب الاتباعي «الكلاسيكي»:

وهو مذهب تعود جذوره إلى الفلسفة الإغريقية الوثنية، ويدعو إلى محاكاة الأدب الإغريقي، وهو يقدس العقل، وينظر إلى الطبيعة الإنسانية نظرة مثالية، ويتوجه إلى الطبقات العليا في المجتمع، بل إن لافونتين سمى الطبقة الفقيرة

حاملة خطايا العالم، كما أنه يعلي من شأن الشكل في النص الأدبي دون أن يهمل المضمون، بل يرى أن الشعر ما أمتع وعلم معا. ويكثر في أدبه مصطلحات وثنية مثل إله الشعر، وربة الشعر، وعشتروت...

وهذا المذهب أو المدرسة النقدية يخالف الإسلام في:

١- تقديس العقل، وجعله مصدر القوانين؛ لأن تشكيلة العقل الوثني مبنية على فكره.

٢- وهو ينظر إلى الإنسان نظرة مثالية، بينما ينظر الإسلام إلى الناس نظرة واقعية لا مثالية فهم بين الخير والشر يصطرعون.

٣- ويخالفه أيضا في نظرته إلى الطبقات مع الاهتمام بالطبقة العليا لأن الإسلام سوى بين الناس، وجعل أكرمهم أتقاهم، ولم يحمل أحدا خطيئة لم يرتكبها.

وأما تطبيقات هذه المدرسة في البلاد العربية فكانت محاكاة للأدب القديم وعودة إلى ماضينا المجيد، ودعوة إلى المحافظة على جمال اللغة العربية، ولكن تسربت إلى بعض آدابها ألفاظ الوثنية الإغريقية.

وخير ما يمثلها في أدبنا العربي شعر أحمد شوقي فقد حاكى قصائد الشعراء العرب البحتري والمتنبي وابن زيدون[٥]، وتحدث عن الماضي المجيد للعرب والإسلام، لكنه ذكر عهد الفراعنة في قصيدته «كبرى الحوادث في وادي النيل»، وأشاد بحضارتهم

أحمد شوقي

إيليا أبو ماضي

وعظمائهم، ومجد عظماء الغرب في قصائد أخرى مثل فيكتور هيجو، وتولستوي، ونابليون بونابرت، من ذلك قوله في الفراعنة:

إيه سيزوستريسُ ماذا ينال الـ
وصفُ يوماً أو يبلغ الإطراءُ
كبُرت ذاتُك العليّةُ أن تُحـ
صي ثناها الألقابُ والأسماءُ
ولك المنشآتُ في كل بحر
ولك البرُ أرضُه والسماءُ[٧]

ولا أظن مسلماً يرضى أن يمدح ملحدٌ بأن ذاته علية، وقد كبرت أن يحصي ثناها الألقاب والأسماء، وأن ملكه بلغ الأرض والسماء!!.. هذه مغالاة وانحراف عن الإسلام من أمير شعراء هذه المدرسة في شعرنا العربي الحديث، وكان قوله هذا بتأثير هذه المدرسة ومحاكاتها للقدامى مضمونا وشكلا.

٢- المدرسة الإبداعية «الرومانسية»:

جاءت هذه ردة فعل لجموح المدرسة الاتباعية إلى العقل، فدعت إلى الفردية وإحلالها محله لكنها تطرفت في إعلاء شأن العاطفة، وأكثرت من التهويمات الخيالية، ورفضت ربط الأدب بغاية خلقية، فمهدت السبيل لظهور مدرسة الفن للفن، ودعت إلى تحرر الإنسان من كل قوانين خارجة عنه، بل حاربت الدين، وبَعُد أتباعها عن الواقع فهربوا إلى الطبيعة أو إلى ما وراءها بخيالهم، وتوجهوا إلى الأساطير والأوهام أو حتى إلى الانتحار، ودعوا إلى العزلة، وكثر عندهم القلق والتشاؤم والسلبية في

الحياة، وجنحوا في آدابهم نحو المجون.

وهذه المدرسة يرفضها الإسلام لمخالفتها مبادئه وأصوله، فأصحابها تفلتوا من عقال الدين، وكثر لديهم الشك في العقيدة، وقصيدة الطلاسم لإيليا أبي ماضي خير مثال لها.

ويقول فوزي المعلوف في شك مماثل:

حياتك شك وموتك شك
فلَنَعْمُرِ الشك بالمدام

كما كثر عند أتباعها الحديث عن المجون، وتمجيد الخطيئة، وتسميتها بغير أسمائها على نحو «المومس الفاضلة، زهور الشر، وصلوات في هياكل الحب...» وهاجم بعضهم اللغة العربية، وكلمة جبران خليل جبران «لكم لغتكم ولي لغتي» معروفة شهيرة، لكن بعض الرومانسيين العرب كانوا مع أمتهم إذ صوروا جرائم المعتدين عليها، ومن هؤلاء أبو القاسم الشابي.

٣-مدرسة الفن للفن «البرناسية»:

ظهرت في القرن التاسع عشر متأثرة بفلسفة أرسطو التي تدعو إلى استبعاد الشعر عن الأخلاق، كما تأثرت بفردية المدرسة الإبداعية فنادت بالخروج عن مبادئ المجتمع ومعتقداته وأخلاقه، وأعطت للأديب حرية القول إن حقق جمالية التعبير، لأن الغاية من الأدب برأيها هي الإمتاع وتغذية النفس لا التعليم ولا التهذيب[٨].

وهذا التطرف في الفردية والجمالية والحرية انحرف بها عن جادة الصواب، وجعل أتباعها ينجرفون وراء تصوير الشهوات،

أبو القاسم الشابي

وهذا ما لا يرتضيه الإسلام، فقد أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دم كعب بن الأشرف لأنه شبب بنساء المسلمين فقتل.

«وقتل عمر رضي الله عنه سُحَيْما عبد بني الحسحاس لتشبيبه بامرأة معروفة، وندد أبو عمرو الشيباني والأصمعي والآمدي بشعر أبي نواس والمتنبي لما فيهما من رفث ومخالفات شرعية. أما الجرجاني في قوله: «فلو كانت الديانة عارا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين... ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»؛ فقد أراد منه إعلاء شأن الفنية لا إهمال المضمون». والأدب الإسلامي تعبير فني جمالي، لكنه أيضا هادف، ومعيار السمو في الآثار الفنية ما توحي به من فضيلة.

ويقف أصحاب هذه المدرسة موقفاً سلبياً تجاه قضايا الأمة، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[٩].

٤-المذهب الواقعي:

ظهر في القرن التاسع عشر أيضا، وجاء ردا على تطرف المدرستين الإبداعية ومدرسة الفن للفن في سلبيتهما تجاه قضايا المجتمع، وهو على ثلاثة أنواع: الواقعية النقدية، والطبيعية، والجديدة أو الاشتراكية.

أ- فالواقعية النقدية:

دعت إلى أن يكون الفن للحياة، بمعنى أن يعمد الأدب إلى تحرير الإنسان من الواقع الأليم، ويختار الواقعيون مادة تجاربهم الأدبية من مشكلات العصر، وشخصيات

قصصهم من الطبقة الفقيرة والوسطى، وهذه المدرسة تركز على سلبيات الحياة وعلى الحديث عن شقاء الإنسان ولا سيما المرأة.

ومن أدبها في بلادنا العربية قصة البؤساء المترجمة من حافظ إبراهيم، إذ صورت نظرة المجتمع السلبية إلى الإنسان المذنب، وعدم الصفح عنه على الرغم من توبته، خلافا لما في الأخلاق الإسلامية المتعلقة بالتائب، ورواية شاهندة لراشد عبد الله التي تتحدث عن مشاكل الخدم وخيانة المرأة[١٠].

ويرى الإسلام أن التركيز على الشر ونشر الفساد والمجون قد يؤدي إلى إحساس باللامبالاة تجاهه وهذا يؤدي إلى انتشاره، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، (النساء: ١٤٨)، فضلاً عن أن الحديث عن معاناة المرأة والطلاق والتعدد أدى إلى النفور من التشريع الإسلامي تجاه المرأة، مع أن الإسلام من تصويرهم بريء، وإكرامه للمرأة لا يساويه أي قانون وضعي.

ب-الواقعية الطبيعية:

وهذه تنفي عن الإنسان حرية الإرادة فهو بزعمها- متأثرة في ذلك بداروين وفرويد- حيوان بشري، ولا أثر للدين في حياته، والظواهر الروحية والفكرية والأخلاقية ما هي إلا مركبات كيماوية قابلة للتحليل، ولا رادع للمرء لا من دين ولا قانون ولا قيم، وتصرفاته ناجمة عن غرائزه وحاجاته الطبيعية. يقول

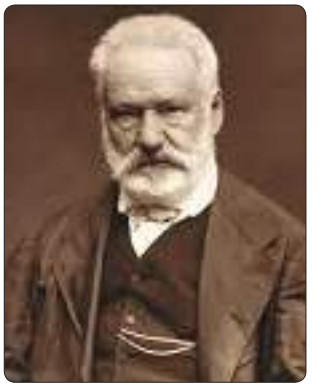

زعيمها إميل زولا في روايته (تيريز راكان): «لقد اخترت أشخاصا تسيرهم أعصابهم ودماؤهم، وأشخاصا تجردوا من الإرادة الحرة وانقادوا في جميع أفعالهم لأقدار كيانهم العضوي، إنهم حيوانات بشرية الروح غائبة عنهم نهائيا».

وقد ظن أصحابها أن ما يأتي به العلم لا يتطرق إليه الشك، ولذلك عارضوا عقائدهم مما أدى إلى تمزقهم، ومبادئها تخالف الإسلام مخالفة صريحة، ولذلك بدت عند الكتّاب انحرافات خلقية وجنسية وصراعات طبقية، وكفر وإلحاد، إضافة إلى أن تآليف معظمهم كانت بالعامية، وفي هذا هدم للغتنا وهويتنا[١١].

ج- الواقعية الجديدة أو الاشتراكية:

وهذه نكسة أخرى في تاريخ الأدب، إذ فتحت المجال على مصراعيه للثورة على الدين، وهي تدعو إلى تغيير المجتمعات وقيمها لتستمد مبادئها من موسكو الشيوعية التي تعتقد أن (لا إله والحياة مادة)، و(الدين أفيون الشعوب)، وتقوم مبادئ هذه الواقعية على:

أ- الحياة مادة ولا وجود للإله أو لسلطته على الأقل في الأرض. وهي متأثرة في ذلك بالأفكار الماركسية، ولذلك ترى الحياة صراعا، والسلطة فيها للإنسان، وهذا يؤدي إلى التكالب على المادة بأي شكل من الأشكال. بينما

يهتم الإسلام بالمادة والروح، والسلطة فيه للقانون الإلهي الذي وضعه المولى تعالى خالق البشرية العالم بما يصلح لعباده. وهذا ما يجعل الأديب في ظلال الإسلام يحس بالطمأنينة.

وفرق بين أديب يشعر بالتبعية لجماعة متطرفة تنقصها الخبرة بالنفوس البشرية مما يجعل موازينها متعرضة للتغيير حسب الظروف، وآخر يشعر بالانتماء إلى شرع صادر من خالق الناس الذي هو أعلم بما يصلح لهم.

٢- تهتم بالطبقة الكادحة، وتعيش في صراع لا تآخيَ معه مع ذوي الطبقة الغنية، وكان العقاد يسمي أدب هؤلاء «أدب البطون الجائعة»، لأن موضوعاتهم حصروها في الفقر والغنى، والإسلام يشجع الأغنياء على مساعدة الفقراء، ويضع في الوقت نفسه أمام الأغنياء واجباتهم التي فرضها الله سبحانه دون أن يورث حقدا أو صراعا، والدولة تكفل حق هذا وذاك ماديا ونفسيا.

٣- تلزم الناس على اعتناق مبادئها كما تلزم الأدباء على أن يكونوا بوقاً لها، ولا حرية إلا لمن يعتنق هذه المبادئ، ولذلك يكثر النفاق في المجتمع، وفرق بين الإلزام القسري عندها، والالتزام بالإسلام الطوعي وبدافع إيماني يجعله يؤدي دوره بالكلمة الطيبة، وحرية العباد مكفولة في ظلال الإسلام، و﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ... (٢٥٦) (البقرة)، كما قال تعالى.

عباس محمود العقاد

٤- انتماؤها للجماعة يلغي الفردية، ولهذا فلا توازن فيها كما هو الحال في المذهب الإسلامي الذي يحافظ فيه المرء على ذاتيته وعلى متطلبات الجماعة معا.

٥- تنظر إلى الواقع بمنظار أسود، وتدعو إلى الثورة عليه لتحقيق المبادئ، وهي ثورة متفائلة بانتصارها ولو بقوة السلاح[١٢]، بينما ينظر الإسلام إلى الواقع بنظرة إيجابية متفائلة لا سلبية قاتمة.

٦- أدى حربها للدين إلى انغماس الأدب في الشهوات تحت تأثير أفكار دارون المادية، وفرويد المتعلقة بالكبت الجنسي، وهذا كله يرفضه الإسلام.

٧ - واهتمت بالمضمون على حساب الشكل الفني، والأدب الإسلامي تعبير فني هادف[١٣].

ومن الغريب أن يجمع د. نسيب نشاوي بين الواقعية النقدية الجديدة الاشتراكية وبين المذهب النقدي الإسلامي، ويسميه الواقعية الإسلامية، وحجته في ذلك أنهما تتحدثان عن الواقع وتلتزمان الدعوة إلى التغيير[١٤]، ولكن يوجد فرق بين تغيير للخير والصلاح بمنهج رباني، وتغيير للإلحاد والمجون. وبين التزام إسلامي نظيف يحس المرء في ظلال آدابه بالطمأنينة والراحة، وإلزام قسري يولد الصراع والحقد، وينشر الضغينة بين أبناء المجتمع الواحد فتكثر بذلك الجرائم والأمراض والعقد النفسية.

٥- المدرسة الرمزية:

تعود هذه المدرسة في مبادئها إلى المدرسة الأفلاطونية التي

تنكر المحسوس لأنه برأيها صورة محسوسة لحقائق مثالية غير محسوسة، كما تأثرت بفرويد في حديثه عن العقل الواعي وغير الواعي، إذ تعد الأول محدودا والآخر رحبا، وأن العالم الخارجي الواقعي ليس جديرا بأن يكون مجالا للشعر، ولهذا فهي تعتمد على العقل اللاواعي، ومن هنا باتت لغتها تلمح ولا تصرح لأنها تنقل بشكل إيحائي ما في خاطر الإنسان، وهذا يؤدي بها إلى تفسيرات متعددة للنص الواحد، لأن اللغة خرجت من قبضة العقل الذي يعتمد على الإيضاح، إلى قبضة اللاوعي والإيحاءات التي تعتمد على الغموض والضبابية، وترد عند أصحابها رموز تاريخية وأدبية وطبيعية، وتتجمع الصور وتتكاثف في آدابهم، ويختلط فيها الشعور باللاشعور، وتحتمل تأويلات متعددة، وقد أمعن بعضهم في الغموض حتى قال محمود درويش:

طوبى لشيء غامض
طوبى لشيء لا يفهم.[١٥]

ومن أمثلة أدبها قصص علي أبو الريش مثل ثنائية الحب والغضب، ونافذة الجنون، وتل الصنم، وبعض قصص زكريا تامر.

والإسلام يحارب تطرف هذه المدرسة لاعتمادها على الإيحاءات والغموض، كما ينكر أن تتحول اللغة عن مدلولاتها المعجمية لأن هذا يؤدي إلى دمارها، لكنه في الوقت نفسه لا يعارض الرموز الشافة عن

زكريا تامر

محمود درويش

المعنى إن كان مضمونها إسلامياً، ويكثر الرمز عند متصوفة العرب ومُجّانهم في العصر الحديث.

٦- المدارس الحداثية:

وهي كثيرة جمعتُها تحت هذا العنوان لتشابه فكرها ونتاجها الأدبي والنقدي، إذ انضوى تحتها جميع التغريبيين الماديين من فرويديين وداروينيين وماركسيين وديمقراطيين، وكان الجامع بينهم شهوة محاربة الدين وتقاليده وتراثه، يقول غالي شكري: «الحداثة تتخذ من الغرب إطارا مرجعيا لها»، وهي «نظرة مادية تقوم على هدر القيم والعادات والأديان والتراث، واللغة والأعراف الموضوعية والفنية جميعها، إنها هدم للهدم، وتغيير للتغيير»، لا للبناء. ويقول تزارا أحد فلاسفتها: «الوطن والعائلة والأخلاق والفن، والدين والحرية والأخوة كانت تعتبر قديما جوابا للحاجات الإنسانية، وفي يومنا هذا لم يبق منها إلا هيكل عظمي من الاتفاقات والاعتبارات، هناك عمل تهديمي كبير ينبغي أن يتم، لابد من التكنيس والتنظيف»[١٦].

وأبرز مدارسها هي:

أ-الوجودية:

وتدعو إلى الحرية المطلقة، وتقول: إن الإنسان هو المسؤول عن تصرفاته ومصيره، ولا دخل لأحد حتى الله فيها، وبذلك تبطل دور الله سبحانه، بل إنه برأي زعيمها سارتر: «خرافة ضارة»، ويزعم هذا أن الإنسان موجود فيما يفكر فيه، معتمدا على فلسفة ديكارت

الذي يقول: «أنا أفكر فإذاً أنا موجود.» وبذلك ينحصر وجوده بتفكيره لا بخلق الله سبحانه له، وهي تدعو إلى أن يتخلص الإنسان من كل موروث ليحقق ذاته، وهذه الوجودية أدت بأفكارها وجحودها إلى انغماس الناس في الشهوات.

ومن دعاتها في أدبنا العربي د.بدوي، وهو لتصوفه يربط بينها وبين وحدة الوجود عند المتصوفة، ويدعو إلى الكتابة عن الموت والخطيئة بعيدا عن الفكر الديني، لأن الإنسان – بزعمه – يجب ألا يتملق الدين أو الأخلاق، وألا يلتزم بلغته لأنه حر يكتب باللغة التي يريد.

وكفى بهذه الضلالات شاهدا على ضرورة محاربتها وآدابها.

ب-المدرسة الدادية:

وهذه لا تضبط بعقل، ولا مقاييس لأدبها أو لغته، ويقول زعيمها سوبو: «ضع الألفاظ في قبعة ثم أخرج ما يعن لك».[١٧] وإهمالها للحواس وللقواعد وللّغة يجعلها عبثية جنونية، والأديب المسلم يرفض العبثية.

ج- مدرسة اللامعقول:

وهذه ترى أن العالم لم يعد يحكم بنظام ولا بمنطق، فليكن الأدب مرآة لهذا اللامعقول، ولذلك لا يلتزم أصحابه في آدابهم بزمان ولا بمكان، ويجمعون بين المتناقضات[١٨]. والإسلام يريد من الأديب أن يكون واعيا، وأن يتصرف بحكمة لا أن يخبط خبط عشواء؛ إلا إن كان اللامعقول سبيلا للمعقول كما في مسرحية

د. عبدالرحمن بدوي

عمر الأميري

خيوط الذهب التي نقدت تسلط الحكام ونفاق الحاشية.

د- نظرية التلقي:

وهي تدع للمتلقي أن يشارك في النص فيكمل فراغات تترك فيه ليملأها بما يشاء، وبذلك يفسر كل قارئ النص كما يريد. ومن أمثلتها قول أدونيس:

« تحبل النار... أيامي....
... أنثى دم تحت نهديها
..... صليل.....
والإبط آبار دمع
... نهر تائه
وتلتصق الشمس عليها كالثوب
تزلق
... جرح فرعته وشعشعته بباه
وبهار
هذا جنينك؟ أحزاني ورد»

وصار النص بعد ملء الفراغات:

« تحبل النار... أيامي
أيامي أنثى صليل (تحت
نهديها) والإبط آبار دمع
أيامي نهر تائه
وتلتصق الشمس عليها كالثوب
تزلق
أيامي جرح فرعته وشعشعته
بباه وبهار
(هذا جنينك؟) أحزاني ورد».[١٩]

وقد أثبتت التجارب أن هذه النصوص غامضة لا جدوى منها، وهذا ما يجعلها عبثا لا يرضاه المسلم في حياته.

هـ-المدرسة الطليعية:

وهذه تستعين في نصوصها برسوم وأرقام وأشكال حروف،

وقد لا يكون لقصائدها معنى لأنها لا تعتمد على الترابط اللغوي والنحوي، وهي تدّعي أنها بهذا تتخلص من الجمود التعبيري، وهذه مهزلة أدبية ولغوية، وليست فنا على الإطلاق. وقد أدانها جميع النقاد، وعدوا إنتاجها عملا جنونيا.

وممن كتب فيها أدونيس مقلدا شاعرا فرنسيا كان يلهو بعلبة سجاير، ويرسم أشكالا، ويكتب شعرا، ثم أرسل العلبة إلى جنود فرنسيين في الحرب، فاستحسنوا فعله، ونشروا عبثه على أنه أدب جديد، بل طليعي!.. فقلدهم أدونيس في ذلك تقليدا أعمى فكتب:

« ١٩٣٠ الشمس قدم طفل
عرفت أقل من امرأة
لأنني تزوجت بأكثر من امرأة
الزواج غبار
لكن
مثل يرقة تتحول إلى فراشة
١٩٣٣ نبتة تشعل قنديلا
١٩٤٠ طفل يعد الغيم ينتظره
الحريق
١٩٥٠ تمطر في أنحاء أخرى
ستحظى بينابيع يأخذها
غيرك
الجسد أطول طريق إلى
الجسد

و-المدرسة التفكيكية:

وتقوم على إسقاط القيم والموروث الديني، وتنتمي إلى الخلخلة والتشويش والتشبث بما هو غير مستقر ولا ثابت.

ز-المدرسة السريالية:

وهذه تشبه سابقتها إذ تدعو إلى التحرر من العقل الذي تعده زيفا، وتعد الإنسان حيوانا بعيدا عن اليقظة، وتهتم بكل شاذ وبحالات الجنون، لأن الجنون -

محمود حسن إسماعيل

بزعمها - يحرر صاحبه من وطأة العالم الخارجي، وتسفه عالم الأحياء الذين أخلدوا إلى الدين والمنطق والعقل، والأعراف والحس والمادة، وترى أن العقل والمنطق عدوان للفن، وتنكر أساليب اللغة وقواعدها في التفاهم، وترى فيها رقا يحجر على الأديب، وآدابها غامضة مضطربة في رموز غير فنية ولا هدف من ورائها، وأشعارها لا تتبع نظاما للشعر العروضي أو المرسل أو شعر التفعيلة، فضلا عن مضامينها المهدمة والمشوشة.

ومن شعرائها محمود حسن إسماعيل، وفي شعر أدونيس وجبرا إبراهيم جبرا وصلاح عبد الصبور لمحات منها.

ويقول عمر بهاء الدين الأميري في هذه العبثية:

عبثُ الإنسانِ بالإنسان ما
كان فنا في حِجى الحقِّ المبين
إنه الرقُّ الذي ينكره
كلُّ إنسانٍ ووُجدان ودين[٢٠]

وهذه المدارس الحداثية كلها كما رأينا تجتمع على نكران العقيدة والدين والتراث الفكري واللغوي، وتدعو إلى هدم الثوابت بما فيها الأخلاق واللغة، وإحلال العلم، بل حتى الجنون؛ محل الله والعقل، وجعل الإنسان محور الوجود، ويقول الفيتوري في ذلك:

« ليس على الأرض سوى
الإنسان
ما ثم إله يتجبر
كذب ما قالته الأديان»[٢١]

تعالى الله ودينه الإسلام عن ذلك علوًّا كبيرا.

ولا تقل القصص في انغماسها بهذا الإلحاد الفكري أو الفجور الماجن عن الشعر، ففي قصص

الكاتب الإماراتي علي أبو الريش هجوم على لسان الشخصيات على الدين والتاريخ والأنبياء، والخلفاء وعظماء الإسلام، كما يشيد بأعداء الإسلام كالقرامطة.

وفي رواية القرمطي لأحمد رفيق عوض تشويه لصورة الخليفة المقتدر، إذ تجعله لا يكاد يصحو من سكره، وهو يلهو مع الجواري والغلمان، ولا يهمه إلا الأكل واللهو.

وفي القصص الحداثية مجون مبتذل بلا حياء ولا تورية، كما في قصة حدث في إستانبول لكريم معتوق، وفي مجبل بن شهوان لعلي أبي الريش كذلك، وهو يندد بالعلاقة الزوجية الطاهرة، ويسميها تخاذلا واستكانة، ويجعل الأخرى أجنحة ملونة بهيجة، ولا فرق بينهما برأيه إلا ورقة وخاتم موروث، وهو يسخر من هذه الصكوك، ويتمنى أن يمحى الحياء من الوجود[٢٢]، ويرى أدونيس الخطيئة رمز التجدد وابتعاث الحيوية.

أما لغويا فالحداثة تدعو إلى لغة لا يربط بينها نظام ولا قواعد، يقول أدونيس: «اللغة العربية لغة انبثاق وتفجر، وليست لغة منطق أو ترابط سببي، إنها لغة وميض وبصيرة لا لغة النحو والصرف[٢٣]»، كما تدعو إلى تدمير اللغة بتسكين حروفها أو ترك قواعدها، وإلى الأخذ بالعاميات وكتابة الآداب بها، وتزعم أنها ماتت ولا أمل في حياتها وهذا ما فتح الأبواب على مصراعيها أمام الأخطاء وركاكة الأسلوب.

كما دعت إلى أدب غامض لا يفهم، و«الشعر العربي عرف الغموض، ولكنه ليس الغموض

د. عبدالقدوس أبو صالح

الذي يقول به الحداثيون اليوم، وهذا الغموض غموض تافه، هذيان، ونفخ على زجاج بارد»[٢٤]. وبعض الرموز غدت عند الحداثيين هلوسة وهذيانا ينفث فيها الفجور والكلمات السوقية التي يربأ الإنسان أن يفوه بها، وهذا ما أحزن القلوب وأقض المضاجع، لأن غاية الأدب أن يسمو بالجماهير مضمونا ولغة لا أن يهبط بها إلى الحضيض لأنه يقلد الغرب، ولهذا قال د.عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

يا أيها الأدباء أضحى الفن بالإيمان جحدا
يا أيها الأدباء صار الشعر للتزييف ندا
كم من ضلالات الفنون تزيد في التضليل بعدا
والجنس في الآداب يهدم ما بناه الدين وأدا.[٢٥]

ومن قديم لام ابنُ الأنباري ابنَ المعتز لتدوينه شعر أبي نواس، وقال: إن من حق هذا الخليع ألا يتلقاه الناس بألسنتهم، وألا يدونوه في كتبهم، ولا يحمله متقدمهم إلى متأخرهم. وقال أبو عمرو الشيباني: «لولا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه القاذورات - يعني الخمور- لاحتججنا بشعره. وأعلن ابن بسام صاحب الذخيرة تبرمه من كل شعر فيه إلحاد وفلسفة. وحذف ابن حزم الأندلسي كثيرا مما يفسد أخلاق الناشئة. وقال ابن شرف القيرواني: «إن النظرة إلى بعض القصائد من زاوية خلقية إنما هي من صميم العمل الفني».

وأخيراً، فإن الكشف عن الجذور الفلسفية والعقائدية

الوثنية التي تكمن خلف هذه المدارس أولى بالاهتمام، وهذا ما تقصِّر فيه الدراسات؛ حتى الجامعية منها، مما أدى إلى الإحساس بالنقص تجاهها لعدم الأخذ بمعطياتها، والحقيقة هي أن المنهج صدى لأصوله النظرية، ويخشى من عدم توضيح هذه القضية في الدراسات النقدية أن تتحول الآداب إلى مادية فتنقلب الموازين والمعايير وتنعكس الغايات.

وقد تخبط النقد والأدب العربيان في ظل هذه المدارس الأدبية والنقدية الغربية.

وهناك ضوابط للاستفادة من مدارس النقد الغربي تقوم على أنه ليس من الموضوعية في شيء أن نطبق مبادئ غربية تختلف في جذورها وبيئات أهلها على نقدنا العربي المختلف في جذوره وبيئته.

كما أنه لا يليق بالمسلم أن يأخذ مدرسة نقدية ويحاول أن ينتج نصا أدبيا بناء على معطياتها، لأنه وإن خلصها مما يخالف الإسلام، فإنه يضعف فيها الصوت الإسلامي كما هو الحال في بعض الأعمال الأدبية المتأثرة بالمدرسة الواقعية.

ولكن هذا لا يعني أن ندع الاستفادة من معطيات هذه المدارس شريطة أن يتمثل الأديب المسلم فنيتها، ثم يخرجها في بوتقة إسلامية، وأن يوظفها لخدمة أهدافه ولغته، وبهذا نكون في حيز التبادل الثقافي القائم على الأخذ والعطاء مع محافظتنا على أصالتنا وهويتنا ■

الهوامش:

(١) رواه الحاكم في مستدركه والطبراني في المعجم الأوسط عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ. وقال فيه الألباني: ضعيف جداً، السلسلة الضعيفة، ج١، ص٤٨.

(٢) د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، س١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٩٨.

(٣) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، بيروت، دار الشروق، ط٥، ١٤٠٣هـ، ص٢٠.

(٤) الأدب الصادر عن مسلم دون أن يحوي رؤية إسلامية فيسمى أدبا محايدا، والأدب الصادر عن غير مسلم ولكنه يوافق مبادئ الإسلام فيسمى أدبا موافقا، وما كان فيه مخالفات للإسلام فيسمى أدبا مضادا.

(٥) في الأدب الإسلامي، ص١٠٧.

(٦) مجلة الأدب الإسلامي، ع٤٥، س٢٠٠٥م، ص٣٢، بعنوان حوار مع د.صابر عبدالدايم.

(٧) ينظر مثلا قصيدته في رثاء جدته التي شابهت قصيدة المتنبي في رثاء أمه في ديوان الشوقيات، ٣/٣٨.

(٨) ديوان الشوقيات، ١/٢١.

(٩) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص٧٧. وخفاجي، مدارس النقد الأدبي، ص١٦٥.

(١٠) راشد عبد الله، رواية شاهندة، ط١٩٩٨، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات في الشارقة، ص٦٨.

(١١) سيد سيد عبد الرازق، المنهج الإسلامي في النقد الأدبي، ص١٤١-١٤٢، وخفاجي، مدارس النقد الأدبي، ص١٥٨.

(١٢) الحداثة، ص٤٠.

(١٣) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد.

(١٤) مدخل إلى دراسة المدارس، ص٣٤٠.

(١٥) الحداثة.

(١٦) الحداثة، ص٥٧ و١٥٦ و١٧٣.

(١٧) خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، ص١٧٦.

(١٨) السابق نفسه، ص١٨٥.

(١٩) اتجاهات النقاد العرب، ص٣٨٠. والنص: ص٣٩٠.

(٢٠) ديوان ألوان طيف.

(٢١) نقلاً عن د.وليد قصاب، الحداثة العربية، ص٨٢.

(٢٢) علي أبو الريش، ثنائية مجبل بن شهوان، ص١٨٢.

(٢٣) الحداثة، ص١٨٩.

(٢٤) الحداثة، ص١٦٩.

(٢٥) من الشعر الإسلامي الحديث، ص١١.

ودّعتَ دُنياك

د. حيدر الغدير - السعودية

إلى أخي الكريم السّريّ، المحسن، أحمد باجنيد، وهو في ضيافة الله، ويا لها من ضيافة!.

ودعت دنياك في حمدٍ وإيمان ... وفي محياك بشرُ الأمن الهاني
لأنك المرء عاش العمرَ مُعتصماً ... بعروة الله في سرٍّ وإعلان
ومن يعش مؤمناً بَرّاً ومُحتسباً ... يسعى لأُخراهُ لا للعالم الفاني
ينلْ حياةً بنعمى الله ناضرةً ... كأنها هِبةٌ من كفِّ رضوان
ويأتِه الموت في رفقٍ وفي حَدَب ... يقول رائيهما المبهور هذان
ندَّان تِربان بل روحان ربُّهما ... براهما توأميْ قُربى وإحسان

* * *

أدمنتُ صُحبةَ إخوانٍ غطارفة ... من الحضارم من سمر وغُران
وجدت فيهم إخاءً صادقاً ويداً ... تمتدُّ بالودِّ في صدقٍ وتحنان
وطيّباتٍ من الأخلاق طاهرةً ... كانت أمانيَّ في بوحي وكتماني
أحببتهم وأحبُّوني وفي عجل ... والحب أدناهمُ منّي وأدناني
لأنني حضرميٌّ في سجيَّته ... وتلك مكرمةٌ يعلو بها شاني
أرواحُنا وإلهُ العرش بارئُها ... لها تآلف أنداد وإخوان

* * *

ودوعنٌ[1] وحماها الله دارُهُدى ... والشاهد الناس من شيبٍ وشُبّان
رأيتُ في أهلِها فضلاً سعِدْتُ به ... كأنه طيب أرواح وريحان
وكان لي شهْدُها[2] من أحمدٍ هبة ... كأنها قلبه المضياف والحاني
وبسمةً وحياء الصمت يسبقها ... كأنها همس وجدان لوجدان
وكان شكري له حيناً مداعبةً ... وتارةً شكرَ تقديرٍ وعرفان

* * *

كأنَّ جدِّيَ بلَّ اللهُ أعظُمَهُ ... في دَوعنٍ عاشَ محبوراً وبيحان
وفي شبام كما قالوا وفي عدنٍ ... وفي تريم وكلٌّ ريُّ ظمآنِ
وعادَ والسّعدُ فيه ديمةٌ وشذا ... وعندهُ من جدا التِّرحالِ كنزان
جمعٌ من الصحبِ مثل الرَّأْدسيرتهم ... وفرحةٌ دارُها قلبٌ وعينان
إذا «تحضرمتُ» فارضَوني أزِدْ شَرَفاً ... وأسبقِ الصحب من هانٍ ومن شان

* * *

يا أحمد الخير دُنيانا رواحلُنا ... تمضي سراعاً بنا للعالم الثاني
ولي اليقين بأنّا ظافرونَ غداً ... لأننا مذ نشأنا أهلُ إيمان
والملتقى عدنٌ نشتار أنعمها ... فرحمة الله بحرٌ دونَ شُطآن

* * *

(١) دوعن: مدينة في حضرموت، وهي مسقط رأس الفقيد رحمه الله.
(٢) كان الفقيد يهديني الكثير من العسل الحضرمي، وكنت أشكره بالثناء والمداعبة وطلب المزيد.

رجل الوفاء

في رثاء الشيخ أحمد محمد باجنيد

د. وليد قصّاب - سورية

ما كلُّ منْ قد غاب في بطنِ الثّرى ... تلقى له فضلاً يظلُّ منَشَّرا

ما كلُّ منْ يمضي يخلِّفُ سيرةً ... تهبُ الوضاءةَ والصباحَ الأنورا

أو يبتني في الأرضِ ذكرًا شامخًا ... ويفوحُ في كلِّ المجالسِ عنبرا

بل بعضُ من يمضي كأنْ ما جاء دنـ ... ـيـــانا، ولا قد قد عاش فينا أعصُرا

لكنَّ أحمدَ باجُنيدٍ ديمةٌ ... تركتْ يبابَ دارِنا مُخضوضِرا

منْ ينسَ فضلَ الباجنيدِ فإنه ... أعمى البصيرةِ لا يُحِسُّ ولا يرى

قد كان معطاءً، وكم قد جاد من ... أجلِ الثقافةِ والعلوم فأكثرا!

كم ضمنا في بيتِه في ندوةٍ ... فيَّاضةٍ، حملتْ وفاءً أنضرا!

أحيا الوفاءَ بها ، وكم شحَّ الوفا ... ءُ لدى أناسٍ لا يباعُ ويُشترى!

كم قيل فيها من حديثٍ نافعٍ ... ملأ الجوانحَ عِبرةً وتفكُّرا!

كم من بليغٍ مِصْقَعٍ قد هزّنا ... كم شاعرٍ متألِّقٍ قد أشعرا!

كم عالمٍ أغنى العقولَ حديثُه ... روّى النُّفوسَ مواعظًا وتدبُّرا!

يابنَ الجنيدِ بذلتَ لم تبخلْ وما ... قد كنتَ يومًا بالعطاءِ مقصِّرا

أدعو الإلهَ بأن يُثيبَ فقيدَنا ... عن كلِّ ما أسدى إلينا ويأجُرا

وتقبَّل الرّحمنُ ما قدّمتَه ... وسقاكَ ربي من جناه الكوثرا

إنْ كان أحمدُ قد مضى فمحمدٌ ... وحسينُ زرعٌ من جناه أثمرا

بُورِكتُما وهُديتما كي تكملا ... ما خطّه ذاك العظيمُ وتَعْمُرا

مختارات الإمام أبي الحسن الندوي -رحمه الله- في أدب العرب، كما يشهد بذلك الأديب الشيخ علي الطنطاوي، وكفى به شاهداً: «أجود كتب المختارات، وأجمعها لفنون القول وألوان البيان»[٢] على حين أعوزت كثيرا من لداتها الأخرى.

وقد أشار الندوي إلى النقاط التي جعلته يضع هذا الكتاب في (المقدمة) التي استهلّ بها كتابه، فهي تعطينا مؤشرات ضافية عن الندوي الناقد، وعن ريادة النقد الموضوعي لمدرسة الأدب الإسلامي. وقليلا ما وقعنا على مادة مفردة، تنوه بالندوي في آرائه النقدية بصفة متميزة إلا انتفا جاءت شذر مذر.

فالمقدمة فضلا عن أنها تشكل مدخلا إلى المختارات التي وضعت في الكتاب، تمثل فاتحة للأدب الإسلامي، ونافذة إلى الأسس النقدية التي قام عليها صرحه الشامخ.

أبو الحسن علي الندوي رائد النقد الموضوعي للأدب الإسلامي

دراسة تحليلية في مقدمة[١] كتابه مختارات من أدب العرب

عبدالوهاب الديروي- باكستان

ولكننا - وقبل الدخول في غمار ما اختار - نتساءل: هل أودع المؤلف هذا الكتاب شيئا من عمله الإبداعي قبل أن يودعه أعمالا ومقالات لغيره؟

والجواب سهل ميسور؛ فإن سماحته المتواضعة وإن لم ترض أن تعلو بنفسها إلى صفوف الأدباء، فإن المقدمة ذاتها خير مساهمة، وقعت منها بمكانها اللائق، فهي إذاً أول ما تفرض علينا نفسها لنأخذها بالتحليل والدراسة.

عناصر عامة في المقدمة:

ثمة عناصر متدافعة تحويها المقدمة، تطلب إلينا الحديث عن نفسها، ولكن الذي يجلب الانتباه أولاً هي تلك العاطفية العامة السارية في مضمونها، وتلك العصامية الأدبية الناقدة التي تترقرق أجلى ما يكون في غضونها، وتلك البلاغة الطبيعية التي تطالعنا من فقراتها، وتنتقل بنا من حكم إلى حكم، ومن قضية إلى قضية رويداً رويداً، وفي هدوء تام، حتى تخلص منها إلى نهاية فاصلة للحكم، مقنعة للعقل، مؤثرة في القلب.

هذه واحدة، والثانية: أن المقدمة في الوقت نفسه تمثل القاعدة: التنظير قبل التطبيق،

وبالتالي فإنها تنظر لنا أساسيات مدَّعى الندوي كما يرتئيها، وينشرها على بساط البحث، لتكون مدخلاً إلى المادة الموضوعة المطروحة على صفحاته.

والثالثة: أنه في مقدمته يقيم دعوى تكاد تكون دليل نفسها- كما يسميه أهل المنطق- ولا حذر. فإن كانت الدعوى منطوية في مضمونها، فإن المجموع من شكلها ومحتواها المضموني هو الآخر يقوم عليها دليلا، هذا طبعاً إذا أغفلنا لساعة المتمسكات الظاهرة التي يسردها لنا المقدم العلامة -رحمه الله- في ثنايا مقدمته على النحو التدريجي الدائب.

رحلة أدبية انتقائية:

إن سماحة الشيخ الندوي -رحمه الله- بحافز غيرته على ضياع الأدب الحقيقي، يشد رحلة أدبية نقدية انتقائية، ثم يعود بنا إلى جذور التاريخ الأدبي في تراثنا الإسلامي على امتداده الطويل الشامل، حيث يقضي ساعات وساعات في مكتبات العلم والأدب، والفن والذوق، وبين أسفار المعرفة، وركام هائل من الثروة الأدبية التي خلفها لنا آباؤنا، ينفض عنها الغبار الذي طالما علاها، ويحرثها، ويستخرج منها جواهرها ويودعها كتابه.

وهي – المختارات – بمفردها واحدة واحدة بمكانتها التي لها، ولكنها في مجملها تحمل كذلك دلالات متعددة، تتمخض لنا عن أمور ذات بالٍ، منها:

- حذق أدبي عظيم، مشهود به لصاحبه، ويدل دلالة واضحة على المجهود الحميد الذي كرَّسه، والخبرة التي يمتلكها.
- ولكن لا يكفي المجهود ولا الخبرة وحدها، وهنا يأتي الذوق الذي حظي منه أديبنا الرائد بوافر الحظ، وقد تلاقى الفن والذوق فيه، حتى كان منه هذا الكاتب وهذا الطبع.
- إنها تمخضت لنا كذلك عن فهم عميق للطبيعة الأدبية، وميلها إلى الحقيقة والواقعية، وينم عليه هذا الاستيعاب الواعي

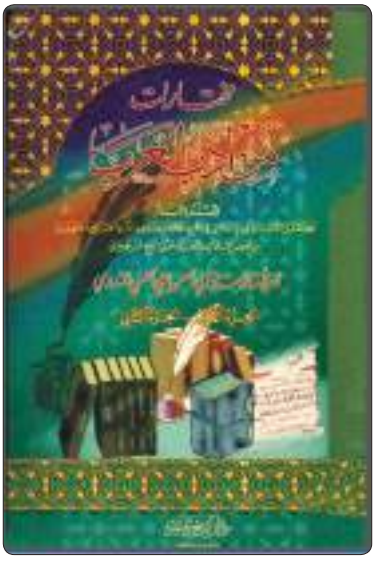

لمذاهب النثر العربي على مر القرون الطوال، وقد عاشها خلال هذه الرحلة الطويلة والشاقة في آن، حتى وقف منها في نهاية المطاف على مفترق من الأدبين: «الطبعي والصناعي»، ومن هنا يسخر لنفسه أدوات الفن والأدب وآلياتهما، والتراث العربي الذي استلهمه، ليخلص بهما إلى ترجيح الراجح بأولياته تلك.

عوامل النقد الأدبي عند أبي الحسن الندوي:

وعوداً على بدء، فإن من الضروري هنا أن نشير إلى العوامل الرئيسية التي قد باتت بمرعى من أديبنا الرائد في هذا العمل النقدي والانتقائي، باعتبارها مرتكزاً للعمل، ومبرراً لوضع الكتاب الإسلامي في الوقت نفسه.

عامل النوعية: وتكاد تكون أهم من كل ما عداها، وتعد اليوم ثلمة كبيرة في مناهج التاريخ للأدب العربي، وظهر ذلك في مدى اعتناء الندوي بالنوعية في الاختيار، فقد التزم خط التقسيم الموضوعي في وضع المختارات، ولم ينتهج الخط الزمني المسلسل، وبذلك فإنه يعفينا

من رتابة العرض التاريخي في السرد والوضع، وقد ظل هو المثل الأعلى لدى رجال التاريخ الأدبي، انسياقاً وراء الأدب العالمي المنهج تاريخيا، مع أنه يخترم جوانب كبيرة الشأن، مما يجب مراعاتها في واقع الأدب جمعاً وتدويناً، فرب أدب عصر واحد يتقاطع نوعياً، لأن نشأة الأدب ونماءه وازدهاره كالطفل في كل هؤلاء، لا يقدر بطبيعته أن يقفز إلا قفزة نوعيةً من تقاليد طويلة المدى إلى صنف آخر منه، كما هو الرأي عند بعض الأدباء في العصر[٣].

إن الندوي يضع لنا نموذجاً آخر من نوعه في التاريخ، هو الأحق بالقبول والاتباع، وأن يصاغ في ضوئه الأدب صياغة جديدة، لأن الأدب لا يرتبط بالعصور والأزمان، بل يهب بعيداً عن الأحداث التاريخية، ولا يلمسها إلا في حاجة لا يغني عنها، إنه يهب حول العواصف السياسية لا عليها.

ومن هنا فإن «المختارات» تهتم في سياقتها بالنوعية، أو قل بفنون الأدب العربي على مختلف ألوانه، من معجز، إلى وعظ، إلى وصف، إلى رسائل، وتاريخ، وإلى آخر ما مضى فيها كتاب الندوي.

عامل الزمان والمكان:

علماً منا - وفي الدرجة الثانية - أن تعامله مع نوع الأثر الأدبي لم يغفل «عامل الزمان والمكان» كما يصطلح عليه أهل النقد، إنه لم يلغ اعتبارهما فعل بعض المعاصرين الذين ذهبوا إلى هذا الرأي[٤] إلا أن الاعتداد بهما إنما جاء تبعاً وليس رأساً، وما كان للشيخ الندوي أن يغفلهما على طول الخط، لأن العامل قد يترك أبعد الأثر على موضوعات النثر

علي الطنطاوي

العربي، وثمة دلالات تاريخية تبين كيف أن العرب أحسوا أثر البيئة في الشعر والنثر، وكيف أن مبدأ الزمان والمكان أسهم في تقويم الأدب عندهم، ولكن كفة التقسيم الموضوعي التي تبدو راجحةً، وفضلاً عن الحديث فإنا نجد في القديم: مثل ابن سلام الجمحي (ت: ٢٣١هـ) الذي يعده بعض الباحثين «رائد النقد الموضوعي»[٥] قد جعل في كتابه «طبقات فحول الشعراء» طبقة خاصة لشعراء فن الرثاء.

ومن هذا المنطلق فإن الندوي إذا لم يفته من جهة أن يضع في اعتباره الأدوار التاريخية من العصر الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، فإنه من جهة أخرى - وهي الأولى - انتهج في انتقائه المنهج النوعي الحكيم، ولا أدل على ذلك من الجملة المعرفة التي في أعلى الغلاف: «مجموعة تمثل الأدب العربي في جميع مظاهره ومناحيه الأدبية والتاريخية والتذهيبية...[٦]» ولذلك؛ فإذا استعرضنا المختارات واحدة بعد واحدة، نجد هذه السمة ماثلة للعيان، والحديث فيها يطول، وسنأتيه لاحقاً إن شاء الله.

ويجمل بنا ونحن نؤكد على أهمية النوعية أن نعرج على ما يراه أديب العربية الكبير علي الطنطاوي في هذا المنظور، يقول: وتقسيم العصور الأدبية تبعاً للعهود السياسية - وهو المتبع في تدريس الأدب في المدارس- تقسيم لا يقوم على أساس؛ لأنه ليس بين السياسة والأدب تشابه ولا ارتباط، ولا تصح النسبة بينهما طرداً ولا عكساً، فربما ازدهر الأدب بازدهار السياسة

كصدر العهد العباسي، وربما تأخر بتقدمها، كالعهد الإسلامي (الأول).

وخير من ذلك أن ندرس الأدب تبعاً للمذاهب الأدبية، فلم لا نكشف في الأدب العربي عن الصفات المتشابهة في طائفة من الشعراء، فنجعلها مذهباً؟ فيكون في الغزل المذهب العذري، والمذهب القصصي، والمذهب الصوفي....[٧]

عامل الروح والعاطفة:

هو العامل الرئيسي الذي يتجلى أعظم ما يكون في رؤاه النقدي، ويملكه زمام الريادة الأدبية، وهو الذي أدى بدوره إلى مذهب جديد في الأدب الإسلامي.

وما كان لرجل مثل الندوي أن يتناساه، ولا يتعامل معه، كيف وهو منذ تفتح وعيه على الحياة، يجد نفسه قبالة بيئة ذات توجه إسلامي، بما استطاع أن يحظى بأوفر حظ من المعاناة الوجدانية الأدبية من الوجهة الإسلامية، وعليه فإنه لم يشق طريقاً وسط الطرق المتشعبة إلى الأدب الإسلامي عفواً، ولم يقدم عليه مباشرة، بل عايشها تجربة من قبل بما يسمونها «المعايشة التاريخية»[٨] وتبلور معه خلالها إحساس متزايد بتفعيل العامل الديني العاطفي، ونفس الشيء يفرض على الندوي نفسه في السياق المنهجي للمختارات، بينما تبقى العوامل الأخرى[٩] إلى جانبه تسير على الهوامش، ولم يفعل هذا الأخير عمله نظرية صِرفاً أملاها عليه عقله الواعي وحسب، ولكنما كانت روحاً سرت منه في نفسه وشرايينه، لا فكاك بينهما، استقاها من ثدي الرسالة، وتوارثها من سلالة السيادة، بما كان لها من أثر في بنات أفكاره وعباراته – شاء أم أبى – فطرة الله التي فطر عليها.

فبينما يمضي في الحديث في مقدمة المختارات عن الأدب أدباً، وبينما يفرش له أصوله وقواعده من الرؤية العامة، وبينما ينقده بشتى أصنافه نقداً أدبياً وموضوعياً، إذا هو يمزجه في كل أولئك بتلك الروح الإيمانية، والإحساس الروحاني، وإذا به يدر عليه من قلبه النابض بالحب والعاطفة، وعقله الواعي لمعاني الإيمان والإسلام وحسه المرهف بالنفاذ الصادق.

فهو إذاً وضع في الاعتبار النقدي قانون الناموس الكوني، وسخر الأدب للقواعد الجارية المعمول بها، وأن الأدب العربي منها بمكان سائر الآداب الإنسانية، يصاب بما تصاب من محنة، ويخضع لما تخضع له من «الأحوال الاجتماعية، والعوامل السياسية، وحركات الإصلاح والبعث الجديد»[١١] فإنه بالتالي يعطي للرؤية الإسلامية مكانتها الأولى في المقياس، يزن الآداب العربية في ميزانها، من حيث تطل بها على الفضاء الواسع «والسماء الكبيرة».[٩]

وأعظم ما يثير إعجاب نفس مؤمنة متذوقة، وما عساه أن يكون خرقاً ملموساً ذا شأن هو اعتبار كتاب الله المعجز، فكتب الحديث، فالسيرة والتراث عمدة الأدب الإسلامي الحق في بلاغتها الصادقة، وأسلوبها الروحي السامي الذي يحلق بالمتلقي من ضيق الآداب الصناعية، وجور المعاني المبتذلة، وعبادة المادة والمعدة، إلى فضاء الطبيعة، والمعاني العالية، والإيمان والحنان، وإلى «الكون والحياة والإنسان والمصير بمدى أوسع، حيث يلتقي الوحي مع الوجود، والأسماء مع المشخصات»[١٠].

وثمة أمثلة رائعة جميلة يعرضها لنا الندوي على بساط كتابه مما كانت العرب العرباء يتكلمون بها، ويتفكرون بها في ضمائرهم، أو يحدثون بها على

موائدهم، من لدن الرسول العربي – صلى الله عليه وسلم – مروراً بأبي حيان التوحيدي وعبد القاهر الجرجاني، إلى ولي الله الدهلوي وعلي الطنطاوي رحمهم الله.

ويرجع السر في فضل هذه الكتابات العلمية والدينية وتأثيرها وقوتها وجمالها إلى «أن هذه الكتابات قد كتبت عن عقيدة وعاطفة، وعن فكرة واقتناع، وعن حماسة وعزم»[١٢].

إن سماحة الندوي يدعونا معه تدليلاً على ذلك إلى القراءة في كتابات الغزالي في «الإحياء» وفي «المنقذ من الضلال»، وإلى القراءة في خطب عبد القادر الجيلاني رحمهما الله، وما كتبه القاضي شداد عن صلاح الدين، وما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية في كتبهما، لنرى مثالاً رائعاً للكتابة العالية، وللأدب الحي الخليق بالبقاء. «ولا سبب لذلك إلا أنه كتب عن عقيدة وعاطفة»[١٣].

عامل الطبيعة وعدم التكلف:

عامل آخر لدى أديبنا الإسلامي الرائد يمكن أن نسميه «عامل الطبيعة»، ومن قرأ مقدمة كتابه شهد أنها كأنما سيقت لتعزيزه، وللقضاء على مذهب الصناعة والتكلف، وتحرير هذا الأدب المسكين من ربقة الظلم التي طالما طوقته في قرون الانحطاط الفكري والخلقي والاجتماعي

عبدالقاهر الجرجاني

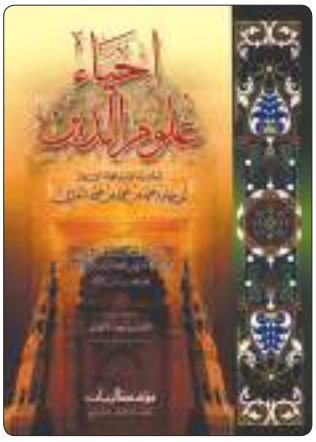

«وحرمته مادة غزيرة من التعبير وباعثا قوياً للتفكير»[١٤]، ومن هنا يدخل الندوي بدوره المكتبة العربية، ليبرز منها الآداب في صورتها الحقيقية،» إنها قطع ونصوص منثورة في كتب الحديث والسيرة، والتاريخ، وكتب الطبقات والتراجم والرحلات، وفي الكتب التي ألفت في الإصلاح، وكتب الوعظ والتصوف، وفي الكتب التي سجل فيها المصنفون خواطرهم وتجارب حياتهم، وملاحظاتهم وانطباعاتهم، ورووا فيها قصة حياتهم»[١٥].

ويخيل للذين اطلعوا على مختارات الندوي كأنما يأخذ الرجل بيده مصباحاً من نور يوجهه في غياهب التراث، ينبش منه الخير الكثير والأدب الجم.

ولكن هذا الاندفاع للمذهب الطبيعي، وهذه القناعة العميقة للأدب الحقيقي، وهذه الرحلة الاستطلاعية في آثار الأدب المسترسل الجاري مع الطبع، كل هذا لم يقلل عند الأديب الناقد العادل من أهمية الأدب الصناعي، ولم يهون من مكانة مقامات الهمداني والحريري، ورسائل الخوارزمي، إن هذه «الطريقة الخلدونية» التي شد الندوي أزرها، ونصرها بشهود من أرض الواقع والتاريخ، لم تأت على حساب «الطريقة الفاضلية»، أو الصناعية، حتى يقصيها عن مسرح الاعتبار أصلاً، كل ما يريده أستاذنا الناقد باتجاهه المتزن أن الأدب الصناعي ليس هو الأدب كله، وليس من الحق أن يرفع عن

مستواه الذي يجب أن يكون عليه، وعن قيمته التي لا تجحد.

إن الندوي - على كل عِلاتها - يعترف «بقيمتها اللغوية والفنية، ويعتقد أنها مرحلة طبيعية في حياة اللغات والآداب»[١٦] فخير لنا أن نعطيها حظها من العناية والدراسة، ونضعها في مكانها الطبيعي في تاريخ الأدب وطبقات الأدباء، ولكنه لا يحسن تمثيل أدبنا العالي الذي هو من أجمل آداب العالم وأوسعها.

هذا ما يدعو إليه العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله في نهاية المطاف: «أن ننقب في المكتبة العربية من جديد، ونعرض على ناشئتنا وعلى الجيل الجديد نماذج جديدة من الكتب القديمة للأدب العربي، حتى يتذوق جمال هذه اللغة، وينشأ على الإبانة والتعبير البليغ، ويتعرف هذه المكتبة الواسعة، ويستطيع أن يستفيد منها»[١٧].

ويقرر أن نفس الأساس، وذات الفكرة، مما دعاه إلى إضافة جديدة إلى خضم المختارات الأدبية، حتى جاء منه هذا الكتاب الذي «يجمع بين الطبعي والفن» لكل قيمة أدبية، ويجمع بين القديم والحديث، وما أحسن أدباً جمع بين القديم فالمتوسط فالحديث! علاوة على أنها بكل ما فيها تسد لنا الفراغ الذي فغر فاه من جراء «ضياع جيد المنثور» على حد تعبير الرقاشي[١٨]، ناهيك رواية كعب بن مالك -رضي الله عنه- ذات الدلالات البلاغية العالية، وقصة عائشة -رضي الله عنها- مما يتناقله الكتاب بين دفتيه بكلا جزأيه مما يعمد فيها الندوي إلى خير ما كتب، وما وصلته يداه في القديم والجديد وما بينهما، يكاد يشكل سائر ألوان الكتابة، وبالتالي يستجمع كل خصائصها ومقوماتها، والحاجة إلى بلورتها التحليلية باقية ندخرها لفرصة لاحقة، ليكون موضوعاً بمفرده إن شاء الله، وهكذا فإن الندوي يناول المتلقي مفتاحاً، يفتح به بعد ما شاء أن يفتح من فن أو علم أو ثقافة، بلغته، وأسلوبه وأدبه، بل وليضعه على أقفال المكتبة العربية بما فيها، فيفعل فيها الأفاعيل، ويصنع التاريخ! ■

الهوامش:

(١) نظرات في الأدب العربي، (ص: ٢١) رابطة الأدب الإسلامي، ومختارات من أدب العرب، (ص:٧) طبع دار ابن كثير، بيروت).

(٢) ذكريات علي الطنطاوي، مقدمة مختارات من أدب العرب، (ص: ٥) طبع دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

(٣) د.عماد الدين خليل، محاولات جديدة في النقد العربي المعاصر، (ص: ٧).

(٤) د.بنت الشاطئ، قيم جديدة في الأدب...، طبع دار المعارف، (ص: ٢٣-٢٤).

(٥) د.محمود حسن زيني- مقالة: محمد بن سلام الجمحي، مجلة البحث العلمي، مكة المكرمة: العدد الرابع عام ١٤٠١هـ (ص: ٢٦٣).

(٦) مختارات من أدب العرب للشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله.

(٧) علي الطنطاوي، فصول في الثقافة والأدب، (ص: ١٩٩) دار ابن حزم، دار المناة).

(٨) د.عماد الدين خليل... مقدمة السيرة النبوية للشيخ أبي الحسن الندوي.

(٩) د.عماد الدين خليل... مجلة الأدب الإسلامي، الصفحة الأخيرة، (العدد: ٧٨).

(١٠) المرجع السابق.

(١١) مقدمة المختارات للشيخ أبي الحسن الندوي، (ص: ٧) طبع ابن كثير، نظرات في الأدب العربي.. المقال الأول، (ص: ٢١) رابطة الأدب الإسلامي.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) المرجع السابق.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) المرجع السابق.

غياث الإسلام الصديقي الندوي(*)- الهند

على لسان التراب

ذات مرّة غلبني التفكير في التراب فوجدته ينطق عن حقائق الكون والحياة، وكلماته تهمس في أذني، واستهلّها بتوجيه شكوى: أنا التراب الذي بلغ من النفوس البشرية ما لم يبلغه شيء سواي، في التعبير عن الاحتقار والذلّة والمهانة. فيقال «أرغم الله أنفك» أي ألصقه بالتراب، ولما كان الأنف من جملة الأعضاء في غاية العزة، وأنا التراب في غاية الذلة، جعل الناس قولهم «رغم أنفه» كناية عن الذلة. وينظر الإنسان إليّ على أنّني مادة وسخة، مع أنّ الله جعلني عبارة عن مادة حية تدبّ فيها الحياة. والواقع أنّ وجودي ضروري جداً لكثير من الكائنات على وجه الأرض، ولولا التراب لم يكن للحياة أن تنشأ أصلاً على وجه هذه الأرض.

ثمّ بدأ الوعظ والإرشاد وهو يقول: لا يهمّ البشر أنّ الله خلقه من سلالتي كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) (المؤمنون)، وفي الآية الأخرى: «هو الذي خلقكم من تراب». فكان من المناسب أن يتذكّر الإنسان حقيقته في كلّ حين وآن، ولا يتكبّر، ولا يتجبر، ولا يظلم ولا يحتقر أحداً. ولكنّ العجب أنّه لا يفكّر في أصله، ويرتكب كثيرا من الأعمال ما لا يناسب بنيته وكيانه. وبالإضافة إلى ذلك لنا دور ريادي في حياة الإنسان وأسبابها.

عقب ذلك، جعل التراب يحكي حكايته مع الإنسان وأهمّيته في الكون فيقول: يا تُرى لو تأمّلت فيما يوجد على الأرض لوجدت أنّ كلّ ما يتعلّق بالإنسان وما يحتاج إليه من مساكن وملابس ومأكولات وتسهيلات، كلّها تتكوّن من ذرّاتي وتأتي من تحت الأرض. فالمال الذي يكون مرغوباً فيه لدى الإنسان ومحبّبا إليه، وإنّه يقيمه ويقعده، ومعظم نشاطاته لأجله، يكسبه الإنسان عن طريق التجارة والوظائف المتنوّعة لقضاء الحاجات في معترك الحياة. ولا يهتمّ كثير من الناس بالحلال في كسبه. فأيّما كان شكل المال من الدراهم والدنانير والريالات والروبيات وهلمّ جرّا، إنّما يكون صنعه من الورق والمعدن وتبلغ سلالتهما الصناعية إليّ. وسيرجع إليّ بعد قضاء أيّامه فوق الأرض.

(*) باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي.

ألم يلفت انتباهك يوماً أنّ الإنسان عندما يجوع يأكل مختلف المأكولات حسب مستواه المعيشي من لحوم الإبل والبقر والغنم أو السمك وغير ذلك، والجميع مخلوق من ذرّاتي، ويأكل الإنسان الحبوب، والخضراوات، والفواكه وما إلى ذلك. تأتي كلّها من الحقول والأشجار التي تنبت من الأرض. وجميع المأكولات ترجع إلى الأرض وتغيب في جعبتي بعد ما تكون من المهضومات والمهملات.

وإن تتفكّر في الملابس التي هي حاجة بشرية من البداية، يتزيّن الإنسان بها في حياته، ويختار من تنوعها ما يدلّ على رخائه أو مسكنته، وما يجعله مرموقا أومعتوباً، ويصون الإنسان بها نفسه من حرارة الشمس وشدّة البرد، ويختلف اللباس مع الفصول من الشتاء والصيف والخريف، تجد أنّ جميع الملابس تصنع من الصوف وما إلى ذلك، ثمّ تمرّ بمراحل مختلفة في صناعتها وحبكها ورحلتها من التراب إلى جسم الإنسان. وإنّها ترجع إليّ بعد رثاثتها وتفككها.

والجدير بالذكر أنّ المباني التي يعيش فيها الإنسان أيًّا كان نوعها من قصور الملوك والوزراء والأمراء، وبيوت عامّة الناس، وأكواخ الفقراء والمساكين، ومهما كان شكلها وارتفاعها وعرضها، ومهما كانت متميّزة بالاتساع والطراز، إنّها مبنية من الإسمنت والآجُرّ والجصّ واللبنات وهلُمّ جرّا، كلّ ذلك يتكوّن من ذرّات الأرض. وتتبدّل الأبنية بالتراب بعد أن أصيبت بالانهدام والدّمار.

وهل تدبّرت في المراكب ؟ إنّها حاجة ملحّة للإنسانية منذ القدم، يستخدم منها الإنسان ما يناسب وضعه ويقضي حاجته من الدرّاجة والسيارة والحافلة والقطار والطائرة والسفينة وهلمّ جرّا. إذا تفكّرت في كيانها وبنائها وجدت أنّ سلسلة صنعتها تتصل بالتراب. إنّها أيضاً تندمج في التراب بعد أن تكون مهملاً.

وعلى هذا المنوال، كثيرٌ من مرافق الحياة وما يختصّ بها من مراوح ومكيّفات وثلاجات وتلفزيونات ومذاييع وحواسيب وما إلى ذلك من الأدوات الكهربائية، والأجهزة الإلكترونية والتكنولوجية، بالإضافة إلى أثاث البيت من سرر، وأرائك، وكراسيّ، وطاولات، ونحوها يستخدمها الإنسان في كلّ حين وآن، وقد صارت جزءاً لازماً من حياته. ألم تر أنّ كلّ ذلك يصنع من مختلف المعادن والأخشاب التي تخرج من تحت الأرض فيقطع الجميع مراحل مختلفة من التراب إلى تناول الإنسان. وبالتالي يرجع كلّ ذلك إلى التراب بعد الإصابة بالزوال والانهيار.

فينتج ممّا سبق أن ما يأكله الإنسان ويلبسه ويسكن فيه ويركب عليه ويتمتع به، كلّ ذلك من عناصري. ويمكن الاعتراف بأنّ كلّ شيء مادّي على وجه الأرض خلقه الله من التراب. وعندما يموت الإنسان، يدفن في الأرض ويحثى عليه التراب ويصير بعد أيّام جزءا منه. وقال الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى(٥٥) (طه).

ويا هذا! رغم كلّ ذلك، ألا ترى أنّ كثيرا من الناس يتجاهلون علاقتهم بالتراب، وينسون أنّ بدايتهم ونهايتهم كلتيهما في التراب خلال هذا العالم المادّي في حين ينبغي للإنسان أن يجتنب الخيلاء واعتبار نفسه شخصية عظيمة قوية قادرة، وهو يعيش بين الطين والتراب. فيجب عليه أن يتدبّر في قدرة الله تعالى وآياته في النفس البشرية والكون والحياة كي يهتدي إلى الصراط المستقيم. قال الله تعالى: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون»، وقال: «إنّ في خلق السموت والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب»■

أستاذ جامعي مرموق، قضى سنوات طويلة في تخريج أجيال في الجامعات السعودية والأردنية، وتواصل مع المؤسسات الثقافية تواصلا حثيثا، وأضحى اسمه بارزا في الساحة النقدية من خلال كتاباته في الصحف والمجلات، ومؤلفاته الغزيرة، وحضوره التي لا يكاد ينقطع في الأندية والندوات والمؤتمرات، محاضرا ومعقبا.

ألف كتابا نقديا في الأدب الإسلامي في وقت مبكر (في الأدب الإسلامي قضاياه وفنونه ونماذج منه)، فكان بذلك ممن مهد الطريق مع الرواد الذين ذكرهم في هذا الحوار، وأظهر تواضعه حين أخفى ذكر اسمه وعنوان كتابه الذي ألفه. فإلى اللقاء الذي أجرته مجلة الأدب الإسلامي معه.

الناقد الدكتور محمد صالح الشنطي لـ (الأدب الإسلامي):

الأدب الإسلامي ينزع إلى التعامل مع المناهج السياقية التي لا تفصل بين العمل الأدبي ومحيطه وكاتبه، ولكنه لا ينغلق دون المناهج النصوصية

حوار: التحرير

■■ يتوق جمهور الأدب والنقد للاطلاع على السيرة الذاتية والعلمية لأصحاب القامات الشامخة في هذين الميدانين. والدكتور محمد صالح الشنطي قامة شامخة ومتميزة بعطائها الغزير والعميق، فماذا يُحَدِّث الجمهور عن سيرته الذاتية والعلمية؟

■ ليس في سيرتي الذاتية والعلمية ما يميزني عن أبناء جيلي، فقد درست اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وتخرجت فيها عام ١٩٦٨م، ثم أكملت دراستي العليا فيها حتى حصلت على الدكتوراه عام ١٩٨٢م.

عملت في سلك التعليم الثانوي حتى عام ١٩٨٠م، وبعد تفرغي للدراسة عملت أستاذا مساعدا بكلية المعلمين في حائل ثم أستاذا مشاركا، ثم أستاذا.

وفي عام ٢٠٠٦م؛ عينت في جامعة جدارا للدراسات العليا،

ثم رئيسا لقسم اللغة العربية، ثم عميدا للبحث العلمي والدراسات العليا، ثم عميدا للآداب حتى عام ٢٠١٤م، ثم دعيت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أستاذا زائرا حتى الآن.

شاركت في عقد الثمانينات الميلادية في النشاط الأدبي الصحفي والمنبري، كنت أقدم قراءات نقدية للملاحق الثقافية: ملحق المدينة وعكاظ والرياض والجزيرة واليوم، وفي الصفحات الأدبية لمجلات اليمامة والشرق والتوباد.

وتنقلت بين مختلف النوادي الأدبية وفروع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في المملكة العربية السعودية في جدة والرياض والمدينة المنورة ومكة المكرمة وأبها والباحة وجازان والدمام والأحساء وحائل والوجه، وفي الجوف، وشاركت في عدد كبير من المؤتمرات الأدبية والملتقيات والندوات في الأردن ومصر والمملكة العربية السعودية وغيرها، واشتركت مع زملائي الشاعر فارس سليمان وجهاد الكبيسي ونزيه أبو نضال في إصدار مجلة الأدب العربي.

أعددت مع زملائي حين كنت عميدا لكلية الآداب لمؤتمرين أدبيين شارك فيهما عدد كبير من الباحثين في العالم العربي، كما كنت نائبا للجنة التحضيرية الدولية التي أشرفت على عقد المؤتمر الدولي الأول لعمداء البحث العلمي والدراسات العليا في قطاع غزة. وكنت قد أشرفت على إعداد ندوة علمية سنوية كان يقيمها قسم اللغة العربية في كلية المعلمين في حائل حيث أصدرنا ما يقرب من عشرة كتب تتضمن أعمال هذه الندوة السنوية.

د. أحمد محمد علي

قمت بعون الله بنشر ما يربو على خمسة وثلاثين كتابا، وعدد كبير من الأبحاث والمقالات في نقد الشعر والسرد. حاولت أن أكتب بعض القصص القصيرة والشعر ونشرت بعضا منها، ولكنني انصرفت بعد ذلك للكتابات النقدية.

تشرفت بالتكريم في عدد من المحافل من قبل عدد من المؤسسات الثقافية، مثل وزارة الثقافة وإثنينية الشيخ عبد المقصود خوجه، وثلوثية السيف وكلية المعلمين بحائل، وبعض الأندية، والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون. واشتركت في لجنة الحكم لجائزة الملك فيصل العالمية ولجائزة العويس وجائزة الإبداع وغيرها.

وفي انتظار حسن الخاتمة نأمل أن يغفر الله لنا خطايانا ويتجاوز عن سيئاتنا، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

■■ لماذا هذا الجدل حول مصطلح الأدب الإسلامي؟

■ ثمة جدل واسع حول شرعية هذا المصطلح ؛ فثمة من يرى أن الإسلام رؤية شاملة لا تقتصر على الأدب، ولهذا فإن هذه المصطلحات الوليدة: الأدب الإسلامي والاقتصاد الإسلامي وعلم الاجتماع الإسلامي، وما إلى

ذلك تجزيئية لا ينبغي أن تستخدم، والعرب يقولون: «لا مشاحة في المصطلح»، ولا ينبغي أن يتحول ذلك إلى إشكالية تصرفنا عن الهدف الرئيس، وهو أن الأدب الإسلامي يأتي في إطار رؤية كلية، فلا ضير في معالجة هذه الظاهرة الثقافية الفنية في صلتها بتلك الرؤية؛ وهذا لا يعني التجزئة، ولذلك نقول: إن النسبة إلى إسلامية الأدب تظل في إطارها الثقافي وخصوصيتها الجمالية التي تستلهم إنسانية الإسلام وتصوره للإنسان والكون والحياة؛ فالإسلام دين حياة لا انفصام فيه بين السلوك والتصور والرؤى.

وفي هذا الإطار يأتي المنجز الأدبي الإسلامي منذ أن أسس له محمد رشيد رضا في كتابه (الخلافة أو الإمامة العظمى) الذي كان يضم مجمل مقالاته في المنار، حيث اعتبر في حديثه عن اللغة العربية وأثرها في توحيد الأمة مؤسسا للدعوة إلى الأدب الإسلامي، ومصطفى صادق الرافعي الذي عدت قصته (الطائشة) نموذجا مبكرا للأدب الإسلامي الحديث، وعد كتابه (تحت راية القرآن الكريم، أو المعركة بين الجديد والقديم) من الكتب التي عملت على إرساء الدعوة إلى الأدب الإسلامي، وقد

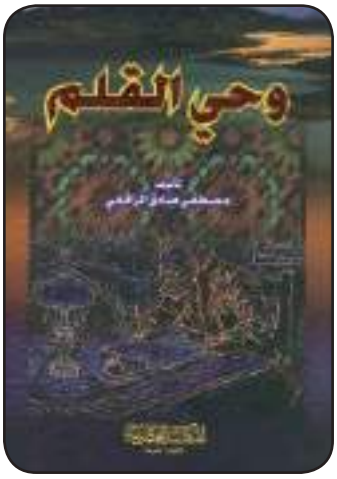

كان ممن يعدون مؤسسين في نقده وشعره لهذا المصطلح (الأدب الإسلامي)، وقد وصف بأنه في أعلى منازل الدعاة لهذا الأدب، وقد صنفت مقالاته في كتابيه (إعجاز القرآن)، و(وحي القلم) بأنها أسست للمقالة في الأدب الإسلامي الحديث، ووصفه نجيب الكيلاني بأنه في مقدمة المدافعين عن قيم الحضارة الإسلامية، وأنه عرف بجزالة الأسلوب، ودقة التعبير، أشار إلى ذلك محمد الحسناوي في حديثه عن الخاطرة والمقالة.

ومن الذين تبنوا الفكرة محب الدين الخطيب من خلال المنابر الصحفية التي تولى تحريرها مثل مجلة الفتح والزهراء (١٣٥٢هـ)، وكذلك محمد إقبال الشاعر الإسلامي المعروف (١٩٣٨م) في كتابه (فلسفة الذات) وذلك قبل أن يتبلور المصطلح على يد جملة من الكتاب الإسلاميين، مثل (أبو الحسن الندوي) ثم (سيد قطب) و(محمد قطب) و(عماد الدين خليل).

وفي اعتقادي يعد محمد قطب المنظّر الأول للأدب الإسلامي، فقد وضع في كتابه (منهج الفن الإسلامي) الأسس التي تبين ملامح هذا الأدب. وهنالك جهود الأستاذ محمد حسن بريغش (رحمه الله) في كتابه الشهير عن الأدب الإسلامي، والحسناوي، والدكتور عبد القدوس أبو صالح، والدكتور عبدالباسط بدر، والدكتور وليد قصاب، والعديد من الأدباء والنقاد.

وفي اعتقادي أيضاً أن من بين أهم البحوث التي أرخت لهذا المصطلح ما كتبه الدكتور محمد ماجد بن محمد الماجد تحت عنوان (مراجعات في

النشأة والتخصص)، وتحتشد مكتبة الأدب الإسلامي بأعداد كبيرة من الكتب والبحوث في الأدب الإسلامي، وهذا في حد ذاته منجز كبير يعتد به فضلا عن أن مادة الأدب الإسلامي قررت في عدد كبير من الجامعات الإسلامية، وأصبح لها أقسام مستقلة في بعضها.

إن من أهم العقبات التي تواجه الأدب الإسلامي أشباه الأدباء الذين يعتقدون أن مجرد ذكر بعض المفردات والتراكيب التي تنتمي إلى الخطاب الإسلامي أدب، ناهيك عن أن أولئك الذين يكثرون من الحديث عن مشروعية المصطلح يغفلون أمرا مهما وهو أن الأدب الإسلامي شأنه شأن غيره من المصطلحات الإبداعية والنقدية.

■■ للقصة والرواية في هذا العصر حضور وتأثير يفوق بقية الأجناس الأدبية، ما موقع القصة والرواية الإسلامية فيهما؟

■ الرواية الإسلامية تمثل تيارا سرديا مهما في الرواية العربية المعاصرة؛ ولكنها مكبلة محدودة المساحة؛ فالشخصيات فيها لا تتحرك بسهولة؛ ذلك أن شعورا داخليا لدى الروائي الإسلامي الملتزم يحول بينه وبين رسم نماذج من الشخصيات مخافة أن تخرج روايته عن إطارها الإسلامي كما يعتقد، على الرغم من أن كاتبا مثل عبدالحميد جودة السحار، وهو ممن يحسبون على الروائيين الإسلاميين، خرج في بعض رواياته عن المألوف وصورها متلبسة برذائلها مما جعل بعض النقاد

عبدالحميد السحار

نجيب الكيلاني

ينعى عليه ذلك في روايته (جسر الشيطان)؛ علما بأن رواياته وكتبه الإسلامية قد قاربت خمسين كتابا، جلّها أعمال روائية تناولت شخصيات إسلامية، واستلهمت التاريخ الإسلامي، وقد اتجه كثير من الروائيين الإسلاميين إلى التاريخ الإسلامي خشية انزلاقهم في وهدة الانحراف عن الجادة الإسلامية، وخصوصا الروائي الإسلامي نجيب الكيلاني الذي أغنى المكتبة الإسلامية.

وعلى الرغم مما يراه البعض من أنه لا يجد تلك الرواية المثالية - على حد التنظير المثالي لكثير من نقاد الأدب الإسلامي - بل نجد أن رواياته - رغم انطلاقها من تصور إسلامي- قد شابها بعض الشوائب من مشاهد مثيرة مستشهدين ببعضها، مثل رواية «جاد الله»، ورواية «ليل وقضبان»، ويرون أن هذه الروايات تخللتها مشاهد وتعبيرات لو قرأها النقاد الإسلاميون في أدب غير أدب نجيب الكيلاني لاعتبروه صورة مشينة، ومشاهد لا يقصد منها سوى إثارة الغرائز والإشاعة للفتنة على حد تعبير عبد الواحد الأنصاري.

ثمة واقع لا بد أن نتقرّى تضاريسه لنفهم أين وصلنا في

تكريس الأدب الإسلامي إبداعا وتنظيرا، ولنحافظ على قوة الدفع التي أحدثتها البدايات. فنحن أمام مد إسلامي متعثر؛ فالصحوة التي بدأت وسطية بريئة من التطرف والعنت تدثر بعباءتها كل من أراد أن يتخذ من الأسلمة التي كانت تيارا صافيا نقيا بمرجعياته ومقاصده اخترق في اتجاهين:

الأول انتهازي يريد أن يتسلق على شجرة الأدب الإسلامي ليبني له عشا في ذراها دون أن يمتلك أدوات تمكنه من ذلك، فحوّل الأدب الإسلامي إلى أدب شعاري تقريري خلط بين علوم الشريعة والفن الإسلامي في سنام إنسانيته وصفائه وتألقه كما لمسناه تنظيرا عند نخبة من النقاد من أمثال عبدالرحمن رأفت الباشا وعماد الدين خليل ومحمد حسن بريغش ومحمد الحسناوي وعبد القدوس أبو صالح وعبد الباسط بدر وحسن الهويمل وغيرهم.

والثاني نحا منحى آخر في تطرفه فأنكر وجود أدب إسلامي متهما إياه بالتجزيئي والافتعال؛ وعلى الرغم من ذلك فإن الأدب الإسلامي حقق إنجازات مهمة وأصبح تيارا يحتفى به في الجامعات والمؤسسات الثقافية.

ولعل كتاب (الأدب الإسلامي – المفهوم والقضية) الذي ألفه الدكتور علي صبح والدكتور عبد العزيز شرف والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الذي صدر عام ١٩٨٨م؛ يعتبر من الكتب التي أسست للأدب الإسلامي، فعلي صبح من المؤسسين نظريا وربما تطبيقيا لخصائص الأدب الإسلامي وموضوعاته وجمالياته.

د. علي صبح

وسواء اتفقنا معه أم اختلفنا، وخصوصا حين يحدد أغراض الأدب الإسلامي فهو إسهام مبكر في مشروع الأدب الإسلامي، أما عبد العزيز شرف فيعالج العلاقة بين الأدب والإعلام الإسلاميين، وأما عبد المنعم خفاجي فكانت دراسته أقرب إلى تاريخ الأدب ودراسة البلاغة القرآنية والحديث الشريف والسيرة وما إلى ذلك.

ولعل أعمال عماد الدين خليل التطبيقية وعودة الله منيع القيسي والنقود التطبيقية التي نهض بها نقاد آخرون لا يستهان بجهودهم تعبر عن هذا المنجز في تأسيس الأدب الإسلامي ناهيك عن إبداعات الكثير من الشعراء، مثل بهاء الدين الأميري وحسن الأمراني ونبيلة الخطيب وأحمد بهكلي، والعديد من كتاب القصة والرواية والمسرح، فالأدب الإسلامي بخير رغم كل التحديات، ومساحته التي لم تكتشف بعد شاسعة إذا أخذنا بعين الاعتبار التصور الذي قدمه محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي.

■■ يذهب بعض الدارسين إلى أن لغة النقد الأدبي الحديث عند طائفة من دعاة الحداثة كالطلاسم، لا تضيء النصوص الأدبية ولا تعين القارئ على فهمها وتذوقها. فهل ترون ذلك؟ وما أسباب هذه الظاهرة برأيكم؟

■ ليس من شك أن لغة النقد الأدبي الحديثة لدى طائفة من النقاد تحولت إلى جداول رياضية ولوغارتمات وأشكال هندسية تأثراً بالمدارس النقدية في مرحلة الحداثة ومرحلة ما بعد الحداثة،

تلك المدارس التي كشف خواءها وزيفها الدكتور عبد العزيز حمودة في ثلاثيته النقدية الشهيرة: المرايا المقعرة، والمرايا المحدبة، وسلطة النص.

ولعله من المعروف أن النقد الغربي مرَّ بثلاث مراحل: مرحلة النقد السياقي بمناهجه المعهودة: المناهج السياقية: المنهج التاريخي والاجتماعي والمنهج النفسي والمنهج الفني والمنهج التكاملي؛ ثم المناهج الحداثية: الشكلانية الروسية والنقد الجديد بشقيه الأوربي والأمريكي، والنقد الأسلوبي والنقد البنيوي، وما تولد عن هذه المناهج الألسنية مثل النقد العلاماتي (السيميائي)، والنقد النصوصي بعامة وما إلى ذلك. ثم مناهج ما بعد الحداثة، مثل التفكيك والنقد الثقافي ومدرسة التلقي والتاريخانية الحديثة والنسوية وما إلى ذلك.

وبالتأكيد فإن أدبنا الإسلامي ينزع إلى التعامل مع المناهج السياقية التي لا تفصل بين العمل الأدبي ومحيطه وكاتبه، ولكنه لا ينغلق دون المناهج النصوصية، مثل الأسلوبية، فهي أقرب إلى المناهج اللغوية الفنية، ولكنه يستبعد المناهج الشكلية ذات الفلسفات التي تنادي بموت المؤلف، وتدخل في متاهات فكرية تتناقض مع الروح الإسلامية.

■■ ما أحدث إنتاجكم؟ وماذا في حقيبتكم من عطاء قادم؟

■ أحدث ما نشرت كتاب (الخطاب النقدي في مقاربات القدماء والمعاصرين)، يقع في أربعة فصول : في نظرية النقد القديم، ونظرية النقد الحديث، ولغة النقد الحديث، والإشكاليات

عبدالعزيز حمودة

النقدية بين المعرفي والمنهجي، والحرية والاستبداد، وإشكالية الأنواع الأدبية، ومتعاليات الخطاب النقدي، والنقاد المعاصرين الرواد. وقد قام النادي الأدبي بالمدينة المنورة بنشره مشكورا.

ثمة كتاب معد للطبع عن النقد العربي القديم وقضاياه، ستتولى دار الأندلس نشره.

■■ ما رسالتكم للأدباء والنقاد بعامة ولأصحاب الاتجاه الإسلامي بخاصة في هذه الظروف التي تعيشها الأمة؟

■ رسالتي لهم ألا ينغلقوا على أنفسهم ويحولوا بينهم وبين التقنيات العصرية في الأدب بدعوى الالتزام، فديننا الحنيف يدعونا إلى التماس الحكمة من مظانها، فهي ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها، وقد رأينا كثيرا من الظواهر الفنية الجديد في شعر الدكتور حسن الأمراني، وفي شعر الشاعر عمر بهاء الدين الأميري رحمه الله، والشاعر أحمد بهكلي والدكتور العشماوي وغيرهم، وقد نالوا حظا من الاهتمام النقدي والانتشار يغبطون عليه.

ديننا العظيم دين تسامح، وعظمته تكمن في خصائص التصور فيه، حيث ينفتح على الإنسان والكون والواقع. وأدعو إخواني الشعراء إلى أن يصدروا عن فطرتهم وثقافتهم الإسلامية وروح العصر دون تعنت أو تشدد. فنحن مدعوون إلى أن نوغل برفق، فلن يشاد الدين أحد إلا غلبه، رسالتهم إنسانية في الدرجة الأولى، لأن رسالة الإسلام كذلك فليؤدوها في شعرهم بثقة وتصالح مع الذات والآخرين.

أتمنى لكم كل توفيق، حفظكم الله ورعاكم■

البرُّ أنت

حسين محمد باجنيد- السعودية

(في رثاء الشيخ أحمد بن محمد باجنيد - رحمه الله)

البر أنت وخير البر عاجله ... وإنه الحق إمّا أنت قائله

وللأصحاء عزم في تحركهم ... لكن عزمك لاشيء يماثله

تراه يمضي حثيثاً نحو غايته ... وقد تناسى ثمانيناً تسائله

يمشي بذي عجل للخير متئداً ... فإن تبدَّى له خيرٌ يعاجله

أفعاله فوق هام المجد تحمله ... وليس يرقى لها إلا شمائله

يا أحمداً كل خلق الله تحمَده ... البر أنت فلا جفت مناهله

نصحو على طارقٍ بالليل يوقظنا ... قوموا إلى جاركم قد مات عائله

لله درّك تدري ما يحيط بنا ... وقد نبيت وذاك الأمر شاغله

أخٌ لنا بيد أنَّا إخوة وأبٌ ... أوهكذا يصف الإحساس داخله

فكم حباني صنيعاً بتُّ أحمله ... وليس لي من صنيعي مايقابله

تراه يسعى لكسب الرزق في جلَدٍ ... وليس يأسى إذا ما عزَّ طائله

بـرٌ وفي بـره عـزٌ ومكـرمـة ... وخير بر بني الإنسان عاقِله

فسائل البر يسمو فوق حاجته ... كأنما يبذل الإحسانَ سائلهُ

ولليتامى حنـينٌ بين أضلعه ... فليس يشقى يتيمٌ أنت كافله

يا أحمداً كل خلق الله تحمده ... البر أنت فلا جفت مناهله

أبصـرتـه ولـه ديـن يـؤرقـه ... وخصمه موسرٌ باغٍ يماطلهُ

فقال قولتَهُ في وجه صاحبه ... الدَّين جمرٌ فلا يغريك آكِله

كم قلتها أحمدٌ برٌ بذي رحمٍ ... ويعلم الله أني لا أجامله

يظل يصغي حفياً رغم حالته ... ولا ينوء بفعل الخير كاهله

وكم يشاركنا في كل مسألةٍ ... ولا يضيق إذا صرنا نجادله

فكم تحلى بصبر لا يضارعه ... إلاه في البذل لا يثنيه حائله

صبر وبذل وميدان السباق هنا ... فهل رأيت له نـدّاً ينازله

يا أحمداً كل خلق الله تحمده ... البر أنت فلا جفت مناهله

كم كان يجهد والأطراف تخذله ... ولا يضارعه في الجهد عاذله

وكم حملت له براً لذي رحم ... كأنني في دروب الخير عامله

يا أحمداً كل خلق الله تحمده ... البر أنت فلا جفت مناهله

سبقتنا لدروب الخير قاطبة ... فما تركت لنا سبقاً نطاوله

وحين فرقنا درب الحياة فما ... أبقى لنا غير من بتنا نقابله

ناديت فينا فلبى كل ذي رحم ... وأنت فينا لواءَ البر حامله

رفيقةَ الدرب إن الدرب موحشةٌ ... وقد خلا من أنيس الدرب سابله

لكن وعداً من الرحمن بشرنا ... كلاكما في جنان الخلد نائله

يا أحمداً كل خلق الله تحمده ... البر أنت فلا جفت مناهله

تأبى الثقافة إلا أن تكرمكم ... كي لا يموت صنيعٌ مات فاعله

بني المبارك أكرمتم مسيرته ... لايكرم المرءَ إلا من يماثله

دلالة السؤال في ديوان

في كل عصر يعيش الناس على إيقاع أسئلة تتعالق فيها ملامح الحاضر وتراكمات الماضي واستشرافات المستقبل، وأسئلة الناس في ذلك أصناف: منها ما يأتي خلقا سويا نابعا من طينة الانتماء إلى القيم الحضارية المتجذرة في تاريخ الأمة وأمجادها، ومنها ما يأتي مشوها قد لبس حلة التغريب، وتشبث بأوهى الأسباب والنحل.

وفي فضاء الإبداع الأدبي ظل الباب مشرعا أمام أسئلة أفرزها حاضر الأمة المهين، فتعالت صيحات الأدباء وصرخاتهم المدوية في وجه العصر، فلا يكاد عمل إبداعي يخلو من حرقة السؤال، بل إن السؤال قد غدا الميسم الأساس لأدب العصر.

د.عمر الملاحي- المغرب

إن الأمـــراني الـــذي امتلك ناصية القريض، في فضاء الشعر المعبر عن الهوية الحضارية للأمة الإسلامية قد أبان عن مقدرة فنية متميزة في صياغة أسئلة الحاضر والغائب. ولعل من مظاهر التميز أن يفوح من أسئلة هذا الشاعر عبق المرحلة، دون السقوط في تضاريسها الوعرة، وشذا الماضي من غير الركون إلى أطلال أمجاده، ففي أولى محطات الديوان، تقابلنا أسئلة الحاضر في مقام الالتزام برسالة الأدب النبيلة:

هل يملك الشاعر أن يدجن الأشياء
أو أن يعلن البشاره
إن كان لا يعرف أن جوهر الحضارة
يسكن قلب الشعب كالشراره؟[1]

إنه سؤال الانتماء الذي يرفع الشاعر فوق أتون التدجين، ويجعله لسان صدق يعلن البشارة .

ومن أسئلة الحاضر أن جذوة الحروف تخبو إن لم يكتو الشاعر بلهيب الواقع المرير:

هل يملك الشاعر أن يفجر
الحروف كالقطر
وأن يؤنسن الأمطار
والليل والنهار
إن كان لا يجتاز خط النار؟

وفي المقام نفسه يتواتر السؤال الذي يهيمن على أفق القضية: قضية الماضي والحاضر والمستقبل معا، قضية أرض الإسراء المباركة وثورة الحجارة المجيدة:

هل يستطيع شاعر أن ينشد الأشعار
أو يمارس انفجاره
في غفلة عن لغة الحجارة؟[٢]

وتشتد وطأة السؤال وتعلو نبرته في فضاء الديوان، ففي مشهد سيمفوني يتوحد فيه الحاضر بالماضي، ويتهادى أفق الاستشراف تعبيرا عن ثورة القيم: قيم النقاء في زمن العفونة والسقوط:

هل تبدأ الثورة من محاجر امرأة؟[٣]

إنها المرأة الرمز/ المرأة التي تجد امتدادها في ماضي الأمة، وفي سجل الخالدات من نساء هذه الأمة: أسماء وخولة والبلجاء ونسيبة وسواهن كثر:

خولة كانت في دمي سيفا من النور
والبلجاء:
لم تكن البلجاء
نعامة ربداء
ونسيبة:
ولم تكن نسيبة في أحد
قعيدة العطور والحناء.[٤]

تتحدد طبيعة الثورة في بنية السؤال على هذا النحو الذي يتحد معه الماضي بالحاضر، دونما حاجة إلى البحث عن أسباب هذا الترابط الوثيق مادامت القيم النبيلة خالدة لا يدركها الأفول، وإن أصابها بعض الوهن تحت وقع ماديات العصر وملذاته.

وفي غمرة هذه الثورة يستشعر الشاعر «حسن الأمراني» صدق الإحساس بطبيعة اللحظة الحضارية التي تجتازها أمة

د.حسن الأمراني

الإسلام، وما دلالة السؤال هنا إلا بعض من مظاهر هذا الإحساس.

وفي قصيدة «البستان» من الديوان نفسه تتعالى نبرة السؤال، مرة أخرى وفي نسيج محكم يوحد الزمان في أبعاده الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، في تيمة جامعة مدارها مرارة الواقع واغتراب المسلم. يقول الأمراني معبرا عن هذا الحال:

فماذا أقول
وقد نبت العوسج المر فوق لساني؟
ويصدر السؤال من عمق هذه المرارة
من سيصون شعاع الضمير
ومن يحضن الأمل المستجير؟[٥]

ويختار الأمراني للدلالة على عمق المعاناة الطفلة العربية عميرة التي أدركها فيضان «أرمو الكولومبية»، والاختيار يؤشر على المنحى الحضاري في رؤية الشعر الإسلامي المعاصر الذي ما فتئ يعانق قضايا المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها.

في نبرة السؤال نقرأ مرة أخرى، ملامح أزمة الضمير في زمن تنهار فيه القيم الفاضلة:

ومن سيصون شعاع الضمير؟

ولربما كان الغد أشد مرارة بناء من الدلالة التي توحي بها صيغة الفعل«سيصون»، كما نقرأ في السؤال الثاني ملامح الضياع في عالم لا يرحم:

ومن يحضن الأمل المستجير؟

وتتواتر الأسئلة في القصيدة الثالثة من الديوان، وهي جميعها محكومة بالظرف التاريخي الموبوء.

ولعل الذي يستوقفنا مليا في مثل هذا المقام، هذا الأداء الفني المتميز، على عادة الشاعر حسن الأمراني في استدعاء لافت للانتباه لشخصية الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري شهيد مشارف القسطنطينية، إذ جاء عنوان القصيدة ومقاطعها مصدرا بلفظة اعتذار من الشاعر ووراءه كل مخلص من أبناء هذه الأمة إلى الرعيل الأول من جيل الصحابة من طينة أبي أيوب الأنصاري: أقدم اعتذاري إلى أبي أيوب الأنصاري، وهي اعتذارات متشبعة تنم عن الحنين إلى عصر النبوة والفتوحات الإسلامية أو لنقل إلى الزمن المشرق في سجل تاريخ هذه الأمة المجيدة■

الهوامش:

(١) حسن الأمراني: ثلاثية الغيب والشهادة، المطبعة المركزية وجدة، الطبعة الأولى ١٤١٠ه-١٩٨٩م، ص٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٦.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٢.
(٤) نفسه، ص١٤.
(٥) نفسه، ص٤٣.

وَفَيْتَ أبا الوفاء

في رثاء الشيخ أحمد باجنيد، رحمه الله .

د.أحمد بن يحيى البهكلي- السعودية

عـزاءٌ؟! ليس ثَمَّةَ من عَزاءِ ... سـوى ألَـقٍ نبيل من ضياءِ

عـزاءٌ للمحبين الحَـزَانَـى ... وقد ضَجُّوا لِفَقْدِكَ بالبكاءِ

لأنـكَ كنتَ مَـأْرِزَهم وإنْ قدْ ... رحلتَ فأنتَ ينبوعُ السخاءِ

وقفتَ مع الأماجد مثلَ طَوْدٍ ... تَـذُبُّ عن التّقَى والأتقيـاءِ

وتَسْـقي زَهْـرَ آدابٍ بفكرٍ ... يُضمّخُها بأطياب السماءِ

إذا ادَّكَروا جميلَكَ ذاب وَجْدٌ ... وضَـجَّتْ ألسُنٌ لـكَ بالدعاءِ

جُزِيتَ الخُلْدَ يا ابنَ جُنيدَ هذي ... محـامـدُ قـد جَـلاهـا كل راءِ

وَفَيْتَ أبا الوفاء وسوف نبقى ... نسير على طريقك في الوفاءِ

إلى الشيخ: أحمد محمد باجنيد
(في مَقْعَد صدْق، عنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ).

وَفاءُ الوَفاء

د. عمر خلوف - سورية

رِثائي جَلَّ عن صِفَةِ الرِّثاء ... ونـاداني الـوَفـاءُ إلى الـوَفـاءِ
أيـا شَـيْـخَ الـوَفـاءِ ولا أُغـالي ... ورَبِّ الصالِحاتِ، ولا أُرائي
أَجَبْتَ نِـداءَ خالِقِكَ امْتِثالاً ... ولَيسَ تُـرَدُّ سابِقَةُ القَضاءِ
فإنْ خَفِيَتْ مَخَايِلُكَ الغَوالي ... فَما خَلِيَ المكانُ من البَهاءِ
ومَقْعَدُكَ المُضَمَّخُ بِالمَعالي ... سَيَبْقَى كَوكَباً أَلِقَ الضِّياءِ

* * *

أطاعَ الشِّعْرُ فيكَ القلبَ حتّى ... أجـادَ، وكـانَ موصولَ الإبـاءِ
سَأَشْهِدُ بِالثَّناءِ عليكَ شِعْري ... ويَشْهَدُ عارِفوكَ على ثَنائي
وأُثْـنـي بالذي عَـرَفوا وذاقوا ... لِشَهْدٍ مِنْ خَلائِقِكَ الوِطاءِ
نُحاوِلُ أنْ نَـرُدَّ إليكَ شُكْراً ... وما لِمَديدِ فَضْلِكَ مِنْ كِفاءِ

* * *

لَبِسْتَ الصالِحاتِ لِباسَ تَقوَى ... ولكنْ قَدْ عَرِيتَ منَ الرِّياءِ
ومازَكَ في الوَرَى حَسَبٌ ودِينٌ ... وحَـظٌّ في المَكـارِمِ والسّخاءِ
تَـخَـيَّرَكَ الإلـهُ، فكُنْتَ فَـذّاً ... وخَصَّكَ بالسَّماحَةِ والحَياءِ
فكَمْ جادَتْ يَداكَ نَدًى وجُوداً ... وما قُبِضَتْ يَداكَ عن العَطاءِ
وكَمْ وَرَدَتْ نَداكَ وُجُوهُ خَيْرٍ ... وقَدْ صَدَرَتْ بِخالِصَةِ الدُّعاءِ
فوجْهُكَ للغَريبِ يَفيضُ لِيناً ... يُجَلِّي عَنْهُ أثْقالَ اللِّقاءِ
سَبَقْتَ السائرينَ إلى المَعالي ... وحُزْتَ الذِّكْرَ مَوفورَ الجَزاءِ
فرُحْتَ قدِ ارتَدَيْتَ الفَضْلَ ثَوباً ... جميلاً عَـزَّ في الدّنيا لِـراءِ

* * *

بَنَيْتَ لآلِ بيتِكَ صَـرْحَ فَخْرٍ ... يَكِلُّ الطَّرْفُ عن ذاكَ البِناءِ
وشِدْتَ لَهُمْ منَ الأمْجادِ ذِكْراً ... فـأَبْـوا بالـمَـحـامِدِ والثّـنـاءِ
فما ضاعَتْ صَنائِعُكَ اللواتي ... بذَلْتَ، فأنبَتَتْ خَيرَ النَّماءِ
فَيا بُشْراكَ فيما اللّهُ أعْطَى ... ويا بُشْـراكَ في أهْـلِ العَلاءِ
تَـقَـبّـلَـكَ الإلـهُ، بِـغَـيرِ مَـنٍّ ... مـعَ الشُّـهَـداءِ ثُـمَّ الأوْلِـيـاءِ
ومَـنْ كَـتَـبَ الإلـهُ لَـهُ قُـبولاً ... بِدُنـيـاهُ ، تُـقُـبِّـلَ في السَّماءِ
ومِنْ أحبابِكَ الكَلِمَى سَلامٌ ... على أهلِ الـمَـوَدّةِ والصّفاءِ

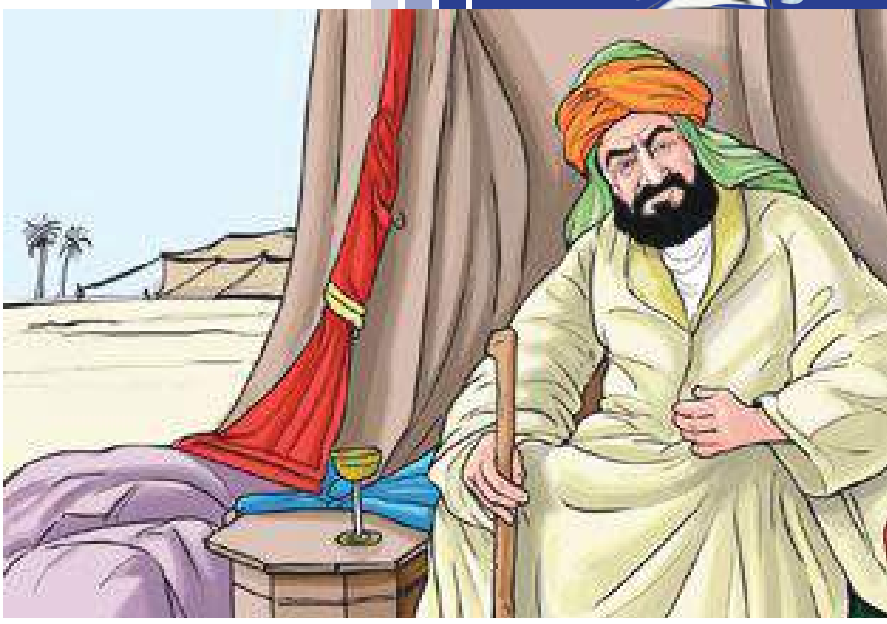

د.أحمد يحيى علي- مصر

الجناس في سيرة الإنسان بلاغة

رحلة الشاعر الحطيئة من النار إلى النور

إن الحديث عن الشعر بوصفه نوعا أدبيًا يحمل في طياته حديثًا عن العملية الأدبية برمتها فيما يتعلق بجانب المتعة المحض قرين اللذة، وجانب المنفعة قرين التربية والارتفاع بالبنيان الفكري والأخلاقي لكل من المرسل والمتلقي معًا، وما من شك في أن ذلك سيقود إلى أداة الاستثناء الفاصلة بشكل حاد بين صنفين من مبدعي الشعر، الأول: مذموم، والثاني محمود الفعل والسلوك ﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ (الشعراء).

إن السياق المحيط بالإنسان يعد بمثابة فاعل مؤثر وموجه بدرجة كبيرة في الإنسان الذي يصير كأنه مفعول به يتلقى أثر هذا الفاعل عليه، والإسلام الذي جاء لينظم حياة الفرد وينظم سلوكه قد ترك أثرا قويا في العملية الأدبية لدى أجدادنا العرب ظهر ذلك جليا في قرض قصيدة الشعر التي تأثرت كثيرا على مستوى المحتوى الذي يبثه صاحبها إلى المتلقي بهذه العقيدة التي جاءت رحمة للعالمين، نرى ذلك في أحوال الشعراء محمودي الفِعال الذين يمكن القول: إنهم يسكنون بعد أداة الاستثناء(إلا) في نص سورة الشعراء؛ لقد انتقلوا بالإسلام من حال إلى حال ليس فقط على مستوى الواقع المعيش، بل على مستوى الفن المصنوع كذلك، يتضح هذا الترقي كشمس ساطعة إذا ما نظرنا إلى نماذج مثل: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم..

أبجدية الشاعر الحطيئة:

في طريق الالتحاق بهؤلاء الكرام مر البعض بعثرات ومحطات مظلمة يمكن نعتها بالسلبية حتى هداهم الله إلى الوصول إلى محطة الخشوع والتقوى في ميعاد قدره..من هؤلاء الحطيئة (جرول) الذي ولد لأمة

كانت ملك أوس بن مالك العبسي، ولعل لقب الحطيئة لم يكن بعيدا عن أمور تتعلق بهيئته الظاهرة التي لم تكن تروق للناظرين، ووضعيته الاجتماعية الدنية[1]، وهي مؤثرات وصلت إلى شخصيته من عالمه الخارجي وتركت أثرها في تشكيل حالة نفسية ناقمة، رافضة، متمردة؛ نحن إذًا بصدد أزمة وقع الشاعر ضحية لها، هل سيتوقف صاحبها مهزومًا أمامها؟ أم سيسعى إلى تجاوزها والتغلب عليها؟ وكيف؟

البداية ستكون بصحبته للشاعر الفحل زهير بن أبي سلمى يتعلم منه ويقوي موهبته الشعرية بملازمته له؛ فإذا كان وضيع المنزلة بحكم هيئته الاجتماعية فسيعالج ذلك برد فعل هو الإبداع الذي له منزلة في قلب العربي عاشق اللغة والاستخدام الجميل لها بالشعر وبالنثر.

يظهر الإسلام في شبه جزيرة العرب فلا يتبعه الحطيئة، ولم لا!؟ إنه الشاعر المتمرد الرافض الذي بقي قلبه مغلقا دون نور الإيمان والهدى، لا يكتفي فقط بعتبة الرفض والإنكار، بل يوظف لسانه الناطق بالشعر ليهاجم الدعوة ونبيها وأهلها..وتتأخر محطة النور في حياته كثيرا حتى اختلف الرواة في ذلك؛ أقَدِمَ على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة يشهر إسلامه بين يديه؟ أم أنه تأخر في اعتناقه حتى توفي الرسول صلى عليه وسلم ذاهبا إلى جوار ربه؟ ودليل ذلك مسارعته إلى الردة، معينا بشعره المرتدين ضد أبي بكر وخلافته، حتى ليقول:

أطعنا رسولَ الله إذ كان بيننا
فيا لعباد الله ما لأبي بكرِ
أيورثُها بكر إذا مات بعده
فتلك وبيت الله قاصمة الظهرِ[2]

إنها مرحلة الظلمة إذًا في حياة إنسان، وبقول ثان مرحلة النار في حياة صاحبها..وكان لهذه المرحلة مظاهر تجلت في لسان شتام بالشعر، هجَّاء يتوجه كسوط ضارب على ظهور من يهجوهم، ومن هؤلاء الزبرقان بن بدر الذي قال فيه شاتما:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها
واقعدْ فإنَّك أنت الطاعمُ الكاسي[3]

حتى قيل عن هذا البيت: إنه من أقسى ما قيل في الشتم والنيل من كرامة إنسان؛ لأنه شبه فيه رجلا بامرأة وخلع عنه رداء نوعه الذي خلقه الله به؛ فمعروف في ثقافة العربي أن الطاعم الكاسي أحوال لا تليق إلا بالنساء اللاتي يجلسن في بيوتهن منتظرات عطاء الرجل الراعي وثمار سعيه وعمله وترحاله..

وفي مرحلة الظلمة/النار هجاء للأهل والعشيرة، وهجاء لنفسه التي لم يجد غيرها ذات يوم ليسبه فسبها هي:

أَرَى لِيَ وجْهًا شوَّه اللهُ خلقه
فقُبِّح من وجهٍ وقُبِّح حَامِلُهْ[4]

لكن هذه المرحلة لم يشأ الله أن تكون وحدها الملونة لحياة صاحبها بلون الضلال والبعد عن طريق مستقيم السير عليه ينجي صاحبه بين يدي ربه ويكتب له بإذنه النجاة والسعادة في الدنيا وفي الآخرة..إنها إرادة الله التي يهيئ لها أسباب تمكينها على الأرض، نلمح ذلك في خشوع ونحن ننصت إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾(الأنعام)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾(القصص)، ففي مرايا شعره يمكن النظر إلى ذلك العروج والارتقاء النفسي والقلبي الذي انعكس ظاهرا في كلمته المُبدَعة؛ فهذا قوله لمن أسدى إليه خيرا فصادف من لسانه شكرا وبرا:

فلْيَجْزه الله خيرًا من أخي ثقةٍ
وليهده بهُدى الخيراتِ هاديْها[5]

إنه الله الذي يستحضره ويدعو به ويجعله نصب عينيه فيما بينه وبين عباده..هذا الارتباط به يعني الانتقال من

مرحلة الغضب والانفعال الذي يظهر من بين ما يظهر في الملفوظ بالقول إلى مرحلة الحكمة التي تنطلق من قلب مؤمن بها باحث عن سامع يحيلها إلى سلوك يبني نفسه ويبني غيره، ورُبَّ مبلِّغ أوعى من سامع! فهو القائل:

مـنْ يـفـعـلِ الـخـيـرَ لا يُـعـدمْ جـوازيَـه
لا يـذهـبُ الـعـرفُ بـيـن الله والـنَّـاسِ[٦]

حتى لقد قال الراوي أبو عمرو بن العلاء: لم تقل العرب بيتا أصدق من بيت الحطيئة..

وربنا الذي يقول في التقوى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)﴾(البقرة) ، هاهو ذا الحطيئة(جرول) تتلقى نفسه هذه الآية ويتدبرها قلبه، والقلب سلطان الجوارح فتجد اللسان يردد بالشعر عاكسًا هذه الحال بين عبد وبعض من كلام ربه:

ولـسـتُ أرى الـسـعـادةَ جـمـع مـالٍ
ولـكـن الـتـقـيَّ هـو الـسَّـعِـيـدُ
وتـقـوى الله خـيـرُ الـزادِ ذُخْـرًا
وعـنـد الله لـلأتـقـى مـزيـدُ[٧]

كأنها إذًا عتبة النور التي أفضت إليه نفس إنسان وهذه تجلياتها، فلا شك في أن القلب الذي تخلص من شواغل الدنيا وشوائبها من حب مال ومنصب ومن رياء وسمعة بحثا عن مخافة الله ومراقبته بحق هو قلب يرجو السلامة التي تنجي صاحبه من خزي الآخرة، ذلك الخزي الذي استعاذ منه نبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ (الشعراء) ، وفي هذا الترقي نجدنا أمام صفتين للإنسان في ابتعاده واقترابه من ربه:

الأولى: أرضية.

الثانية: ربَّانية.

إن ما يتلفظ به الإنسان لديه رقيب عتيد؛ ومن ثم فإن مسؤولية الكلمة تقتضي من المهمومين بالدعوة والتربية

إدراك ذلك بوعي، كلٌّ في موقعه؛ فالشاعر الحريص على أن يؤدي دورا بالكلمة الجميلة يقدر أن الأدب على تعدد أنواعه رسالة بناء في جوهرها وغايتها لا مجرد إحداث أثر إمتاعي قد يتلاشى بمرور الوقت؛ فإذا كانت الوسيلة صياغة بإيقاع يهتز له القلب فيجب عدم الاستغراق في الوسيلة بالوقوف عندها والابتعاد عن الغاية المرجوة، ألا وهي القيمة التي يُراد لها الوصول إلى وعي مستقبلها لتستأنف بذلك مسيرا جديدا في الحضور والانتشار على يد هذا المتلقي بما تحمله من فضيلة تربي وتعلِّم[٨].

إذًا فإن الإنسان بصفة عامة يتحرك في دنياه حركة بلاغية بديعية سمتها الجناس؛ فمن النار/الكفر أو المعصية، إلى النور/الإيمان والقرب من الله ومراقبته وتقواه■

الهوامش:

(١) انظر: د.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر صدر الإسلام، ص٩٥، الطبعة الثالثة والعشرون، دار المعارف بالقاهرة دون تاريخ.

(٢) السابق، ص٩٦.

(٣) السابق، ص٩٧.

(٤) السابق، ص٩٩.

(٥) د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر صدر الإسلام، ص٩٩.

(٦) السابق، ص٩٩.

(٧) د.شوقي ضيف، ص٩٩.

(٨) د.سيد قطب وآخرون، في مجالس الشعر، ص٢٥، تحرير: د.أحمد يحيى، طبعة ٢٠١٣م، دار الهاني، القاهرة

نداء القدس

د. مصطفى محمد عبد الفتاح - سورية

دع النوح، لا تذرف علي المآقيا ... فطوفان هذا الدمع ألقى الدواهيا
دع النوح، لا تمضي السفينة في المدى ... إذا لامست منها الشراع الأمانيا
أناخ البكا، حتى أهاض جوانحي ... وبعد ضياء الشمس عشت الدياجيا
سقى الله أياما، علي وفاؤها ... غرست بها في الخافقين ضيائيا
حجارة أرضي كل سجدة عابد ... ولمسة داع سار في الناس هاديا
أأنسى مقام الأنبياء بساحتي ... وحولي منار للملائك دانيا؟
يحفون بالركب المهيب، محمدا ... يطوف به جبريل، يسعى مناديا
أقام صلاة، ما تعزى بمثلها ... مكان بوجه الأرض، إلا مكانيا
فيا ليلة الإسراء ليتك سرمد ... وليت نهاراتي استحالت لياليا

* * *

أنا المسجد الأقصى شقي بغربتي ... - كغربة هذي الدار - بين الأعاديا
إذا عادني طيف البراق بطهره ... أقام بي (الماسون) قبح المساويا
وإن أشرقت شمس الدعاة لموكب ... به عمر الفاروق حل إساريا
أظلت سحابات الحريق، وغطني ... ضباب المكابي، شد مني وثاقيا
أبعد الندى والعز والحق والهدى ... وبعد أذان الجهر غاب ندائيا؟
وحل نعيب البوم فوق مآذني ... وطال هنا من كان في السبي ذاويا
سلوا كل أبوابي وأرضي وساحتي ... عن الكفر فيها، كم أقام المعاصيا
سلوا المنبر المحزون: أين صلاحه؟ ... سلوا ذلك المحراب: هل بات خاليا؟
سلوا قبتي، عن كل طفل وطفلة ... وعن كل شيخ غادر الساح داميا
ستنبيكم الأيام أن ملامحي ... جراح، وأني قد نزفت فؤاديا

* * *

أنا القبلة الأولى فأين أحبتي؟ ... يعودون بالتكبير أين رجاليا؟
غدا - في وعيد الله - تأتي مواكب ... تتبر ما يبني اليهود تماديا
وتطوي - مع الدجال - صفحة غربتي ... إذا طيلسان الحقد رام فنائيا
بعزم وحزم، واقتدار، وحكمة ... وقلب سقى الإيمان منه النواحيا
لذلك فاسعوا، ليس بالنوح والبكا ... فما زادني الباكون إلا مخازيا
إلى الله أشكو كبوة بعد نهضة ... وفي أمة التوحيد أشكو التناسيا

حكاية أديب

سماح أحمد بادبيان - اليمن

تناول رشفة صغيرة من عصير البرتقال وأخذ نفسا عميقا، شدَّ يده على القلم، وبدأ يخط على الصفحة البيضاء أمامه:

((مساء شتوي مخيف، أصوات المدافع تنبعث من العدم، تخطف القلوب وتصهرها في بوتقة الرعب والهلع.. احتضنت الأم طفلتها الصغيرة: لا تخافي يا حبيبتي فأنت بين يدي.

سألتها الطفلة: لِمَ، لمْ يعد أبي؟

ابتسمت قائلة: سيعود في الصباح.

تداخلت في عقلها الأفكار..هل سيعود؟؟ خرج منذ الظهيرة لشراء أرغفة الخبز، تأخر كثيراً وقد قارب المساء!!

لكن المخابز جميعها مغلقة، مخبز واحد فقط في طرف المدينة يبيع الخبز.. لا بد أنه غرق وسط طوابير البشر الباحثة عن لقمة تشبع بها الأفواه الجائعة المنتظرة في المنازل.

أكوام الأحجار في الطريق تعيق الحركة، تتناثر المنازل تحت القصف وكأنها قصور من تراب بناها طفل صغير، وهو يلعب على شاطئ البحر، فغمرتها موجة قادمة مع المد وسوتها بالأرض.

يذكّرها البحر برحلة العائلة في الصيف الماضي، مذاق عصير الزيتون ما زال في فمها، قصور الرمل التي بناها زوجها صمدت حتى المساء قبل أن تغمرها المياه وتسويها بالأرض، أصوات غناء أطفال إخوتها في السيارة تصدح في أذنها بألحانها الشجية..

صنعت من جسدها ترساً تحمي به الطفلة النائمة في أحضانها من أي خطر مجهول...

انقضى ليل آخر طويل، وأشرقت الشمس، واختفت بشروقها أصوات الانفجارات وكأنها تتوارى بنورها الباهت خجلاً من أنوار الصباح المشرقة!!

بدأت الحياة تَدُبُّ في المدينة المدمرة.. أصوات أبواق سيارات الإسعاف تدوي في الأرجاء..

الشباب في الشوارع يرفعون مخلفات عنف همجي صبَّ جام غضبه في المساء، يبحثون عن حياة لعلها دفنت تحت الركام!!

منزل فقد طابقه الثاني، وآخر اختفى تحت أكوام الأحجار، صرخ أحدهم:

- وجدت شيئاً!!

أسرع الجميع.. أزالوا الحجارة.. نفضوا التراب.. سحبوا البطانية..

وقف الجميع بذهول يتأملون ما يرون.. هو وحده، ألقى الأرغفة الثلاثة من يده وجثا على ركبتيه... وأمام عينيه فوق البطانية جسدان رقيقان يسبحان في بركة دماء!!)).

وضع القلم، أعاد القراءة وهو يرتشف ما تبقى من عصير البرتقال.. هزَّ رأسه راضياً بما أملاهُ خاطرهُ على قلمهِ، فسطَّرتهُ يده.

طرق باب المكتب، وسلّمها للمدير، دقائق مضت قبل أن يرفع المدير عينيه عن الأوراق ويعيدها إليه قائلاً: (لا تصلح للنشر، حاول مرة أخرى في موضوع آخر بعيداً عن الحروب والمآسي)

❋ ❋ ❋

عاد إلى حيث كان جالساً، استلم قلمه، حكَّ رأسهُ بناصيةِ القلمِ قليلاً، ثم شرع يكتب:

«وقف أمام المرآة يعدل ملابسه، ربطة عنقه الحمراء تخنقه تكاد تكتم أنفاسه، لكن لا مفر له من لبسها حتى تكتمل أناقته. تفقد ملفه: (شهادة الثانوية، شهادة الدراسة الجامعية، شهادة إتقان اللغة الإنجليزية، وشهادة الرخصة الدولية لقيادة الحاسوب، توصيات من إدارات المعاهد التي درس فيها، وشهادة حسن سيرة وسلوك من شيخ منطقتهم».

هتف بمرح: الأمور مبشرة بالخير.

التقت عيناه بعيني الوالدة الواقفة تتأمله عند باب الغرفة، فقال مازحاً:

- لا تقلقي يا أماه، أعدك بأن يكسو عظمك اللحم قريباً بعد أن أستلم الوظيفة، وستزورين الطبيب تشكين السمنة.

رفعت يديها إلى السماء تُمطره بالدعوات..

وصل إلى الشركة..

للمرة الرابعة يجلس على كرسي الانتظار أمام مكتب المدير، لم يشفع له تقديره الممتاز في نيل الوظيفة في المرات الثلاث السابقة.!!

في المرة الأولى نظر إليه المدير شزراً وقال:

- ما قيمة شهاداتك من دون إتقان أي لغة أخرى، مازال أمامك درب طويل!.

يومها لم يعد إلى منزله، بل إلى معهد اللغات الأجنبية في مدينته ليسجل اسمه طالباً فيه، ثم عاد إلى أمه راجياً إياها أن تقتصد في المصاريف لتوفير رسوم دراسته:

- خبز وفول يكفي الآن، وغداً سنأكل ما نشاء عندما أستلم الوظيفة.

ومضت شهور الدراسة..

وعاد إلى الشركة ثانية بشهادة امتياز أخرى حشا بها ملفه.. قلّب المدير الملف، ووضعه جانباً ثم سأله:

- هل تجيد استعمال الحاسوب؟؟

لم يستسلم، وعاد ثانية لينضم إلى صفوف الدارسين في معهد الحاسوب..

- لا ضير يا أمي بشهرين آخرين نحياهما على الخبز والفول.. وغداً أعوضك عن كل شيء.

في المرة الثالثة أتى حاملاً ملفه الكبير تتقدم أوراقه شهادة الرخصة الدولية في قيادة الحاسوب.. ولكن لم يُسمح له بمقابلة المدير، وقالت له السكرتيرة يومها:

– لقد كثر المخادعون واللصوص، لذا أضفنا شرطاً جديداً لمن يتقدم للوظيفة بأن يُحضر معه توصية من مكان دراسته، وشهادة حسن سيرة وسلوك من شيخ منطقته، فهل أحضرتهما معك؟

عاد أدراجه يسعى من مكان لآخر، وقضى أسبوعاً في رحلة بين المعاهد حتى حصل على التوصيات وألحقها بشهادة حسن السيرة والسلوك من شيخ المنطقة.

وهاهو ذا اليوم يؤمِّل نفسه: (ملفي الحافل بالشهادات لن يخذلني، تقديرات الامتياز تزين واجهة كل شهاداتي، الخطوة الأولى موظف هنا،

والخطوة التالية أن أترقى لأجلس مكان المدير!.)

أدخلته السكرتيرة إلى مكتب المدير.. ملامحه الهادئة أشعرته بالاطمئنان والرضا، (لن يذهب تعبي وتعبك يا أمي سدى).

تسمرت عيناه في شفتي المدير.. بانتظار ما ينفرج عنهما من كلمات وحروف..!

قلَّبَ المدير الملف بهدوء، وأخيراً رفع رأسه إليه، مطّ شفتيه وأشعل سيجارة نفث دخانها السام ملوثاً أجواء الغرفة، ثم قال:

– ليس لديك أي خبرة سابقة، لا يمكن أن نعتمد على شخص لم يجرب ميدان العمل، عندما تكتسب الخبرة الكافية تعال لأوظفك.

جرَّ نفسه إلى منزله هذه المرة بفؤاد جريح، وقلب محطم، استقبلته أمه أمام الباب، لم يستطع أن يرفع رأسه إلى وجهها فدفنه في أحضانها ودموع الخيبة تسيل على وجنتيه بغزارة كطفل صغير فقد لعبته المفضلة!!

ربتت على رأسه بحنان وقالت:

– لا بأس عليك يا ولدي لقد اعتدتُ على الخبز والفول!.))

وضع القلم يتأملها، ويصلح ما وقع فيه من أخطاء إملائية.. هزّ رأسه – للمرة الثانية – راضياً بما سطّر وروى.

عاد إلى المدير وسلَّمها إليه، دقائق تمرُّ وكأنها ساعات... خُيِّل إليه أن حدقتي عيني المدير تضيقان رغم سماكة النظارة التي يرتديها!

تنهد بعمق ملقياً الأوراق من يده، ثم شبك كفّيه أمامه متكئاً بمرفقيه على سطح المكتب قائلاً: (للأسف ما زالت لا تصلح للنشر، لديك أسلوب رائع لكنك تفتقد الفكرة، سأعطيك نصيحة قيِّمة إذا أردتَ أن تحترف الأدب اترك الكآبة جانباً، وانظر إلى ما حولك من الطبيعة والحياة).

❋ ❋ ❋

عاد إلى مكانه مجدداً وأخذ أوراقاً جديدة من السكرتيرة، فقد استنفد كل أوراقه التي أخذها سابقاً..

استمرَّ يحكُ رأسه بالقلم عدة دقائق.. (أين أجد فكرة لأكتب حولها؟)

جال بناظريه فيما حوله، الساعة الرابعة عصراً، السكرتيرة على مكتبها منشغلة بترتيب بعض الأوراق والملفات، بجانبه فتىً منهمكٍ في الكتابة منذ ساعة، أكمل قصتيه السابقتين، ومازال هو يكتب واحدة!!

اختلس نظرة لكلماته علّها تلهمه شيئاً، أو يقتبس منها فكرة :

(جلسا تحت ظل شجرة عنب كبيرة يتبادلان عبارات لطيفة... كان الجو ممطراً وجميلاً...!)

تساءل في نفسه: أين توجد مثل هذه الشجرة الأسطورية؟؟

الجو الممطر يذكره بالدموع، وقد ذرف كثيراً منها في جنازة أمه..

لم يجد في ذلك ما يكتبه.. عاد يختلس النظر إلى العبارات الأخرى:

(سيطر حبها على قلبه حتى تملَّكه... قبلة بريئة... أجمل أيام الدراسة الجامعية...)

لم يفهم الرابط بين عباراته..!

أيام الدراسة الجامعية تذكره بالعمل المرهق الذي اضطر إليه لتوفير مصاريف الدراسة.. والقبلة البريئة تعصف برياح الأحزان في قلبه، وتعيد إليه ملامح طفولية، اختفت من عالمه قبل عدة سنوات، أما الحب فكلمة دفنها يوم دفن عائلته وغادر وطنه.

لم يعجبه نصه الرومانسي الخيالي.. فعاد إلى أوراقه، يُذكّره بياضها بالسيدة (نهاد) مديرة ملجأ الأيتام، كانت طويلة القامة، بملامح هادئة، ووجه مشرق من شدة البياض، لكنه لا يجد في ذلك أيضاً ما يكتبه!

وقف أمام النافذة يتأمل السماء باحثاً عمّا يمكن أن يكتب حوله، استغرق وقتاً طويلاً قبل أن يجد الفكرة فأسرع إلى أوراقه يكتب:

((السماء صافية، أسراب من الطيور المهاجرة تعود إلى أعشاشها التي هجرتها في مواسم الشتاء لتبحث عن الدفء والأمان..

طائر صغير في آخر السرب عجز عن اللحاق بأصحابه، خانه جناحاه الصغيران، رفرف بقوة لساعات قبل أن تخور قواه فيتوقف ليستريح قليلاً على إحدى الأشجار.

ولكن لشدة تعبه نام قليلاً، ولمّا استيقظ لم يجد أثراً لسربه الطائر، أرهف السمع علّه يسمع شيئاً من زقزقتها من دون فائدة فقد ابتعدوا كثيراً، ولا يعرف إلى أين اتجهوا!!

سمعت بومة عمياء تسكن ثقباً في الشجرة التي يقف عليها صوت زقزقته الحزينة فخرجت من مكانها متسائلة:

- من هذا الذي يبكي على شجرتي؟

أجابها الطائر الصغير:

- إنه أنا.. طائر صغير غادر موطنه، ولم يستطع العودة إليه، جناحاي الصغيران لم يمكناني من الرفرفة مع رفاق سربي فتركوني ورحلوا.

رقت البومة لحاله، وتألمت كثيراً، فقالت له:

- يمكنك البقاء عندي، فأنا كما ترى بومة عمياء، فإن ساعدتني على إحضار طعامي سأؤويك في عشي، والقرار بين يديك فماذا ترى؟

وافق الطائرُ الصغير البومةَ على اقتراحها.. وعاش معها أياماً وشهوراً كثيرة بدفء وأمان، ولكنه كان يشعر بفراغ في قلبه يؤرقه، ويصبغ حياته بالحزن والكآبة، لا يعرف كنهه ولا يجد للخلاص منه سبيلاً!.

أخبر البومة يوماً عمّا يشعر به، فقالت له: (إنه الحنين)!

- شعورٌ فطريٌ - مغروس في القلوب - بالشوق للأحباب رفقةً وأرضاً، زماناً ومكاناً، تغذيه ذكريات محفورة في سويداء القلوب.

– ولكني أحبك وأحب هذه الغابة!

– أحببتني لأني ساعدتك عندما احتجتَ للمساعدة، وأحببتَ هذه الغابة لأنها صارتْ مأواك عندما فقدت المأوى، ولو طردتُكَ من هنا لكرهتني وكرهتَ الغابة، ولمَا أردتَ العودة هنا مرةً أخرى.

أما أرضك التي نشأت فيها، ورفاقك الذين تربيت بينهم.. فسيظل حنينك إليهم مهما حدث ورغم كل الظروف، لأن حبك لهم نابع من فطرتك، وحبك لنا نابع من حاجتك وشتان بين الحبين!

– وماذا أفعل لأملأ الفراغ في قلبي؟

– عليك أن تراقب السماء في الفجر وعند المساء، فإذا شعرت فجأةً بامتلاءِ الفراغ في قلبك فطرْ، ولا تنظر أبداً للوراء.

استمر الطائر بمراقبة السماء دون أن يفهم مغزى ذلك وجدواه، وفي فجر أحد الأيام سمع زقزقة جميلة، ورأى سرباً طائراً في السماء، شعر بقلبه يتقافز في صدره، وبرغبة عارمة بالتحليق، رفرف بجناحيه، (فوجئ بالطول الذي صارا عليه من دون أن ينتبه!)..

شدَّ همّتهُ وطار في السماء، شعر بأن قلبه ممتلئ بالسعادة والسرور، وأدرك أخيراً ما كانت تعنيه البومة.

اقترب كثيراً من السرب الطائر وحلَّق بين رفاقه من جديد، لكنه في غمرة سعادته نسيَ ما قالت له البومة فحانت منه التفاتة للوراء، فرأى البومة العمياء تقف على الغصن تنعق منادية عليه، وتتحسس بأحد جناحيها في الهواء باحثة عنه.

أبطأ قليلاً في طيرانه وظل يراقبها، تردد في الاختيار بين المضي والعودة .. اقتربت من طرف الغصن.. تكاد تقع من عليه.. حزم أمره أخيراً..

التفَّ سريعاً إلى الوراء وعاد، اختار أن يبقى جسدهُ هنا وقلبهُ هناك!)

طوى الورقة.. ثم سلّمها للسكرتيرة راجياً منها أن تسلّمها نيابة عنه؛ فقد خجل من الدخول إليه وذاك الفتى عنده يسلّمه قصته..

دقائق مضت قبل أن تعود السكرتيرة من مكتب المدير بقصته ونموذج قصة أخرى قائلة له:

– إن المدير يطلب منك أن تقرأ هذا النص، وتكتب مثله إن أردتَ أن تصبحَ أديباً!.

❋ ❋ ❋

تناول نموذج القصة ليقرأها.. لكنها لم تكن إلا النص الرومانسي الخيالي الذي كتبه الفتى الذي كان بجواره... ولم يعجبه!

أخذ ورقة بيضاء، وكتب عليها سطراً واحداً، ثم طواها وأعطاها للسكرتيرة لتسلمها للمدير.. وغادر المكان!

فضَّ المدير الورقة وقرأ:

(إذا كان هذا هو ما يعنيه الأدب..؛ فأنا أُعلن – بكل فخر – أني قليل الأدب!) ■

في وداع الشاعر الكبير
فيصل بن محمد الحجي(١)

عبدالعزيز بن صالح العسكر - السعودية

قد كنت ترثي فحول الشعر إن ذهبوا
والـيـوم والـهـفـي يـبـكـيك نـادينـا

عـرفـتـه في ريـاض الـشـعـر قـسـورةً
بـذَّ الـفـحـول وأذكـى جـذوةً فينا

أشـعـاره حـليـةٌ في صـدر ثـروتـنـا
وصـوتـه خـافـق بـالـعـزم يحيينا

يـزَّيـن الحـفـل مـن إبـداع مـوهـبـة
قـد أَشـهـبت أدبـاً في عُـمْـقِ ماضينا

وكـنـتُ ألـقـاه بـين الـنـاس مبتسماً
وكُـلُّـه أمـل يـحـيـي مـلايـيـنـا

الـقـدسُ في شـعـره أمٌّ يـبـادلـهـا
حُـبَّ الـرجـال وإخـلاص المحبِّينا

لم ينسها بـرهـةً والـشـيـب يغمره
وظـلـم أعـدائـنـا أضـحـى يُـغَـطِّينا

يـا فـارس الـشـعـر والأخـلاق كنت لنا
مـعـلـمـاً لجـمـيـل الـقـول يـهـدينا

جمعت في شعرك الـراقـي مطالبنا
سُـمٌّ لأعـدائـنـا، غـيـثٌ لأهـلـيـنـا

يـا فيصلاً مـن جبين البدر طلعته
فضحت بالشعر أفـكـار المضلينا

يـا شـاعـراً مـن مـعـين الـنـور مـورده
تُـرَدِّدُ الشُّـهـبُ مـا قـد قلت تلحينا

يـا رَبِّ فاجعل جنان الخلد مسكنه
واكـتـبـه يـا ربِّ في الـغُـرِّ الميامينا

(١) انظر نبذة عن حياته - رحمه الله - في العدد (٩٣) من مجلة الأدب الإسلامي.

البـــــوح لوليد قصّاب والغوص في قيم الأدب الإسلامي

فرج مجاهد عبد الوهاب- مصر

يتابع المبدع الدكتور (وليد قصـــاب)[1] مشروعه القصصي القيمي الموغل في قاع الواقع بعين لاقطة، وأذن مرهفة، وأدوات إبداعية مُتقنة، كاشفاً عن معاناة النفس وتمزقها الداخلي وهي تجابه الحياة، تصارعها فتصرعه، يقاومها فترده مقهوراً، لأنها الأقوى في مواجهة الضعفاء الضائعين، الزاحفين فقراً وعوزاً على هوامش الحياة.

إضافة إلى ما أبدعه في مجموعتيه السابقتين (هدية العيد، الخيط الضائع) من قصص سبرت الحياة والمجتمع، وأزاحت الحجب عن جوانب كثيرة مظلمة ومتعددة الأوجه، يُفاجئ قراءه بمجموعته القصصية البوح[2].

والعنوان كما يبدو صوت دلالي واضح، والبوح أن تُخرج ما في أعماقك من هموم وأشجان ومعاناة وتفضي بها إلى الآخر بحرية، وللبوح سمات وأوجه متعددة، منها ما هو وجداني، وسياسي، وحيوي، وهنا يكمن الاختلاف في بوح مبدعنا، فالبوح في قصصه ليس مجرد كلام سردي عادي، إنما غوص في الواقع الحياتي المعيش بالهم والغم والعوز، فيطلق قلمه باحثاً في قاع الواقع عن هؤلاء المتعبين الذين لا يجدون ما يسد جوعهم ولو (بطبق برغل) لا يكلف إلا بعضاً من الليرات، فكانت الواقعية الاجتماعية النقدية وسيلته إلى الغوص والاكتشاف ومن ثم البوح الأمين والصادق عن معاناة الذين يشكلون النسبة الأكبر من سكان الحياة.

لقد كان النقد الاجتماعي هدفاً رئيساً في معالجته للقصص الخمس عشرة التي ضمتها المجموعة.

نقد اجتماعي مدافع عن الكرامة الانسانية بأسلوبه السردي البسيط والمعبر الذي عُرف به،

أسلوب يتكئ على الواقعية الكاشفة المتسمة بالبساطة الأسلوبية واللغة البسيطة التي لم تخل من شاعرية حساسة وإن اتسمت بالإنشائية (أرق من نسائم الصيف، وأعذب من أحلام الطفولة، وأظهر من براءة المواليد)[٣].

إن الطفولة عالم لا هموم فيه ولا أحزان، ولا أعباء ولا مشكلات، إن الأطفال كما يقول شاعر علموهم قصيدة له عندما كان في المدرسة ذات يوم:

خليون من تبعات الحياة
على الأم يلقونها والأب[٤]

لذلك لم تخرج القصص وهي تبوح بمكنوناتها على لسان أبطالها عن منظومة القيم المتكئة أصلاً على دعائم الدين الحنيف، ولذلك قدمت القصص أنموذجاً لأدب إسلامي ملتزم بقيمه وأخلاقه وتعاليمه المؤمنة بأصالة الكلمة ودورها في بناء الوطن والإنسان.

ابتدأت القصص بأفعال راوحت بين الماضي الكينوني- كان – كانت، والماضي المستمر: قامت، وقفت، صلى، ارتميت، والمضارع الحالي: تستحقه، لا تمنع، تفوح، لم أصدق.

هذه الأفعال بضمائرها المسندة إليها وهي تتناوب بين (أنا – هو – هي) تشكل مفتاح كل قصة من هذه القصص التي لم تخرج عنها إلا قصتان، بدأت الأولى بمفردة (كلما) الاستمرارية والمشتغلة على المقارنة وبين الاسم رمضان الذي قدم مأساة الموظف صاحب الدخل المخنوق وهو يواجه أوامر زوجته وطلباتها المستمرة، وتحضه من أجل البحث عن عمل آخر يسد احتياجات الأسرة ولاسيما أن العيد على الأبواب.

فيعيش في دوامة التساؤل والحيرة، فماذا يعمل رجل ستيني عمر شهادته أكثر من ثلاثين عاماً لم تعد تؤهله للعمل في شركة راقية، أصبحت تعتمد على التكنولوجيا المتطورة التي لم يعهدها أيام تلمذته!؟

قادته قدماه إلى زميل دراسة كان يكره العلم كره البلاء، أخفق في الثانوية العامة عدة مرات أخرجه والده من المدرسة ومرت سنوات حتى أصبح التلميذ الكسول صاحب مكتب عقاري كبير، دخل مكتبه، استقبلته السكرتيرة الأنيقة، سألته عن اسمه، قامت دخلت، عادت وطلبت منه الانتظار، مرت ساعات وهو جالس يستعيد ذكرياته مع ذلك الكسول، طال انتظاره لم يبال أحد به، بعد أكثر من ساعة ونصف من الانتظار فتح الباب المفضي إلى غرفة زميله (البيك)، لمح زميله قادماً إلى غرفة السكرتيرة، حسب أنه قادم ليستقبله ويدخله إلى مكتبه.. لكن الزميل عبر مسرعاً غرفة السكرتيرة ثم اتجه إلى باب الخروج من غير أن ينظر إلى أحد، وهو يقول للشابة الجميلة التي هبت واقفة: السيارة جاهزة؟

– طبعاً يا بيك.

– أنا ذاهب إلى مكتب المحافظ، إذا سأل عني أحد فلن أعود اليوم.

نهض من مكانه، تباً له، لماذا جاء إلى هنا؟ إنه لا يدري؟ رنت في أذنيه قهقهة قديمة، وصوت ساخر معابث يقول:

– أنت حمار دراسة، ماذا ستفعل بالشهادات؟

ومضى يخبُّ في خطاه إلى البيت، وهو يحس أنه سيكون – بعد اليوم – أقل سخطاً من لدغات مبرد زوجته الفولاذي[٥].

مثل هذا القص المعنى بالمتعبين والمقهورين نراه في قصة (العيد) حيث يلملم رمضان أيامه المباركة مستعداً لاستقبال العيد ليبدأ مسلسل الزوجة بالتذمر وتذكير زوجها: العيد على الأبواب يا أبا عمر.

فيجيب بانكسار: أعرف، أعرف يا امرأة، فتقول محتجة: ولكنك لا تفعل شيئاً يا رجل، أيمر

العيد ولا نشتري كسوة جديدة للأولاد، أو يدخل بيتنا طعام دسم أو بعض من الحلوى التي لا يخلو منها بيت في هذه المناسبة [٦]

ولكن العين بصيرة واليد قصيرة، فكيف يتصرف وهو ليس من أصحاب الخوارق، يدخله الأرق والقلق في فضاءات حلم يحضر فيه كل ما تحتاجه أسرته وما دامت الأحلام قصيرة، لا يلبث أن يصحو على خيبة أمل، يفكر بالاستدانة من صديقه الحاج خليل إلا أنه يتراجع لأنه لم يستطع سداد دين قديم، تابع طريقه إلى المنزل وصورة زوجته وأولاده تقتحم عليه خواطره، عند مدخل الحارة لمح لمة من الأولاد منهمكين في لعبهم عند حنفية المياه، رأى ابنه عبد الرحمن في ثيابه الرثة واقفاً مع عادل ابن الحاج رضا رافلاً بثيابه الجديدة وبيده لعبة كان عبد الرحمن ينظر إليها مبهوراً فيسأله: ماذا أحضر لك أبوك على العيد يا عبدالرحمن؟

أمسكت أبا عمر غصة في حلقه كادت تخنقه، وتسمرت قدماه، بينما أجاب عبد الرحمن بانكسار وبراءة:

- لم يحضر لي أبي شيئاً حتى الآن، ولكن أمي أكدت لنا أنه سيعود ومعه ملابس وحلوى ولعب كثيرة[٧].

وفجأة يتلقى صدمة قوية أدخلته في غيبوبة طوال اليوم، وعندما فتح عينيه في المساء كان وجهه يُحاكي صفرة الموت، التفت إلى زوجته وغمغم بذل.. لا تؤاخديني يا أم عمر، عدت كالعادة ملوحاً بيدين فارغتين، فهمست: سامحني ولا تهتم، أنت أعز علينا من كل شيء، ثم مسحت دموعاً غزيرة تجمعت في مآقيها بينما غطت الصغيرة زينب وجهها بكفيها ثم انسحبت من الغرفة[٨].

مثل هذا البوح الشفيف المساند للمتعبين والواقف إلى صفهم والمعبر عن مأساتهم وصراع فقرهم مع غنى غيرهم نجده في قصة (طبق برغل)[٩]، كما نجد مثيلاً له في قصة الشاعر والمسابقة[١٠].

ويرتقي البوح الانتقادي باقتدار في قصة (البوح)[١١]. الذي ينتقد فيها ماسحي الجوخ المطبلين والمزمرين لرؤوسائهم:

(ما وقفت أمامه مرة في عمري إلا موقف استخذاء وخوف) وما ظهر مني أمامه إلا وجهي الآخر..

- أنت خير من تولى هذا المنصب يا سيدي، أنت يا سيدي كفاءة نادرة، أنت رمز الأمانة

والنزاهة، لا يستطيع أحد غيرك في الدنيا أن يسير هذه الدائرة [١٢].

هو مدرك لنفاقه الذي يتسلق كل جدران نفسه، ويتمرد الوجه الآخر متحدياً في أن يكون رجلاً مرة واحدة في عمره، صراع كبير وتحد أعظم ينهض بين الوجهين.

حاول أن يتمرد على زوجته، دفعه الوجه الآخر متحدياً.. كن رجلاً حتى يسجل التاريخ اسمك، انفجرت القنبلة، نسفت كل شيء التفت إليها كثور هائج:

إني أكرهك..

- لم أحبك يوماً..

- أنت طالـ... ارجعي إلى حيث جئت..

انفجرت بالبكاء والصراخ ثم دخل على رئيسه، صرخ في وجهه:

أنت وغد ومرتش! لقد حولت المؤسسة إلى قطاع خاص بك، ملأتها فساداً وعجزاً، اشتريت جميع الضمائر والنفوس.

يصيح في أعماقه الرجل الآخر: أحسنت، بارك الله فيك، أنت الآن رجل..

فماذا كانت النتيجة؟

لم يشعر إلا وكفها تهزه: (قم يا رجل، اصح، تأخر الوقت، ما بالك تهلوس كالمجانين) [١٣].

ويوغل البوح ويتفرع في اتجاهات عدة حمل بعضها كثيراً من المفارقات والمفاجآت الممتعة كما في قصة «الكابوس» حيث يفاجئه مجموعة من المدججين بالأسلحة، ويقودونه بمذلة وسباب ويخضعونه لتحقيق مطول ممتلئ بالاتهامات الجاهزة وغير الجاهزة، حتى كاد أن يعترف بكل ما أسندوه إليه، ويعد أن أعطاهم ما يريدون، طلبوا منه التوقيع على أقواله، نهض ووقع على أقواله: عبد المسيح أبو..

طاش صواب صاحب المكتب، ونهض يضربه بقبضة يده وهو يصيح:

- أيها الوغد الحقير، أبلغت بك القحة والمراوغة أن تغير اسمك؟

قال مُتقياً الضربات.. والدم يسيل من أنفه ووجهه:

- أغير اسمي!.. كيف يا سيدي؟

رفسه برجله وصاح: أيها الخبيث، تريد أن تنكر شخصيتك وتخدعنا عن حقيقتك؟

ألست عبد الرحمن الـ.... ؟

- كلا يا سيدي، كلا.. أنا عبد المسيح الـ.. وإذا شئتم أن تتأكدوا فهويتي في البيت، صرخ صاحب المكتب غاضباً رقيب عادل، عاد إلى المراوغة، أرجعه إلى حيث كان[١٤].

مثل هذه المفارقة نجدها في قصة «الانتظار» التي تدور أحداثها في المستشفى التي قامت ولم تقعد لأن زوجة سيادة الـ... قادمة لتتعالج في المستشفى فيستنفر كل من يعمل فيها، صف مدير المستشفى الدكتور (حمدان) على باب المستشفى طابوراً عريضاً من المستقبلين، ويطول الانتظار ويبدأ الواقفون بالانسحاب حتى لم يبق إلا المدير وبضعة نفر، أحس بتعب نهض من جلوسه الذليل أمام باب المستشفى، اقتحمته عيون لم تكن تجرؤ على النظر إليه.

وفي قصة «حافظة نقود» موقف مفاجئ ومفارقة غير متوقعة نهضت على أسلوب سردي ماتع حيث يذهب الصحفي لإجراء مقابلة مع أحد الكتاب المرموقين، وخلال الحوار الذي تشعب يفتح المبدع ذاكرته على قصة طريفة مفادها أنه بينما كان عائداً بسيارته في منتصف الليل لاح له رجل يقف في عرض الشارع يشير بيده طالباً الوقوف، يقف ويطلب أن يأخذه معه، لم يمانع، وفي الطريق يتسلل إلى أعماقه خاطر أفسد نشوته، (دهمني خاطر محزن أن يكون هذا الرجل الجالس بجواري أحد اللصوص أو قطاع الطرق.. مددت يدي أتحسس خلسة مسدساً صغيراً لم يكن يفارقني.. ثم خطرت في بالي حافظة نقودي، يبحث

عنها خلسة فلا يجدها، وبدافع لا شعوري أشهر المسدس في وجه الرجل وصاح بلهجة آمرة: أعطني حافظة النقود! (اهتز الرجل من هول المفاجأة وعنف الموقف، ناوله حافظة النقود مبهوتاً وهو يرتجف كورقة في وجه العاصفة، فتناولتها بلا تفكير)[١٥].

ويفاجأ بأن المحفظة لم تكن محفظته، ويمر على الحادث يومان، ثم يلتقي، في اليوم الثالث بصديقه الذي كان ضيفه في تلك الليلة، فحياه قائلاً:

(نسيت حافظة نقودك عندي، ومنذ يومين حاولت الاتصال بك ولكن دون جدوى، أخذت حافظة نقودي وأدركت عندئذٍ كم ظلمت الرجل يتساءل الصحفي قائلاً: (أين قابلت هذا القاص؟ ومتى؟ عجباً.. كيف لم أتذكر؟ لقد كنت أنا ضحية سوء الظن ولعبة الخواطر الحمقاء، كنت صاحب الحافظة[١٦].

من خلال هذا السرد القائم على المباغتة والمفاجأة غير المتوقعة يتألق نسيج قصة (امرأة أخرى)، وكذلك في كل من قصص (يوم امرأة عاملة، بديعة الدوماني، حادثة من أيام الطفولة)، وكلها قصص قائمة على المفارقة الإدهاشية التي تقدم موضوعها بأسلوب سلس ولغة قصصية بسيطة وشفافة. معبراً من خلالها عن قضايا حيوية واجتماعية ووجدانية كاشفاً عن سلبياتها داعماً لإيجابياتها.

هذا الدعم الواضح الدلالة تجلى في قصتين نهضتا على قضية المقاومة والوقوف بوجه غاصب مفترس.

ففي القصة الأولى (الميتتان)[١٧] صورة من صور الصمود والمقاومة التي تضع المقاتل أمام إحدى الميتتين: ميتة الكلاب إن وقع في الأسر، وميتة الشهادة إن صبر وقاتل ببسالة، ويكون القرار للميتة الثانية:

(جهز سلاحه، وراح يسدد، أخذ كل شيء يتلاشى من ذاكرته رويداً رويداً لم يبق شاخصاً أمامه إلا صورة عبد الحميد، يردد دعاءه الحار العميق وعبارته المأثورة: إن لم نمت شهداء وقعنا بأيديهم فمتنا كالكلاب.

أحس بإيمان حار يضرب جذوره في أعمق أعماق فؤاده، فامتلأ بقوة عجيبة خارقة، ثم تراءت له الدنيا كلها تافهة هينة

لا تساوي عند الله جناح بعوضة. وفي لحظة خاطفة ارتسمت أمامه الميتتان: ميتة الشهداء وميتة الكلاب.. فراح يطلق النار وهو يدعو بخشوع وصدق وإيمان: اللهم إنه خروج في سبيلك، فارزقني ميتة الشهداء)[١٨].

وفي القصة الثانية: الوصية[١٩] يضعنا السارد أمام عملية استشهادية ارتجت لها مدينة تل أبيب ارتجاجاً عنيفاً، ويُثبت التحقيق أن أحد الفلسطنيين قام

بعملية استشهادية، فجر نفسه في سوق مكتظ بالناس في قلب مدينة تل أبيب، ومما زاد حيرة حكام إسرائيل أن أحداً لم يُعلن مسؤوليته عن العملية المذهلة التي زرعت الرعب في قلوب الصهاينة (بقيت العملية حديث الناس في كل مكان أياماً كثيرة، رُويت عشرات القصص والأخبار، فمن قائل، إن المنفذ عجوز تجاوز الستين، اقتحم الصهاينة داره، وأطلقوا النار على ثلاثة من أبنائه فأردوهم قتلى أمام عينيه.

ومن قائل: إنه شاب صبي لم يتجاوز الثلاثة عشر سقط أبوه وأخوه أمام عينيه برصاص القتلة، ومن قائل.. ومن قائل.. لقد كان المفجوعون الذين يمكن أن يقوموا بمثل هذا العمل الجهادي أكثر من أن ترصدهم عدسة)[٢٠].

في بيت صغير في مدينة نابلس وقفت أم عجوز أمام صورة لفتاة لا يتجاوز عمرها الخامسة عشرة كانت تتأملها ودموع غزيرة تملأ عينيها.

قالت لأمها يوم الأربعاء: أنا خارجة يا أمي في مهمة أرجو أن يوفقني الله فيها، وصيتي إن قدر لي أن أقوم بهذه المهمة ألا يذكر اسمي، أو ينشر أي خبر عني، إني أبتغي وجه الله يا أمي)[٢١].

هذه بعض الأوجه الأسلوبية المختلفة في تناول موضوعات المجموعة التي حملت كثيراً من الإبداع، وكثيراً من الصدق في التعامل مع:

أ- أبطال القصص الذين جابهوا الواقع بكل قوة جعلتهم علامات مميزة في سياقات سردية مُتقنة وواعية.

ب- واقعية القصص التي حملت إلى جانب اهتمامها بالواقع ونقد سلبياته فإن كثيراً منها اشتغل على المفارقة التي أحالت مسرودها إلى نهايات مدهشة وغير متوقعة وهذا ما رفع من سوية الشغل على نصوص إبداعية في غاية الأهمية.

ج- الشغل على اللغة التي حملت في كثير من مفاصلها بعضاً من لغو وشيئاً من إطالة، ونبذاً من إنشائية إلا أنها لغة هادفة تسعى إلى الوصول إلى أذهان البسطاء بيسر وسهولة حتى يكتشفوا الواقع ويستوعبوا ما يفرزه على المستويين الإيجابي والسلبي، وهذا ما يجعل من مبدعها الدكتور (وليد قصاب) واحداً من المبدعين الذي يشتغلون على القيم وإبرازها ودعمها ونقلها إلى قلوب قرائه، ولعل هذا من أهم صفات المبدع الذي يشتغل على قيم الأدب الإسلامي وأساليبه المتنوعة الناهضة على اليسر والسهولة إلى جانب الإبداع الواضح بأهدافه ورسالته القيمية الهادفة إلى الإصلاح والبناء■

الهوامش:

(١) د.وليد قصاب: مبدع سوري اشتغل في التحقيق والتأليف إضافة إلى أنه قاص متميز وشاعر مجيد. صدر له عدد من الكتب في تحقيق التراث والتأليف والدراسات والدواوين الشعرية والمجموعات القصصية.

(٢) صدرت المجموعة عن دار الفكر، دمشق، سوريا عام ٢٠٠٢م.

(٣) مجموعة البوح، د. وليد قصاب، ص ٣٥.

(٤) السابق: ص١٠٨ .

(٥) السابق: ص٢٤ .

(٦) السابق: ص٩١ .

(٧) السابق: ص٩٦ .

(٨) السابق: ص٩٧ .

(٩) السابق: ص١٠٥-١١٢ .

(١٠) السابق: ص٧٦-٨٣ .

(١١) السابق: ص٧-١٥ .

(١٢) السابق: ص٧ .

(١٣) السابق: ص١٥ .

(١٤) السابق: ص٣٣ .

(١٥) السابق: ص٦٤ .

(١٦) السابق: ص٦٦ .

(١٧) السابق: ص٨٤-٩٠ .

(١٨) السابق: ص٩٠ .

(١٩) السابق: ص٩٨-١٠٤.

(٢٠) السابق: ص٩٩ .

(٢١) السابق: ص١١ .

تَرَفُّع

مِسْكِينٌ الدَّارِمِيُّ[1]

وَلَسْتُ إِذَا مَا سَرَّنِي الدَّهْرُ ضَاحِكًا
وَلَا خَاشِعًا مَا عِشْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ

وَلَا جَاعِلًا عِرْضِي لِمَالِي وِقَايَةً
وَلَكِنْ أَقِي عِرْضِي فَيَحْرِزُهُ وَفْرِي

أَعُفُّ لَدَى عُسْرِي وَأُبْدِي تَجَمُّلًا
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعِفُّ لَدَى الْعُسْرِ

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِرًا
صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بِأَنْ يَعْلَمُوا فَقْرِي

وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالَ عَهْدُهُمْ
حَيَاءً وَإِعْرَاضًا وَمَا بِي مِنْ كِبْرُ

فَإِنْ يَكُ عَارًا مَا أَتَيْتُ فَرُبَّمَا
أَتَى الْمَرْءَ يَوْمُ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعْلَمْ مَكَانَ صَدِيقِهِ
وَمَنْ يَحْيَ لَا يَعْدَمْ بَلَاءً مِنَ الدَّهْرِ

فَإِنْ يَكُ أَلْجَانِي الزَّمَانُ إِلَيْكُمُ
فَبِئْسَ الْمَوَالِي فِي الصَّنِيعَةِ وَالذُّخْرِ

الهوامش:

(١) مسكين الدارمي: ربيعة بن عامر بن أنيف، شاعر أموي شريف من سادات قومه، يقول في تسميته مسكيناً:

وسميتُ مسكينا وكانت لجاجةً
وإني لمسكين إلى الله راغب

لن أنحني

عبدالحميد ضحا - مصر

قَالُوا انْحَن
فَمَقَاصِلُ الطُّغْيَانِ تَقْصِفُ
كُلَّ رَأْسٍ شَامِخَةْ
وَسِيَاطُهُمْ عِشْقًا تَهِيمُ بِمَا
اسْتَوَى
مِنْ أَظْهُرٍ لا تَنْحَنِي
فَتُحِيلُهَا جَمْرًا بِأَجْسَادِ
الأُسُودِ الشَّائِخَةْ
لا تَحْسَبِ الْأَحْرَارَ فِي سُوقِ
الْحَيَاةِ سَيَرْبَحُونْ
فَحَيَاتُهُمْ بَيْنَ الطُّغَاةِ
وَقَوْمِهِمْ غَبْنٌ وَخُسْرَانٌ مُبِينْ
وَصُمُودُهُمْ رَغْمَ الْمَآسِي، مَا
تُرَاهُمْ يَفْعَلُونْ؟!
فَلْتَنْحَن
لَا تَحْكِ لَيْثًا عَاشَ فِي وَسَطِ
الذِّئَابِ كَمَا الْغَرِيبْ
كُنْ مِثْلَهُمْ ذِئْبًا أَصِيلاً
وَانْسَ مَاضِيَكَ الَّذِي عَدُّوكَ
فِيهِ اللَّيْثَ وَالْحُرَّ الْحَسِيبْ
انْسَ الشَّجَاعَةَ وَالْبُطُولَةَ
وَارْكَعَنْ
وَالْبَسْ ثِيَابَ الْخُبْثِ وَالْغَدْرِ
الرَّغِيبْ
فَلْتَنْجُ مِنْ كَيْدِ الطُّغَاةِ وَلَوْ
سَجَدْتَ مَعَ النَّحِيبْ
فَأَجَبْتُهُمْ:
أَوَمَنْ يَعِيشُ حَيَاتَهُ لَيْثًا
بِأَخْلَاقِ الْفَوَارِسِ
كَيْفَ يَلْبَسُ مِنْ ثِيَابِ الْغَدْرِ
وَالْجُبْنِ الْمَهِينِ الْمَاجِنَةْ؟!
كَيْفَ الْمُحَلِّقُ فِي سَمَاءِ الْعِزِّ
يَهْوِي
كَيْ يَعِيشَ كَجِيفَةِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ
الآسِنَةْ؟!
فَلْتَنْحَنُوا
أَوْ تَرْكَعُوا
أَوْ تَسْجُدُوا
أَمَّا أَنَا
سَأَظَلُّ رَافِعَ هَامَتِي
لَنْ أَنْحَنِي
سَأَظَلُّ سَيْفًا مُصْلَتًا فِي أَوْجُهِ
الطُّغْيَانِ
لا لَنْ أَنْثَنِي
سَيَظَلُّ شِعْرِي كَالرِّمَاحِ أَوِ
اللَّهِيبْ
سَيَظَلُّ نَثْرِي كَالْعُبَابِ
يُزَلْزِلُ الطُّغْيَانَ فِي بَحْرٍ
مَهِيبْ
سَأَظَلُّ أَنْصَحُ أُمَّتِي:
مُوتُوا وُقُوفًا
لا تَمُوتُوا تَحْتَ أَقْدَامِ الطُّغَاةِ
بِذِلَّةِ الْعَبْدِ الْمَعِيبْ
كُونُوا أُسُودًا وَازْأَرُوا
فَالْحُرُّ يَحْيَا شَامِخًا
نِعْمَ الْحَيَاةُ حَيَاتُهُ
رَغْمَ اللُّغُوبْ
مَنْ ذَاقَ طَعْمَ حَيَاتِهِ
لَنْ يَسْتَطِيعَ الْعَيْشَ فِي وَادِي
الْعَبِيدْ.

معالم دمشق الإسلامية في الديوان الدمشقي

ارتبط الانسان منذ نشأته الأولى بالمكان الذي يحيط به، وتعلّق به، ونَشدَه بالقرب والبعد، فتغنّى به، واستدعى أجملَ الذكريات وأعذبَها، وهذه العلاقة يقوى شأنُها مع تقدّم الزمن إذا كان الطرف الآخر يملك رقّةَ الطبع ودفء الإحساس، فتتدفّقُ مشاعره إعجاباً وإكبارا، وتساعده على ذلك قريحة شعريّة فطريّة عذبة، ينهل منها فتمدّه بنسغ من ذاكرة حيّة تبثّهُ أعذبَ الذكريات المحفورة في خلده. وهذا العشقُ يقوى ويتجذر إذا كان المكان نابضاً وحيّاً، يجدُ فيه المرءُ ما يشدّهُ إليه، فيأسُرُهُ حبّاً ووجداً فيزورُه ويستمتع بمعالمه، وهذا حال دمشق الفاتنة. دمشق الماضي العريق والحاضرُ الواثبُ المتوهّجُ، تبقى دمشق الساحرةُ إحدى المدن الحيّةِ التي ما زالت تنبض بالحياة، تمدّ محبّيها وجداً وهياماً وتعلّقا.

د.محمود محمد أسد - سورية

فهي من المدنِ الآسرةِ لمن يسكُنُها أو يحلُّ بها أو يمرُّ عابراً. تأسرُهُ برغبته، فيقَعُ في شَرَك هواها وحبِّها طائعاً. وهي الأثيرةُ والمفضّلَةُ عند التمييز والمفاضلة بين المدن، لا تنقصها مقوِّمات الجاذبية والإغراء، فيها ما يسحرُ الألبابَ. فالنفسُ ترتاح إلى طقسها اللطيف المعتدل ومناخها المنعش، فيها الماءُ النميرُ والينابيع الغزيرة، والظلال الوارفة والفواكه الناضجة، فيها ما يبعث الحب لها، فيحنُّ إليها الزائرُ والمسافرُ، ويهزُّهُ آلام الفراق عنها، ويضاف إلى ذلك طبعُ أهلِها ورقَّتُهم، وحسن معشرهم، هذا شأنها عبرَ تاريخها الطويل كغيرها من المدن التي تشدُّ الألباب والأنفس كمكة والمدينة وبغداد وحلب والقاهرة والقدس، والكتب التاريخية والأدبية وكتب التراجم والتاريخ ذكرتِ الكثيرَ من محاسنِ دمشق ومعالمها وطباعِها، وأشادَتْ بفضل علمائها وهي كتبٌ كثيرة، ويضاف إليها دواوين الشعراء القدماء والمعاصرين وهذا ما أوحى إلى الأستاذ محمد المصري الذي جَمَعَ وحقّقَ بعد جهدٍ

جهيد، فأصدر (الديوان الدمشقي)[1]، وقد أغناه بالحواشي والتعريفات والمراجع، وهذا الديوان الدمشقي أوحى إليَّ بالموضوع فجلُّ اعتمادي عليه.

دمشق عاصمة الأمويين، وحاضرة العرب المسلمين عبرَ تاريخها ومسيرتِها المديدة الحافلةِ بما يسرُّ ويقلق ويبكي، حظيتْ باهتمام ورعاية الخلفاء والأمراء والسلاطين والعلماء، فكانت منهل إشعاع وعلم وحضارة. مساجدها ومعالمها الدينية والعلميّة معاهدُ علم وأدب وحضارة ولم تزلْ، ولذلك لا غرابة إن وجَدنا الكثيرَ من القصائد والمقطوعات التي تصف معالمها الإسلامية بنياناً وزخرفةً وفناً وموقعاً ومكانةً، وأغلبها تشيد بدورها الإسلامي الحضاري عبر التاريخ.

ومن الطبيعي أن يحظى المسجدُ الأموي بالأولوية والسبق لِما له من أهميةٍ ودورٍ، وقد بني في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، واكتمل بناؤه في عهد أخيه سليمان، وصُرِفَتْ عليه الأموالُ الكثيرة، وأُلِّفَتْ حوله عدَّةَ كتب.

هذا المسجد نال استحسان المقيمين والوافدين فأكثروا من وصفِه، وأحاطوه من كلِّ جانب، وهذا واردٌ في أغلب القصائد، فالشاعر المصري ابن نباتة الذي سكن الشامَ مدَّة يقول فيه معجباً[2]:

في الجامعِ الأمويِّ الحُسْنُ مُجْتَمِعٌ
و بابُهُ فيه للأحداقِ لذَّاتُ
دقائقُ الحسنِ يحويها له درجٌ
فحبَّذا منه بالساعاتِ ساعاتُ

وللأديب العماد الأصفهاني المتوفى بدمشق ١٢٠٠م – وهو صاحبُ كتاب فريدة القصر – قصيدةٌ مطوّلةٌ ذكرها حين فارق دمشق وابتعدَ عنها، فتشوق إليها، وإلى معالِمِها، ومنها مسجدها الأموي فجاء منها[3]:

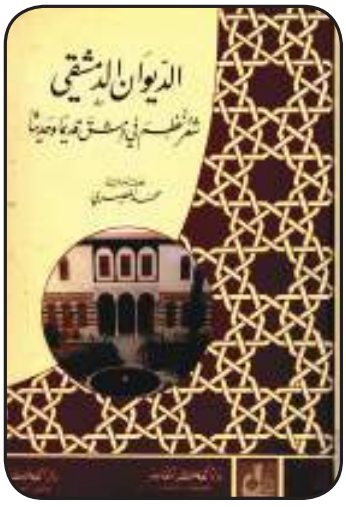

وما جنَّةُ الخلدِ إلا دمشقُ
وفي القلبِ شوقٌ إليها سعيرُ
ميادينها الخُضْرُ فيحُ الرحابِ
وسلسالُها العذبُ صافٍ نميرُ
وجامعها الرَّحْبُ والقبَّةُ
المنيفةُ والفَلَكُ المستديرُ
وفي قبَّةِ النَّسرِ لي سادةٌ
بهم للمكارمِ أفْقٌ منيرُ

وعبَّرَ الشاعرُ محمد أمين بن فضل الله عن شوقِهِ وأراد أن يجعل قصيدته إكليلاً لجبهة دمشق، يصف محاسنَها وظلالَها وفضائلَها، ومنها وصفُ المسجد الأموي[4]:

ولي إلى الجامعِ شوقُ دالِهِ
لا يفترُ الدَّهرَ عن التذكارِ
للَّهِ أقوامٌ به أعزَّةٌ
من خُلّصِ الأخيارِ والأبرارِ

والشاعر بدر الدين حسن فاضَ بحبِّه للمسجد الأموي، وأبرز مكانته في نفوسِ الناسِ الذينَ يصلّون به[5]:

مَعْبَدُ الشامِ يجمعُ الناسَ طُرّاً
و إليه شوقاً تميل النفوسُ

كيف لا يجمَعُ الورى وهو بيتٌ
فيه تجلى على الدوامِ العروسُ

والعروس منارة الجامع الأموي الشمالية، وذكرها الشاعر الشيخ عبد الغني النابلسي وهو يمدح ويتحبَّبُ للمسجد الجامع[٦]:

حبَّذا الجامعُ الذي في دمشقٍ
أتْقَنَتْهُ البانونَ وفقَ النفوسِ
ملؤوا صحْنَهُ من النقش حتَّى
وَضَعوهُ قُدّامَ تلك العروسِ

وللشاعر الدمشقي فتيان الشاغوري قصائدُ كثيرة في دمشق وهو منسوبٌ إلى حيِّ الشاغور بدمشق، وتوفي بدمشق ١٢١٨م، وكان مؤدِّباً لأولاد الملوك. وصف قبة المسجد الأموي وحَمْلَ النّسْرِ لها، وقبّة النسر بناها الوليد بن عبد الملك، ولها شمسيات ملونة ومذهّبة وسمّيَتْ بالنسر لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة[٧]:

ما غادةٌ راكبةُ النّسرِ وقد
بَدَت لأبصارِ الورى نقوشُها
يحملُها النَّسْرُ الذي أضحى له
من الطواويسِ الذكورِ ريشُها
خافت سُطاها الشمس في مصامِها
وذاك إذ شكَّ الهلالَ شِيشُها

ولفوّارة المسجدِ الأموي العظيم نصيبٌ من وصف الشعراء فهذا الشاعر جعفر بن دواس الكناني المعروف بقمر الدولة[٨]:

رأيْتُ بالجامعِ المعمورِ مُعْجزةً
في جلّقٍ كنْتُ أجدى من بها سَمِعا
فوّارةٌ كلَّما فارَتْ فَرَتْ كبدي
وماؤها فاضَ بالأنفاسِ فاندفعا
كأنَّها الكعبةُ العظمى، فكلُّ فتىً
من حيثُ قابلَ أنبوباً لها ركعا

ويرفع الشاعر ابن نباتة من شأن المسجد الأموي ويشيد بحسنِهِ وبهائه الساطع[٩]:

الجامعُ الأمويُّ أضحى حُسْنُهُ
حُسْناً عليه في البريَّةِ أجمعا
حَلَّوْهُ إذْ حَلُّوهُ، فانظرْ صَحْنَهُ
تلقاهُ أصبحَ للحلاوةِ مجمعا

ويذكر ابن عساكر في تاريخه: أنشدني بعض أهل الأدبِ في جامع دمشق ويذكر الكثير من معالم المسجدِ وجزئيَّاتِهِ دون أن يخفي الشاعرُ مشاعره[١٠]:

دمشقُ قد شاعَ حُسْنُ جامعِها
وما حَوَتْهُ رُبا ربائعها
بديعةُ المدْنِ في الكمالِ لما
يُدْرِكُهُ الطَّرْفُ من بدائعها
جامعُها جامعُ المحاسنِ قد
فاقَتْ به المدْنَ في جوامعِها
وبَنيَّةٍ بالإتقانِ قد وُضِعَتْ
لا ضيَّعَ اللهُ سعيَ واضعِها
وإنْ تفكَّرْتَ في قناطرِه
وسَقْفِهِ بانَ حِذْقُ رافعِها

وإنْ تبيَّنْتَ حُسْنَ قبَّتِهِ
تحيَّرَ اللُّبُّ في أضالِعِها
مجالِسٌ العلم فيه مونِقَةٌ
ينشرِحُ الصدرُ في مجامِعِها
دامَتْ برغمِ العِدى مُسْلِمةً
وحاطها اللهُ من قوارِعِها

وهناك قصيدة للشاعر النابغة الشيباني، وفيها يمدح الوليد بن عبد الملك، ثم يصف الجامع الأموي وما حواه من زينةٍ ودررٍ وتحفٍ، وأظنُّ أنها من أوائل القصائد التي تصف المسجد، في هذه القصيدة يبرز الشاعر دور المسجد ورسالته فيقول[11]:

فاليومَ فيه صلاةُ الحقِّ ظاهرةٌ
وصادقٌ من كتاب الله معروفُ
فيه الزَّبر جَدُ والياقوتُ مُؤْتلِقٌ
والكِلْسُ والذهبُ العِقْيانُ موصوفُ
وقبَّةٌ لا تكادُ الطيرُ تبلُغُها
أعلى محاريبها بالساجِ مسقوفُ
فكُلُّ إقبالِه، والله زيّنَهُ
مُبَطَّنٌ برخامِ الشام محفوفُ
في سُرَّةِ الأرضِ مشدودٌ جوانبُهُ
وقد أحاط به الأنهارُ والرّيف
فيه المثاني وآياتٌ مُفَصَّلَةٌ
فيهنَّ من ربِّنا وَعْدٌ وتخويف

هذه القصائد امتلكت القدرة على الوصف، وقدرت على التصوير والتقاط الزوايا الجانبية من المسجد، والتي لم يصفها الشعراء إلا لتأثُّرهم وحبِّهم وإعجابهم فالشيخ عبد الغني النابلسي له قصائدٌ عدة في دمشق، ومنها هذه القصيدة التي يذكر مزارات حيّ الصالحية، وبعدها يعرِّج إلى المسجد الأموي، ويصف ما فيه من مشاهد وأماكن[12]:

إنْ سامَكَ الخطبُ المهولُ فأقْلقا
انزِلْ بأرض الشام وانزِلْ جِلَّقا
بلدٌ سَمَتْ بين البلادِ محاسناً
ونَمَتْ بهاءً واستزادَتْ رَونقا
والصالحيّة يا لها من منزلٍ
فيها قبورُ الصالحين أولي التقى
ما الجامعُ الأمويُّ إلاّ نزهةٌ
فيها تراهُ بالعبادةِ مشرقا
قد أتْقَنَتْ صُنَّاعُهُ بُنْيانَهُ
فأتى المزخْرفُ، زانَهُ وتأنَّقا
ولرأس يحيى فيه نورُ مهابةٍ
ما بين هاتيكَ السواري أشرقا
والحائط القبليُّ زادَ جلالَهُ
بمقامِ هودٍ، مَنْ يزرْهُ تحقَّقا
وترى دروسَ العلم فيه دائماً
في كلِّ فنٍّ، مَنْ تداوَلَهُ رقى
وعلى كراسيهِ رَقَتْ وُعَّاظُهُ
تتلو أحاديث النبيِّ المنتقى

بوابة الصالحية

يالـيلةَ النِّصْفِ الشريفةِ فاز بالـ
إسعادِ مَـنْ قد كان فيك مُوَفَّقا
هذي قبابُ النورِ تَشْعَلُ في الدُّجى
لا يستطيع لها امـرؤٌ أن يرمقا
وثـلاثُ هـاتيكَ المـآذنِ تنجلي
مثلَ العرائس قد لبسْنَ اليلمقا
مـن فوقها أهـلُ الأذان تراسلوا
بـترنُّمٍ يُشْجي الـفـؤادَ الشَّيِّقا
هـي شامُـنا أعلى الإلـه منارَها
وبـهـا أدام الله عـيشـاً ريِّـقا

الشاعر نقلَنا إلى أجواءِ المسجد وطقوسِه وما يجري فيه، صحيحٌ أنّ هناك قصائد تتشابَهُ في وصف العمران وروعة البنيان والزخرفة ولكنّ هناك قصائد تضيف أشياء كثيرة فتكمِّلُ بعضها بعضاً وتعطي الصورة الكاملة. وكان المسجدُ الأمويَّ مبعثَ الشوق والتذكار للأيام الحلوة التي أمضاها الشاعر مجد الدين محمد بن محمد. فقد حنَّ واشتاق فعبرَ بقصيدة تزيد عن مئة بيت مطلعها[١٣]:

لـعـلَّ سـنـا بـرقَ الحـمـى يـتـألَّـقُ
على النَّأي أو طيفاً لأسماءَ يطرُقُ

ثم يقول:

حنيني إليها ما حَييتُ مُرَجَّعٌ
وقلبي أسير الشوقِ والدمعُ مُطْلَقُ
لجامِعها المعمورِ بالذكرِ بهجةٌ
ومـرأىً يسرُّ الناظرينَ ورونـقُ

فالشاعر يشير إلى وقف الجامع وما يقدِّمه للوافدين والدارسين وغيرهم، ثم يقول:

بـهِ زجـلُ التسبيحِ عـالٍ يهيجُهُ
حـنـينٌ إلى ذاك الحِمى وتشـوُّنُ
وللعلمِ فيـهِ والـعـبـادةِ معلمٌ
جديدٌ على مرِّ الجديدين مَوْنِقُ
وفـيـه لأربـابِ الـتـلاوةِ لـذَّةٌ
إذا أخـذوا في شأنهم وتحلَّقوا
وكم فيهِ مِنْ مثوى نبيٍّ ومشهدٍ
بنسبتِهِ يسمو محلاً ويسمقُ
وكـم قـائـمٍ لله فـيـه تـهـجُّداً
بدعوتِهِ يُكفَى المخوفَ ويُـرْزَقُ
مصابيحه تجلو الظلامَ كأنَّها
مصابيحُ في جوِّ السماءِ تَـأَلَّـقُ
وقُبَّتُهُ مـأوى الـهـلالِ وبُـرْجِـهِ
وفي كلِّ أُفْقٍ منهُ للحسن مَشْرِقُ
وقـد جـاوزَ الجـوزاء فيـه مـآذنٌ
بأكنافِها نورُ الجلالةِ مُحْدِقُ

هذا الوصف الدقيق والجميل أكمله حسْنُ توفيقِ الشاعر بالرويّ (القاف المضمومة) التي فيها إيحاءات

باب شرقي

نفسيَّة جميلة. وهذا الوصف المركَّزُ يوحي بخصوبة الذكريات وغناها، ويدلُّ على دور المسجد ومكانته في حياة الشاميين. فكان للعبادةِ والدراسة وطلبِ المعرفةِ وأداء المناسبات الاجتماعية الرابطة للمجتمع.

والمطوَّلاتُ التي تقدِّم هذا الوصف كثيرة وهي قصائد فيها الصدق والعفويَّةُ، وما من قصيدة مطوّلة إلا ولها وقفة عند المسجد الأموي، فالشاعر أبو الفضل إسماعيل بن سلطان بن علي بن منقذ الكتاني له قصيدة من مئة بيت، وفيها ذكر للمزارات ودور العبادة والصالحين، وهذا سوف أعودُ إليه ولكنه في هذه القصيدة توقف عند المسجد وأشاد بروعة بنائه[١٤]:

وكأنَّ جامعها البديعَ بناؤهُ
مَلِكٌ يميرُ من المساجد جَحْفَلا
ذو قبةٍ رُفِعَتْ فضاهَتْ قلَّعَةً
ومنابرٍ بنيت فحاكت مَعْقلاً
يبدو الأهلَّةُ في أعاليها كما
يبدو الهلالُ تعالياً وتهلُّلا
فكأنما محرابُهُ من سُنْدسٍ
فهدى المُصيخَ، وحَيَّرَ المتأمِّلا
تُلي القُرانُ به وراعَ بحُسْنِه
أو لؤلؤ وزُمُرُّدٍ قد فصِّلا
تبدو القبابُ بصحنِه لك مثلما
تبدو العرائسُ بالحُليِّ لتُجْتَلى
وعَلَتْ به فوَّارةٌ مِنْ فضَّةٍ
سالَتْ فظنُّوها معينا سَلْسلاً

ثم يشيرُ الشاعر إلى الساعات المائية أمام باب الساعات وهو الباب الشرقي:

وببابهِ حركاتُ ساعاتٍ إذا
فتحتْ لها بابا تراجع مُقْفِلا
ويُريكَ باريها وكلٌّ قد رمى
من فيهِ يقذفه، يصيبُ سَجْنجلا

ويختمها:

وغريبُ وصفي قد أتاكَ مُفَصَّلا
وسواهُ لا يأتيك إلا مُجملا

واعتزَ الشاعر البدر بن حبيب بالمسجدِ الأموي وبالمكانة الرفيعة التي تفوق كلَّ منزلة، وهذا حال الكثيرين وإن بالغوا في ذلك، فالموقف والحبُّ والشعرُ قد يبرِّر لهم ذلك فيقول[١٥]:

ويمَّمْ نحوَهُ في كلِّ وقتٍ
وصلِّ به تَصِلْ دار الإقامة
مُصلَّىً فيه للرحمنِ ذكرٌ
ومثوىً للقبولِ به علامة
دمشقٌ لم تزلْ للشام وجهاً
ومسجدها لوجهِ الشام شامة
أدام الله بَهْجَتَهُ وأبقى
محاسِنَهُ إلى يوم القيامة

أهناك أرقُّ من هذا الشعور وأدفأ من هذه الأمنيات؟

والشاعر الدمشقي عدنان مردم بك الذي تغنَّى بدمشق وأغدق عليها أروعَ أشعارِه كما أغدقت عليه

أروع آيات الطبيعة والجمال. هذا الشاعر خصَّ المسجدَ الأموي بقصيدة تجاوزت الأربعين بيتاً، وجاءَتْ رقيقة صافية كنمير بردى ورفيف غوطتها[١٦]:

ضَمِنَ البناةُ لكَ الخلودَ على السنين
أترى الرجالَ وفَوْا وكانوا صادقين
رفعوا جدارَكَ عالياً كيقينهم
فعلَوْتَ مثلَ النجم مُنْقَطِعَ القرينْ
والخلدُ مرهونٌ على ما شَيَّدَتْ
هِمَمٌ كبارٌ من رجالٍ نابغين

ثم يصف المآذنَ وأصوات المكبّرين:

وأرى مآذنَك الثلاثَ تشوَّفَتْ
مَزْهُوَّةً بمطارفِ المتكبِّرين
راحَتْ مُحَلِّقةً فطاولت السُّها
مفتونةً صَلَفاً بزهوِ الفاتحين
هيَ سُلَّمُ الإيمانِ يرقى فوقهُ
لمطالعِ الجوزاءِ أصواتُ اليقين
نُصِبَتْ لتحملَ للسماءِ رسالة
وتبين عن شكوى وتُفْصِحَ عن شجونْ

ثم يلتفت إلى وصف العمران الرائع والأعمدة والقباب:

وترى السقوفَ تَبَسَّمَتْ قسماتُها
عن روعةِ الإبداعِ والفنِّ المبين
وكأنَّ قُبَّتَكَ المنيفةَ مُقْلَةٌ
لا تعرفُ الإغفاءَ أو غمض الجفون
سهرَتْ عليك رعايةً حَذَرَ الأذى
من ريبِ جائحةٍ ومن دهرٍ خؤون
طَوَّفْتُ في أرجاءِ ربْعِكَ خاشعاً
أستنطق الأحجارَ عن ماضٍ ثمين
في كلِّ زاويةٍ رسومُ حضارةٍ
تومي إلى الماضي، وتكشف عن مَعين
سبحان من لا عزَّ إلاَّ ملكُهُ
يبقى مع الدنيا على كرِّ السنين

هذه القصيدة من الدّرر الثمينة التي قيلت في المسجد الأموي فهي غنيّة بصورها وخيالِها ورؤيتها واستنباطها للمسجد والتاريخ وربط ذلك الماضي بالحاضر.

أمرٌ طبيعي أن يشغل المسجد الأموي القسم الأعظم من الدراسة، ولكن لا بدَّ من وقفات قصيرة عند بعض المعالم الإسلامية الأخرى التي وردَتْ في الديوان الدمشقي، ويُعتبر مسجد يلبغا ثاني مسجدٍ في المساحة بعد المسجد الأموي ويقع في ساحة المرجة وسط دمشق وهُدِمَ وأعيد بناؤهُ مجدّداً سنة ١٩٦٠م، ونال هذا المسجدُ حظاً من الحبِّ والتقدير في القصائد والمقطوعات، فيقول أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام[١٧]:

إلى يَلْبُغا فارْقَ أعلى الدَّرجْ
بشَرْقيّةٍ تلقَ بابَ الفُرَجْ
وخُذْ يمنةً منه نحو الشمالْ
تصادِفْ هنالك باب الفرجْ
ومِلْ سريعاً نحو غربيّه
تجدْ بابَ عرفٍ نسيم الأرجْ

فالأبيات تحدِّدُ الموقع والجهة وتقدِّم الأسماء، وقال أبو الفتح وكان ملازماً لهذا المسجد، وهو تونسي[١٨]:

كم نزهةٍ في يلبُغا نبتغي
ومدرجٍ لم يخلُ من دراجِ
يا حسنَهُ من جامعٍ جامعٍ
فاق على الزوراءِ مِنْ علجِ
يموجُ في بركتِهِ ماؤها
تحتَ منارٍ ليسَ بالمائجِ
مئذنةٌ قامتْ على بابِهِ
تشهد للداخلِ والخارجِ

تقترب الأبيات كثيراً من الواقع والتصوير الحسيِّ الملموس لدرجة نرى أن النظمَ هو السائد، وهذا أمرٌ عاديٌ واردٌ لصنعة الشعرِ في عصره، ولمثلِ هذه القصائد وفي هذه الموضوعات.

وكان جامع يلبغا مُتنفَّساً ومتنزَّهاً لكثير من الشعراء، يقتربون منهُ لإزاحةِ الغمِّ وغسلِ الهمِّ العالق في النفوس، فيقول الشاعر درويش الطالوي فيه منادماً ومتغزلاً[١٩]:

ألمَّ إذا هَمٌّ عراكَ يَلْبُغا
واعطِفْ لمَقصِفِهِ تنلْ ما يُبْتغَى

وهذا المعنى يتكرّر مع الشاعر كريم الدين الطاراتي[٢٠]:

عرِّج بساحةِ يَلْبُغا
تنظُرْ بهِ ما يُبْتغى

جامع يلبغا

مَنْ قال في الدنيا لهُ
مِثْلٌ يكونُ قد لغا

ويذكرون أنَّ ابن حبيب هو أول من مدح هذا الجامع (يلبغا)[٢١]:

يَمِّمْ دمشقَ وملْ إلى غربيِّها
والمَحْ محاسنَ حسنِ جامع يلبُغا
مَنْ قالَ من حسدٍ رأيْتُ نظيرَهُ
بين الجوامع في البلادِ فقد لغا

وفي بعض هذه المقطوعات خَلَلٌ بالأوزان، وربمَّا يعودُ هذا للمخطوطات، أو ربمَّا لطبع الشعراءِ الذين لم يلتفتوا إلى التنقيح، وهذا يبدو من التكرار للمعاني والقافية والرويِّ.

ولجبلِ قاسيون نصيبٌ من هذه القصائد إذ دفن فيه عددٌ كبيرٌ من العلماء والصالحين فتغنى الشعراء بالجبل وآثاره الرفيعة التي يرتادها الناس فيقول الشيخ عبد الغني النابلسي[٢٢]:

جاءَ النسيمُ بأطيبِ النفحات
من قاسيون ومنزلِ السادات
يا معهداً بالسفح من ذاك اللِّوى
لا زلْتَ مأوى الخيرِ والبركاتِ

ولم ينسَ الشعراءُ معاهدَ العلم والعلماء وأُولي الفضل فأشادوا بدورهم ومكانتهم في دمشق واعتبروهم مشاعلَ نورٍ وهداية، هذا ما قاله الشاعر علي بن منصور السروجي[٢٣]:

في كلِّ قصرٍ بها للعلم مدرسةٌ
وجامعٌ جامِعٌ للدين معمورُ
كأنَّ حيطانَهُ زهرُ الربيع فما
يملُّهُ الطرفُ فهو الدهرُ منظورُ
يُتْلى القُرانُ به في كلِّ ناحيةٍ
والعلمُ يُذْكَرُ فيهِ والتفاسيرُ

وهذا المعنى عبَّرَ عنه وأشاد به الشاعر أبو الفضل إسماعيل بن سلطان في أثناء وصفِهِ دمشق فتوقَّفَ عند مزاراتها ودورِ عبادتها ورجالِها الصالحين[٢٤]:

يا زائراً يزجي القروم البزّلا
دَعْ قصدَ بغداد وخلِّ الموصلا
لا تُزْجِها لسوى دمشقَ فإنَّهُ
سيُطيلُ حَزّاً مَنْ تعدَّى المفصلا
بلدٌ جلا صدأ الخواطِرِ فانثنَتْ
كالمرهفاتِ البيضِ وافَتْ صَيْقلا
ذو ربوةٍ جاء القُرانُ بذكرها
ومساجدٍ بركاتُها لن تُجْهلا
ومدارسٍ لم تأتِها في مُشْكِلٍ
إلاَّ وجدْتَ فتىً يحلُّ المُشْكلا

وبها وقوفٌ لا يزالُ مَغَلُّها
يستنقذ الأسرى ويغني العُيَّلا
وأئمَّةٌ تلقي الدروس، وسادةٌ
تشفي النفوسَ، وداؤها قد أعضلا

والباحث في هذا الموضوع يرى الكثيرَ، وبإمكانه التعمُّقُ في الجوانب الفنيَّة والجزئيات، وهذه الوقفة دافعها الأساسي شعورٌ دينيٌّ متدفقٌ، ووفاء للمدينة ورجالها وحبٌّ صادق وقد وَصَفَها تفصيلاً أو بشكل عام وافدون ومقيمون وقدماء ومحدثون، ومنهم شعراء متمكّنون من فنِّهم وأدواتهم فأبدعوا شكلاً ومضموناً ولا مسوا مشاعرنا، ومنهم من كان أقرب إلى النظم، لا يعنيه الشعر إلا للترجمة والوصف، وتبقى هذه المنظومات ذاكرة جميلة وسجلاً موثَّقاً يبرز مكانة دمشق عبر العصور التي تتَّسِعُ رقعتها زماناً ومكاناً■

الهوامش:

(١) الديوان الدمشقي: جمع وتحقيق محمد المصري.
(٢) السابق: ٥١ .
(٣) السابق:١٥٤.
(٤) السابق: ١٧٨.
(٥) السابق: ٣١٥.
(٦) السابق: ٢١٨.
(٧) السابق: ٢٢٤.
(٨) السابق: ٢٣٩.
(٩) السابق: ٢٤٠.
(١٠) السابق: ٢٤٥.
(١١) السابق: ٢٤٨.
(١٢) السابق: ٢٦٣.
(١٣) السابق: ٢٨٧.
(١٤) السابق: ٣١٠.
(١٥) السابق: ٣٧٤.
(١٦) السابق: ٣٧٥.
(١٧) السابق: ٥٦.
(١٨) السابق: ٥٧.
(١٩) السابق: ٢٤٧.
(٢٠) السابق: ٢٤٧.
(٢١) السابق: ٢٤٧.
(٢٢) السابق: ٣١٨.
(٢٣) السابق: ٥٢.
(٢٤) السابق: ١٦١.

حوار في بهوِ السِّباع

د. عبد الرزاق حسين - الأردن

يا سِباعَ القَصْرِ أَيْنَ السَّبُعُ ... أينَ أهلُ القصْرِ أَيْنَ الرَّبُعُ ؟

هَلْ مَضَوْا في نُزْهةٍ أَمْ أَنَّهُمْ ؟ ... غادروهُ ، أَمْ قَضوا لمْ يرجعوا ؟

أَقْعَتِ الأُسْدُ وقالتْ قولةً ... نَزَفَ القلبُ لها والأَدْمُعُ

أَيُّها السَّائِلُ لا تَسْأَلْ فَهُمْ ... غادَروا والقلبُ فيهمْ موجَعُ

نحنُ في هَمٍّ وَغَمٍّ مثلما ... سارَ أَعْمى في فلاةٍ أَقْطَعُ

أَيُّها السَّائِلُ عنْهُمْ إِنَّهُمْ ... تُرْبُ هذي الأرضِ فيها زَرَعوا

زَرَعوا العلمَ بُذورًا أَيْنَعَتْ ... وصنوفُ الفنِّ فيهِ بَرَعوا

فَشموسُ العزِّ مِنْهُمْ سَطَعَتْ ... وبِهِمْ أَقمارُها تَرْتَفِعُ

حَصَّنوا الدُّنيا بِعَدْلٍ وَتُقىً ... وَطريقَ الرِّفْقِ نَهْجًا شرَعوا

رَكَزوا راياتِهِمْ فوقَ الذُّرى ... وعلى الآفاقِ ذِكْرًا رَفَعوا

ملؤوا الأَرْضَ علومًا زانَها ... كُلُّ فَنٍّ ماتِعٌ بلْ أَروَعُ

فَزَها القَصْرُ بِهِمْ مُبْتَهِجًا ... وزَهَتْ فيهِ نُجومٌ تَلْمَعُ

كانَ رَوْضًا لِظِباءٍ رُتَّعٍ ... وَبِهِ الغِزْلانُ تَغْدو تَرْتَعُ

إِنْ يَكُنْ عِنْدَكَ مِنْ أَنْبائِهِمْ ... خَبَرٌ فيهِ سُرورٌ يُمْتِعُ

فاعْجَلِ القَوْلَ فإِنَّا في جَوًى ... مُنْذُ أَنْ قدْ غادروا ما وَدَّعوا

نَزَفَ الجُرْحُ وَغامَتْ أَدْمُعي ... ألماً ضُمَّتْ عليهِ الأَضْلُعُ

وَسَرى في السَّمْعِ صوتٌ نادِبٌ ... وَبَكَتْ إِثْري الدِّيارُ البَلْقَعُ

(*) غرناطة في يوم الأربعاء ٢/شعبان ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠/٥/ ٢٠١٥م، بمناسبة مؤتمر الترجمة تراد كول.

شقيقة بغداد

هاجر سالم مسلم - العراق

مدينة من عصر لاحق.. هذا ما أعرفه عن غرناطة، وقصر من زمن لم يأت بعد، هذا الذي أجده في قصر الحمراء.. إنه تاريخنا.. كم كانوا عظماء!

توكأت على ميلي الكبير للشعر، وقلت: يا أنا ستجدين مجد السابقين ها هنا، في شعر الأندلس، في زهراء الشعراء وحزم المتصوفين فيها، يا أنا واثقة أنك ستجدين بغداد الغرب في قرطبة، ومتنبي الشام في أحضان قصورها.. لا تظني أن العرب خرجوا منها هباء، ونثروا بعيداً، ما زالت تلك المساحات تحتضن خطا أجدادي، وتطبع آثارهم على الجدران، وفيها خالدة أنفاس من حرروها، ومن صنعوا فيها مجداً، ظل يعلو بها إلى القمة، حتى شقت عنان السماء بجمالها.

تلك الأندلس شقيقة بغداد. وقسيمتها في الفضل والإيمان. فيا (أنا) تجردي من ملامح الغموض حول بلادنا الأخرى، وتعالي معي، تعالي سآخذك إلى حيث يكون للشعر نفس آخر، وحيث تكون القصيدة عروساً ظلت - منذ ذاك اليوم - بزينتها، وجمالها الأسطوري!

لم أستطع، مع كل تلك البدايات، لم أتمالك زمام حزني، وفشلت.. أجل، فشلت في فهم الدرس، بقيت أتأمل الصور التي طبعتها في نفسي عن زهراء المجد، وقلاع الجمال، وفي داخلي سؤال يخنقني، فيحاول أن يخفف عني، لكنه يتعثر، ولا أدري إلى متى سأحمل هذا السؤال عنهم، لماذا خرجوا منها؟! لماذا؟! وكلما قرأت المزيد عنهم، كان السؤال يكبر، ويكبر، وبقيت حبيسته أحاول التخلص من هذا الثقل بلا جدوى..

أيتها الأوراق! كفاك تتطقين بحزن الراحلين، أرجوك قصي علي الأحداث دون أن تثيري حولي غبار حقيقة مَنْ فيكِ من أجيال كتبوا مشاعرهم وملامح عظمتهم بالويل والدمع!

كانت ساعة المحاضرة تجري كأية ساعة، والطلبة - كما هم - جالسون وهادئون. والحديث كان موجعاً حد الصمت.. فنلوذ بالأخير لننجو. لم يكن الأستاذ يعلم أنه يلقي علينا درسا قاسياً، يحكي لنا مجداً تبخر من صفحات حاضرنا بعد ثمانية قرون. كان مصراً على ألا يترك ثغرة في أفكارنا عن قصة ابن نصير، وكيف قدم طارق بجيشه لفتح الأندلس، لم يُبْقِ حزناً إلا وأفصح لنا عنه. حدثنا عن البحر

الذي عبروه، عن الطريق الصعب الذي شقوه، عن الفاتحين الذين تجرعوا الموت أجيالاً بأجيال...

ولم يتركنا بصمتنا، إذ سألنا أخيراً: من ساعد المسلمين في الدخول؟!!

لماذا العتاب؟! أيا أستاذ! لماذا هذا الضرب في وسط القلب؟! ولم نجبه.. لم نحتمل. وماذا نجيب؟! إنه ذات السؤال الذي يعتصر قلبي، لكني بشدة كنت أود أن أرفع صوتي ليسمع الجميع خيبته، الأقدار هي التي أوصلتنا، وهي التي أخرجتنا، كي يسجل أجدادنا مجداً، ويسجل تاريخنا كيف لم نحافظ عليه، ككل ما تركوه لنا، إنها خيانة أخرى منا، نحن أبناء اليوم!

توالت الأحزان في الساعة الأندلسية، ونحن كما نحن، صامتون. طلب منا مراراً أن نحلل المقاطع الشعرية، وأن نتحدث بلسان أهل الأندلس وشاعريتهم، رقتهم، ووعيهم ؛ لكن أي كلمة تستوعب ما في تجاههم؟! كلها قصائد مخجلة، كلها قصائد تسألني: يا ابنة اليوم كيف أضعتم أمسكم؟! لمن تركتم خطا (الداخل) على شواطئ الأمن والسلام الذي حققه، فمحاها الموج؟

كل شاعر كان ينظر إلينا بأسف وحزن، أجل، فهذا الغزال، أشعره يقف خلف الأستاذ، يملؤنا بنظرات الخيبة، يقف قرب النافذة يتأملنا من هناك، علنا نشعر بوجوده، وحقيقة سنواته التي عاشها، نفشل في إدراك خيبته فينا، فيصفعنا بنظراته ونحن نحاول أن نحلل مواقف حياته. يتأملنا بهيئة الجازع منا، ومن مدى فهمنا له.

صرخ فينا بعد نفاد صبره، ونحن نتخبط بمعاني حروفه ؛ أنتم من حددتم حياتي بأوراق لا تنطق عني الحقيقة.. أنا شاعر عاش السنين، أتجعلون عماد حياتي حول كأس خمرة شربته بين يدي نواسكم العجيب عمداً؟! وتقولون: لم يذق خمراً؟!! كم غركم جمال الأندلس، وترفها، ولم تدركوا الحقيقة، فولد من بعدنا لا يعرفنا..!

اسألوا أستاذكم: أين أحفاد الغزال؟! اسأليه هيا.. أنت أجل أنت.. أنتَ، اسأله أين أحفاد الشعر الأندلسي؟! تخافون؟! طبعاً، قد ضاع نسل الأندلس، وكان هذا ما خنق حقيقة هذه الحروف!

تجاوزت (الغزال) بحزن عميق، وأنا أغض بصيرتي عن خطواته وغضبه، ودعوت أن يخفف عني عقد ابن عبد ربه. لم يكن إلا أقسى من سابقه، أقسى جمالاً وبلاغة، أقسى براعة وقدرة على فهمنا نحن - أهل المشرق ـ وهو ابن تلك البلاد البعيدة عنا، ابن شقيقة بغداد، ونحن قد حبسناه بين أوراق كي نحكي فيها عنه دون أن نعي أنه الأكبر حزناً في رسائله لبنيه، وأهل حيرته. إنه الذي حاول أن يمد ذراع المجد زمناً أطول، وأن يجعل الشرق على يقين أن الأندلس منهم، لكننا بقينا في ظل غيهب من الضياع، وأضعنا الأندلس، وفرطنا عقده ظناً منا أننا نقرؤه بإمعان وفهم!

لم أعد أقرأ قصيدة أندلسية إلا أرى فيها عتب صاحبها علينا، وجزعه من تواكلنا على أنفسنا.. كل الحديث عن الأندلس يحكي عن عصر قتلناه بأيدينا، يحكي عن زمن لم نحافظ عليه لأطماعنا.. لجشعنا.. لبؤسنا الذاوي خلف العزيمة.

أين أحفاد ابن خفاجة؟! أين أحفاد الناصر؟! لا ذا ولا ذاك... قتلناهم، قتلنا أنفسنا فيهم، قتلنا روح العروبة هناك، وعدنا إلى دورنا خائبين، نجعل من الأيام سبباً لضياعنا..

يا نحن! متى نعرف أن الأندلس ضاعت!؟ وها نحن نضيع بالطريقة نفسها ولا أحد يشعر؟!

كتبت بحبر أزرق، وحفنة من دمع! ■

رحلة نصف قرن (*)

قبل ظهور الإسلام بنحو ثلاثة قرون بلغ الشعر العربي ذروة الجزالة والفصاحة والفحولة والجمال.. وكان ذلك إعلاناً عن أن اللغة العربية قد بلغت القمة، وهاهي تستعد لاستقبال القرآن الكريم، المعيار العربي المعجز والمغذي، والذي سيصبح - عبر الزمان والمكان - كتاب العربية الأول، والتجسيد المتعالي والمجاوز لأعلى ما في هذه العربية من مظاهر الجمال.

د. محمد عمارة - مصر

وإذا كان الشعر هو «الرسم الموسيقي الناطق»، الذي يعبر بالصور عن المشاعر والقلوب والضمائر والأحاسيس، فإن الشعر الجاهلي قد بلغ القمة في أساليب التعبير عن أحاسيس الشعراء، الذين كانوا اللسان المعبر عن الحياة العربية، وقيمها وعقائدها،، وما لقبائلها وحواضرها من أعراف وعادات وتقاليد».

ولأن الجاهلية العربية - في جملتها - كانت «زمن فترة»: الشرك فيها هو محور الاعتقاد الديني، وليس لدى أهلها وحي إلهي ولا شريعة سماوية - اللهم إلا بقايا متناثرة وغامضة من ملة إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام - كانت مضامين الشعر الجاهلي - مع جمال الشكل المعبر - هي مزيج من الحكمة والشجاعة والكرم والمروءة والإنسانية والتكافل وصيانة الحرمات - وإشارات إلى التوحيد الديني - تمزج هذه المعاني النبيلة مع كثير من أعراف العداوة والعداء والعدوان والإغارة والسبي والسلب والنهب واستحلال الحرام، والفخر بالظلم والجبروت «والانتهاك لحرمات الآخرين!».

أي أن وفرة الجمال في هذا الشعر الجاهلي قد صاحبتها - في أحيان كثيرة - المضامين الهابطة والفاسدة والضارة والضالة، التي لا تنضبط بمعايير الحلال والحرام، والمقبول والمرذول، كما تزكيها الفطر السوية، وتضبطها منظومة القيم والأخلاق..

ومن يراجع نماذج عيون الشعر الجاهلي - وفي مقدمتها معلقة امرئ القيس (١٣٠- ٨٠ ق هـ /٤٩٧ - ٥٤٥ م) يجد مصداق هذا التحليل! قمة الجمال في التعبير والتصوير لمضامين هي مزيج من قيم الكرم والبطولة والفسق والخنا والفجور!..

فلما ظهر الإسلام، وصاغ بقيمه وجدانات الجماعة المؤمنة، والجيل الفريد الذي أزال القوى العظمى - الروم والفرس - وحرر الأوطان والضمائر، وغير اتجاه التاريخ، ومصدر الإشعاع الحضاري.. لما حدث هذا الإنجاز الأعظم في تاريخ العرب والشرق والإنسانية، انتهى

(*) رحلة نصف قرن، ديوان شعر، ١٩٥٦-٢٠٠٦م، للشاعر محيي الدين عطية، كتاب المختار، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، تقديم الدكتور محمد عمارة، ص٧-٢١.

ذلك الفصام النكد بين جمال الشعر وبين الهبوط والانحراف في المعاني والمضامين.

لقد أنعش القرآن الكريم وزكى قيم الجمال في الشعر العربي، وأسهم في توسعة الآفاق أمام آيات هذا الجمال» لأن القرآن الكريم هو الكتاب الجميل، الذي يعلم قراءه وحفاظه ومتدبريه آيات الجمال، وأجمل الصور في التعبير عن مظاهر الطبيعة ومكنونات الضمائر والنفوس وخطوات القلوب..

إنه الكتاب الذي يعبر بالصور عن أعقد المعاني الفلسفية والحقائق العلمية والخواطر النفسية.. بل لقد عبر بالصور حتى عن حقائق عالم الغيب التي لا تدرك كنهها الحواس والعقول..﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤) ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان:٢٧).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لا تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

وتتوالى في القرآن الكريم الآيات التي تعبر بالصور عن الواقع.. والمعاني.. والأفكار.. والقيم والأخلاق.. فنقرأ فيه:﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١).

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:٩٩)..

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(الزخرف:٥١).

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾(الصافات: ٦).. ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأعراف: ٣١).. ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل:٥).

فالتعبير القرآني بالصور عن المعاني والأفكار – كل المعاني والأفكار – فيجعل كتاب الدين الأول المدرسة العظمى في التدريب على جماليات التعبير، بل وعلى الصياغة الجمالية لوجدان المتدبرين لهذا القرآن الكريم..

ولذلك، كان هذا القرآن الكريم جملة البلاغة في أعلى صورها.. ومن ثم المثل الأعلى الذي يحفز الشعراء المسلمين – ديناً وحضارة – إلى المزيد من الجمال في الشعر الذي يقرضون.

ولأن القرآن الكريم ليس مجرد نص بليغ وجميل، وإنما هو المعبر بالبلاغة والجمال عن الدين، الذي هو في جوهره منظومة سامية للقيم والأخلاق.. لذلك، أعاد القرآن الكريم للشعر العربي الاتساق بين جماليات الشكل وبين التزام المضامين بأخلاقيات الإسلام.. وتلك هي الشروط التي لا تفريط فيها لما نسميه «الشعر الإسلامي «والأدب

محيي الدين عطية

الإسلامي: التعبير الجميل عن أخلاقيات الإسلام، وعن الحياة الملتزمة بهذه الأخلاقيات.

ولهذه الحقيقة كان تمييز القرآن الكريم بين لونين من الشعر والشعراء:

- الشعراء الذين غووا في المضامين غير الأخلاقية فاتبعهم الغاوون..

- والشعراء الذين ثاروا وانتصروا على هذا اللون من الشعر الجاهلي.. فأبدعوا الشعر الجميل الذي عبروا به عن قيم الخير والحق والعدل والجمال..

﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(الشعراء:٢٢٤-٢٢٧).

لكن.. لأن الإنسان هو الإنسان،، ولأن هناك دائما وأبدا فروقا ومسافات – تضيق أو تزيد – بين «الواقع» وبين «المثال».. شهدت الحياة الإسلامية – عبر التاريخ الإسلامي – عددا غير كثير من الشعراء الذين امتاز شعرهم بالرقة والعذوبة والجمال، مع انفصام بعض هذا الشعر عن منظومة القيم والأخلاق التي صاغها الإسلام..

ولقد اشتهر من هؤلاء الشعراء – في المشرق: أبو نواس – الحسن بن هانئ – (١٤٥- ١٩٦ هـ/ ٧٦٢- ٨١٢م)– و في المغرب والأندلس: الغزال – يحيى بن الحكم – (١٥٦ – ٢٥٠هـ/ ٧٧٣-

٨٦٤م) - حتى كأننا - في هذا اللون من الشعر- شعر المجون.. والخمريات.. والغزل الفاحش في الذكور والإناث - قد عدنا إلى الجاهلية من جديد، شعر يبلغ الذروة في جماليات الشكل، لكنه يفتقر إلى فضيلة الالتزام بقيم الإسلام وأخلاقيات الفطرة الإسلامية السوية، ولأن سنة الله في تاريخ الأمم والشعوب والحضارات هي «سنة التداول» (آل عمران: ١٤٠).. فإن سير التاريخ والحضارة والثقافة - والشعر قسمة من قسماتها ليس خطا صاعدا للتقدم دائما وأبدا.. ولا خطا هابطا للتخلف دائما وأبدا.. وإنما هو «تداول الدورات»- ويعبر عن هذه «السنة والقانون» حديث رسول الله ﷺ:«لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما اطلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره. ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره». (رواه الإمام أحمد).

لأن هذه هي السنة الإلهية في مسارات الأمم والشعوب والحضارات والثقافات، فلقد جاء حين من الدهر على الحضارة الإسلامية دخلت فيه مرحلة التراجع والركاكة والتقليد والجمود، عندما طالت قرون الأخطار الخارجية التي هددت الوجود - صليبية ومغولية -. فأسلمت الأمة زمامها للعسكر المماليك - وكانوا غرباء عن روح الحضارة العربية - فحرروا

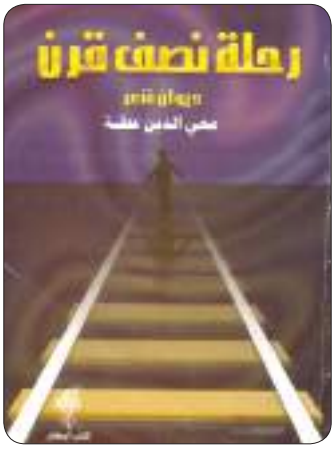

الأرض، وحفظوا وجود الإسلام وحضارته.. لكن «عسكرة الدولة»- في ظل حكمهم الطويل - قد أثمر «عسكرة المجتمع».. فتراجع إبداع الاجتهاد الفقهي لحساب التقليد.. وتراجعت العقلانية الإسلامية لحساب الخرافة - التي حسبت على التصوف زورا وبهتانا -.. وتراجعت بلاغة التعبير - في النثر -لحساب الركاكة.. وتراجع الشعر عن الجمال، عندما تحول إلى محسنات شكلية وصناعية - سموها بديعية - لا تؤهلها المعاني والمضامين التي تحملها - كي تكون شعرا حقيقيا..

ولقد استمر هذا التراجع - بدرجات متفاوتة.. ومع بعض الاستثناءات - إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي..

فمع تبلور مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامية الحديثة.. التي كان جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤- ١٣١٤هـ / ١٨٣٨- ١٨٩٧م) رائدها.. والتي كان الإمام محمد عبده (١٢٦٦- ١٣٢٣ هـ/ ١٨٤٩- ١٩٠٥م) مهندسها الأكبر.. تحرر التعبير الأدبي من الركاكة والسجع والتقليد.. وعاد الاتصال بين أساليب التحرير العربية وبين سلاسة عصر الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ / ٧٨٠- ٨٦٩م) وبلاغته..

وأيضا كان الإحياء والتجديد في شعر العربية، الذي بدأه محمود سامي البارودي (١٢٥٥ - ١٣٢٢هـ/ ١٨٣٩-١٩٠٤م).. وتألق فيه أمير الشعراء أحمد شوقي (١٢٨٥- ١٣٥١هـ/ ١٨٦٨- ١٩٣٢م) وحافظ إبراهم (١٢٨٧-١٣٥١هـ/١٨٣٩- ١٩٠٤م).. وأحمد محرم (١٢٩٤-

١٣٦٤هـ/ ١٨٧٧-١٩٤٥م) ومحمود حسن إسماعيل (١٣٢٨-١٣٩٨هـ/ ١٩١٠-١٩٧٧م) وعمر بهاء الأميري (١٣٣٤-١٤١٢هـ/ ١٩١٥-١٩٩٢)..

وفي هذه المدرسة - التي ارتاد ميدانها البارودي.. وكان شوقي أميرها - عادت للشعر العربي - مرة أخرى - العروة الوثقى بين جمال الشكل التعبيري وبين المضامين الملتزمة بأخلاقيات الإسلام وقيم الحضارة التي أبدعها الإسلام..

ولأن مدرسة الإحياء والتجديد هذه - في ميادينها المختلفة - إنما كانت تحارب في جبهتين:

- جبهة التجديد الذي يستخلص خير ما في موروثنا العربي والإسلامي.. ويفكك قيود التخلف والجمود والتقليد والخرافة التي تحول بين العقل المسلم وبين الإقلاع الحضاري.
- وجبهة التصدي للغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة التي قادها بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م).. فإن مدرسة الإحياء والتجديد الشعري، قد وجدت نفسها- هي الأخرى - تحارب على ذات الجبهتين: تحارب الركاكة والتقليد في الأشكال والمعاني، وتحارب «الحداثة الغربية» التي جاءتنا في ركاب جيوش الاستعمار..

لقد تبلورت «الحداثة الغربية» في سياق النهضة الغربية الحديثة، وفي المعركة مع الكنيسة، لتقيم قطيعة معرفية كبرى مع الموروث - ومع الموروث الدينى على وجه الخصوص -.. وبتعبير

أحمد محرم

أحد دعاتها، «فإنه بعد أن كان المسيحي حريصا على طاعة الله وكتابه، لم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله.. فأيديولوجية التنوير قد أقامت القطيعة الإبستمولوجية - (المعرفية) - الكبرى، التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية: عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الأكويني (١٢٢٥- ١٢٧٤م) وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير.. فمنذ الآن فصاعدا راح الأمل بمملكة الله ينزاح، لكي يخلي المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته.. وهكذا راح نظام النعمة الإلهية ينمحي ويتلاشى أمام نظام الطبيعة.. لقد أصبح الإنسان وحده مقياسا للإنسان.. وأصبح حكم الله خاضعا لحكم الوعي البشري، الذي يطلق الحكم الخير باسم الحرية.. ويمكن للمعجم اللاهوتي القديم أن يستمر، ولكنه لم يعد يوهم أحدا، فنفس الكلمات لم يعد لها نفس المعنى[١].

هكذا أقامت «الحداثة الغربية» قطيعة معرفية مع الله والدين.. وأحلت الإنسان محل الله، بل أخضعت الله للإنسان!.. فالإنسان سيد الكون، وليس خليفة لسيد الكون.. وبذلك عزلت - هذه الحداثة - السماء عن الأرض.. ومن ثم حررت الإبداع الأدبي - نثرا وشعرا - مع كل عوالم الأفكار - من قيم الدين وأخلاقياته.

وعندما علت سحابة - أو غمامة - هذه الحداثة الغربية في سماء بلادنا - في ظل الاستعمار - وجدت من يستظل بها، ومن

يحارب – في ميادين اللغة والأدب والشعر – أعلام مدرسة الإحياء والتجديد – البارودي.. وشوقي وأمثالهما- فوجدنا: سلامة موسى (١٣٠٥- ١٣٧٧هـ/ ١٨٨٨ - ١٩٥٨م) الذي قال عن العربية – التي تفردت بالجمال حتى في أشكال الحروف:»إنها لغة بدوية.. ميتة حتى في زمن ظهور القرآن.. وتراثها يحمل عقيدة اجتماعية يجب أن نحاربها.. وهي ليست لغة الديمقراطية، بل لغة القرآن وتقاليد العرب»[٢].

ولويس عوض (١٣٣٣- ١٤٠٩هـ / ١٩١٥- ١٩٨٩م) الذي شكك في أصالة العربية – لغة القرآن-.. والذي جعل رسالته في الأدب محاربة شعراء الإحياء والتجديد، و»تلميع» غثاء الحداثة الشعرية والأدبية في بلادنا.. والدعوة – مثل سلامة موسى – إلى إحلال العامية – لغة الهكسوس – محل الفصحى – لغة القرآن -!..

وكان أدونيس،، الذي قال عن رائد الإحياء والتجديد الشعري – محمود سامي البارودي: «لقد أحيا ما كان يجب أن يموت»!.. والذي جعل ثابت شعره وأدبه وفكره الدفاع عن تمرد الشيطان على الذات الإلهية.. حتى لقد كاد أن يعبد هذا الشيطان من دون الله!..

وكان هذا الذي انقلب عن العروبة وقوميتها وتراثها إلى الفرنكفونية.. فلما انقطعت صلاته بالشعر، جعل همه محاربة القيم والأخلاق الإسلامية.. والتمرد على الأعراف التي تعارفت عليها الأمة.. بل على

محمود سامي البارودي

مقدساتها.. فأصبح «جدول أعماله الصحفية»:

- الدعوة إلى تعبير الأنثى بالجسد.. أي جعل الجسد الأنثوي العاري – «الموديل»– هو الملهم للرسامين والنحاتين والمصورين والأدباء.. ففصاحة الجسد الأنثوي العاري – عنده – لا تعادلها فصاحة أخرى! – مع أن مهنة «الموديل» هذه هي لون من ألوان «النخاسة»، والامتهان للجسد والروح معا.. بل لقد سحب دعوته هذه حتى على جسدي آدم وحواء – عليهما السلام!

- والدعوة إلى احتقار العربية – لغة القرآن الكريم – وذلك بالدفاع عن وصف لويس عوض لهذه اللغة الوطنية والقومية بأنها:»لغة ميتة.. ودخيلة»؟ ولقد دعا هذا «الحداثي – الفرنكفوني» إلى الاحتفاء والاحتفال بالإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٤ ق.م) بتزيين ميادينا بتماثيله – وهو الذي افتتح مرحلة غزو الغرب للشرق، والقهر الحضاري لثقافات الشرق ولغاته وديناته، عشرة قرون، لم تنقشع ظلماتها إلا بالفتوحات التحريرية التي قادها المسلمون تحت رايات الإسلام..

كما شارك في الاحتفال – عامين كاملين – بالاحتلال، بدلا من الاستقلال – الاحتفال بمرور قرنين على غزوة بونابرت (١٧٦٩- ١٨٢١م) لمصر (١٢١٣ – ١٢١٦ هـ/ ١٧٩٨ – ١٨٠١ م) وإحراقه مئات القرى المصرية، وإبادته سُبع الشعب المصري، وتحويله الأزهر الشريف إلى إصطبل للخيول! مزق الفرنسيون فيه القرآن الكريم، وتراث العلوم الإسلامية.. بل وبالوا وتغوطوا وتمخطوا وسكروا فيه!..

ولقد بلغت الحداثة الغربية عند هذا «الحداثي – الفرنكفوني» حد إنكار وجود «المقدس».. وذلك عندما سئل عن رأيه فيما «لو اصطدم المبدع الشاعر بما هو مقدس «، «فإذا به – بعد أن أعلن تقديسه لقيمة العقل وقيمة الحرية» – يعلن رفضه لوجود «المقدس الديني» من الأصل والأساس!.. فهذا الذي يسمونه «مقدسا دينيا» – برأيه – ليس أكثر من اختراع نخترعه نحن، وادعاء ندعيه.. وبنص عباراته – في الإجابة على هذا السؤال – يقول:

«إن المقدس ليس كائنا خارج الشعر، أو خارج الإنسان.. المقدس هو مقدس لأننا نقدسه.. والشاعر يفترض أنه قد غلبته النشوة، أو روح السخرية، أو، الجحود، كل هذه المشاعر وكل هذه الحالات تصادف الإنسان، وتصادف الشاعر. ماذا يصنع في هذه الحالة؟. نحن نتوقع دائما من الشاعر أن يكتب بلغة تؤدي ما يريد أن يؤديه، لكن تظل محافظة على ما يجب لها من جمال»!![٣].

فالمقدس – عند هذا «الحداثي – الفرانكفوني»- هو العقل والحرية..: أما المقدس الديني فهو اختراع يخترعه من يؤمن به، ولا وجود له في الواقع والحقيقة.. والسخرية من هذا المقدس الديني.. والجحود له، في لحظات «النشوة..والإبداع «أمر مطلوب، طالما كانت العبارة التي نعبر بها عن هذه السخرية وهذا الجحود جميله.. فقط لا غير!.

نعم.. لقد تنكرت هذه الحداثة الأدبية – بمعناها الغربي – ليس فقط للمعايير القيمية التي جاء بها الإسلام – والتي اجتمعت عليها كل الشرائع السماوية-.. وإنما تنكرت – كذلك – للفطرة التي فطر الله الناس عليها – فطرة ارتباط جمال التعبير بجمال المضامين – أي ارتباط الجمال بالأخلاق..

وهي الفطرة التي جعلت الناقد الروسي «بلنسكي» (١٨١١-١٨٤٨م) يقول:» إن الجمال شقيق الأخلاق، فإذا كان عمل فني ما فنيا

ابن الأثير

حقيقة فهو أخلاقي بنفس المعنى. فإن الصور الفنية الإيجابية التي تعكس حياة الناس ونبلها وجمالها تفرض الاحترام والحب والإعجاب المخلص، وتعطي أنماط الأبطال الحقيقيين في الحياة للقارئ والمتفرج متعة وبهجة جماليتين. أما الصور السلبية، فإنها تثير مشاعر الاستنكار الأخلاقي والاحتقار التي ترتبط ارتباطا وثيقا في طابعها بمشاعر الازدراء والاحتقار التي نحسها عندما ندرك ما هو قبيح ودنيء. ومن ثم فإن وحدة الجمالي والأخلاقي هي أساس الدور التربوي ودور التحويل الأيديولوجي اللذين تقوم بهما الفنون في الحياة الاجتماعية..»[٤].

وهي ذات «الفطرة الأدبية»– إذا جاز التعبير – التي أفصح عنها الفيلسوف المسلم ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨ هـ/ ٩٨٠-١٠٣٧م) عندما قال: «وجمال كل شيء وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له..»[٥].. وهو نفس المعنى الذي عبر عنه الأديب والمؤرخ ابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠هـ/ ١١٦٠-١٢٣٣م) بقوله: «إن الجمال هو البهاء والحسن والزينة، التي تقع على المصور والمعاني جميعا». هكذا شهد القرن العشرين الميلادي – في ميدان الشعر العربي – الصراع بين

الشعر الجامع بين جمال الشكل والمضمون – أي الشعر الإسلامي – حتى لو عبر به غير المسلم عن المضامين الإنسانية العامة – وبين «المسخ الحداثي».. الذي سموه «شعرا»– والذي أراد أصحابه إقامة القطيعة مع الجمال الشعري والشعر الجميل، كما تعارفت عليه أمتنا عبر تاريخها الطويل..

وإذا كان العرب القدماء قد سنوا سنة الاحتفاء والاحتفال بشعرائهم النابغين والمبرزين والمتميزين، الذين يعبرون عن ضمير الأمة وقيمها وأعرافها.. فإن من واجبنا ومن الحق علينا أن نعتز ونسعد ونحن نقدم هذا الديوان للشاعر المسلم.. والمصري.. والعربي.. والإنسان: الشاعر محيي الدين عطية..فنحن في هذا الديوان، الذي يجمع «الحصاد الشعري» لشاعرنا الكبير في نصف قرن من «عمره الشعري» – نجد أنفسنا أمام نموذج صادق التعبير

حافظ إبراهيم

عن حقيقة الشعر كما تعارفت عليه حضارتنا العربية الإسلامية: التعبير الجميل عن المعنى الجميل.. إننا أمام شاعر من مدرسة شوقي – أمير شعراء هذا العصر – امتلك ناصية الإبداع للقصيدة العمودية – كما عرفها أسلافنا –.. ولم يخل شعره من أشكال الموشحات ولا من قوالب شعر التفعيلة – الذي إن بدا متحررا من «البحر» إلا أنه ملتزم بشروط الشعر وموسيقاه، التي تميزه عن غيره من أساليب التعبير الأدبي.. ونحن أمام شاعر مسلم يغني لأفراح الإنسانية على اختلاف مللها ونحلها ومذاهبها وفلسفاتها وألوانها والقارات التي تعيش فيها.. يغني لأفراح الإنسانية.. ويبكي لما تعانيه من جراح وأتراح.. فهو إسلامي، لم يمنعه سجن الإسلاميين وتعذيبهم من الوقوف مع سجانهم في مواجهة العدوان الصهيوني الاستعماري على مصر.. بل ومن أن «يبصق غصة الهزيمة في وجه الأعداء لهبا ممزوجا بالدم وهو المسلم الإنسان، الذي يتحول شعره الجميل إلى سلاح في معارك الأحرار والمستضعفين والمعذبين في الأرض.. كل الأرض.. من زنوج أمريكا.. إلى فيتنام البوذية.. إلى كل قضايا تحرير الإنسان.. كما ينبض قلبه وشعره بكل مشكلات أمة الإسلام وهو الشاعر المتحلي بفراسة المؤمن.. الذي ينظر بنور الله■

الهوامش:

(١) إميل بولا (الحرية، العلمنة، حرب شطري فرنسا ومبدأ العدالة) منشورات بيروت – باريس سنة١٩٨٧م – نقلا عن ،هاشم صالح – مجلة (الوحدة)- الرباط – المغرب – عدد فبراير، مارس سنة ١٩٩٢م، ص٢٠،٢١.

(٢) سلامة موسى (اليوم والغد) ص ١٨٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨ م . و(البلاغة العصرية).

(٣) أحمد عبد المعطي حجازي (من حوار معه منشور في (أخبار الكتاب) – العدد ٣٧ – سبتمبر سنة ٢٠٠٠ م – اتحاد كتاب مصر – القاهرة).

(٤) (الموسوعة الفلسفية) – السوفيتية – بإشراف: م. روزنتال، ب يودين – ترجمة: سمير كرم – طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م – مادة «الجمالي والأخلاقي».

(٥) (لسان العرب) – لابن منظور – و(المعجم الفلسفي) – لمجمع اللغة العربية – طبعة القاهرة سنة ١٣٩٩هـ/ سنة ١٩٧٩م – وانظر كتابنا (الإسلام والفنون الجميلة) ص ٩، ١٠ – طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

قبل الجنون

ابتسام شاكوش - سورية

أخذ جابر الورقة من الشرطي، وأغلق الباب، رجع إلى البهو، بحث عن المكان الذي كان يجلس فيه قبل أن يقرع الباب، لكنه لم يتذكر، جلس حيث انتهت خطوته. لم ينظر إلى الورقة كأنه كان على علم مسبق بأنها إنذار بالهدم، أيقظ ذاكرته، لكنها لم تهده إلى النقطة التي كان يثبت فيها بصره قبل أن يخرج.

عاد يجتر ذكرياته ولا مبالاته، ففي هذه الزاوية، وعلى نفس الكرسي أجلست ابنته بديعة يوم عرسها، التفت حولها النساء، وأقسمن أنها أجمل عروس خرجت من ذلك الحي، دخل الحفل يومئذ محرجا، ترغمه العادات والتقاليد، وانسحب في أول فرصة أتيحت له، ساخرا من تفاهة الموقف.

كان البراد ينتحب في المطبخ، بين حين وآخر، مذكرا بوجوده، انتبه جابر، ثم عاد فغرق في بلادته، تذكر يوم جاء هذا البراد إلى البيت، كان عرسا حقيقيا، دعت أم العيال جيرانها، وأطعمتهم المهلبية المبردة، حين عاد جابر من عمله، واستفسر عن هذه الضجة، لم تشأ أن تخبرهن بل سحبته من يده إلى المطبخ، ليطلع بنفسه على المفاجأة إذ كان أول براد يدخل إلى الحي، اشترته أم العيال من نقود حصلت عليها ثمنا للمطرزات التي جاءت بها يوم عرسها، باعتها حين لم تجد لها لزوما في هذا البيت المتواضع، وأكملت المبلغ من أول أجر قبضه ابنها البكر، من عمل يده، يوم ذاك قدمت له زوجته أكبر صحن مهلبية، بين فرحة الأولاد وغبطة الجيران، هز رأسه استخفافا: ما نفع البراد؟ لكنه أكل المهلبية ولم يبد رأيا.

انتقل بذاكرته إلى غرفة النوم، أحصى ما فيها من أثاث، كل ذلك اشترته زوجته، بعد سنوات من سكنهما في هذا الحي، الذي قدما إليه وليس معهما سوى حفنة من الأطفال، وصرة ملابس، مع جبل كبير من الأحلام ما انفكا يقتلعان صخوره واحدة واحدة، حتى آخر لحظة من حياتهما المشتركة، مازال الجبل يتناقص والأولاد يكبرون، حتى رحلت دون وداع ولا استئذان، وتركته في أمس الحاجة إليها، هكذا، دخل منزله فرأى الغرف تضيق بالجيران، الكل صامت حزين، تساءل فما لقي جوابا، اقتحم الزحام، أحس أن قلبه سقط في معصرة القدر، تفرس في العيون الدامعة، ونظر إلى زوجته المسجاة على الفراش، بثوبها الذي ودعته فيه، ووجه شمعي جامد القسمات، كأنه ما عرف البسمة. يومها، كان ابنه بسام في إجازة، فسارع إلى مكتب البرق يستدعي إخوته، جاؤوا على عجل للاجتماع في ذلك المنزل للمرة الأخيرة، وحين انتهت أيام الحداد، سافر الجميع، تاركين والدهم الذي رفض السفر، للتشرد والوحدة.

سمع جابر قرعا على الباب، نظر حوله، ما تزال يده مطبقة على الورقة التي أخذها من الشرطي، فتحها، قرأ ما فيها، ثم مسح البيت بنظرة يائسة، فليهدموه على كل ما فيه، في تلك اللحظة تساوى عنده الموت مع الحياة، الغنى بالفقر، فقد الإحساس بالزمن والأشياء، ماذا يأخذ؟ ماذا يترك؟ كل ما في البيت عزيز، وكل ما فيه لا قيمة له بعد أن أصبح جابر وحيدا.

توقف قرع الباب، يبدو أن الطارق قد سئم وجود أي إنسان في هذا البيت الكئيب، كان جابر يجلس بشكل يستحيل معه على الناظر أن يحزر إن كان أمامه رجلاً حياً أم تمثالاً؟ كان يجلد نفسه وروحه بالتذكر، وتند عنه بين حين وآخر تنهيدة، أو مشروع آه، لكنه ما يلبث أن يخنقها قبل أن تكتمل، ما عاد يملك أمام نفسه عذرا، غادره أولاده ونسوه، انصرفوا إلى أعمالهم ومصالحهم، لكنه لا يشعر تجاههم بأي لوم أو عتب، نسيه أولاده - هذا صحيح - لكنه لم يذكرهم طيلة حياته أن لهم أبا، لو سئل عن عمل أي منهم، أو عن شهاداته، لما عرف جوابه، أمضى حياته غريبا عنهم، لا يذكر - كما يذكرون - أنه أصدر أمرا، أو سأل عن درس، لا يذكر أبدا أنه تعرف إلى أصدقائهم، أو تفقد حاجاتهم، كان يحب ذلك الإطراق، والانكسار الذي يقابلونه به، والاحترام الشديد الذي فرضته عليهم أمهم، فيربأ بنفسه عن مخالطتهم ومجالستهم، ليبقى ذلك البرج المنيع، والكوكب الساطع البعيد المنال، لذلك كان يظهر التذمر من الصخب والحديث على المائدة، فيتناول طعامه في غرفة نومه في المرات القليلة التي كان يأكل فيها في المنزل.

كان يثق بزوجته ثقة مطلقة، لا حدود لها، ويمن عليها بتلك الثقة، ولكن رغم ذلك ؛ فحياتهما لم تكن تخلو من انتفاضات، تحاول فيها إعادته إلى موقع المسؤولية، فيتنصل من كل إلزام، ويتعجب كيف تثور النساء في شرق الأرض وغربها للحصول على الحرية في اتخاذ القرار، بينما تدعوه زوجته، وبإلحاح أن يكون صاحب القرار بشأنها وشأن أولادها، بلا نضال ولا مطالبة منها بالحرية، وانسحب بصمت إلى ركن قصي من حياة الأسرة، مكتفيا من كل المنزل بغرفة النوم، التي جعلها غرفة لطعامه أيضا، غريب، عاش حياته غريبا، في بيته وحيه، ولا يذكر أنه دخل إلى أي بيت من بيوت الجيران، كانت علاقته بهم لا تتعدى تحية مقتضبة يليها دائما اعتذار بأنه مشغول، ويسرع هاربا من أي حديث.

لمعت برأسه المتعب فكرة، ظل ينسج حولها الخيوط حتى تحولت إلى مشروع، ركز بصره على الهاتف، أمسكت يداه بمسندي الكرسي الذي يجلس عليه وهم بالقيام موشكا أن يبتسم، ثم تراجع أشد ما يكون يأسا وبلادة، راميا بمشروعه في ظلمات القهر، لا، ليس مجديا الاتصال بهم الآن، لقد تفرقوا في أنحاء الدنيا الواسعة، وأصبح لكل منهم عمله ومشاريعه، لا أحد منهم يحتاج هذا البيت، ثم أنى له الاتصال بهم وهو لا يعرف عناوينهم، أغمض عينيه بشدة وألقى برأسه إلى الخلف، شعر أنه يهوي في فراغ سحيق، لا أرض فيه ولا سماء، انتفض، هب واقفا، مسح المنزل بنظرة عجلى، ثم اتجه إلى المطبخ، أشعل جميع المواقد والمدافئ، فتش جيوبه، ألقى بحزمة المفاتيح في صدر القاعة الكبرى ووقف يتأمل ألسنة اللهب، مشى خطوة يبغي الخروج، فاجأه صوت المؤذن: سبحان فالق الإصباح... تنفس بعمق، تشهد، بسمل وحوقل، ثما عاد فأطفأ النيران، خجلا من الله أن يخرب بيته بيديه، ثم خرج، قاصدا المسجد، ليذهب بعده إلى دار المسنين!■

أحزان ضمير الغائب

عبد الجبار الربيعي- المغرب

يا ابن باديس احترقنا
من لهيب الذكرياتْ
خنقت فينا الحياةْ
سامح الأشعار فينا يا إمامْ
لم نجد غير صداقات الحمامْ
انتهينا والسلامْ
واعتُقِلْنا في زنازين الكلامْ
وانطفأنا
واختفينا مثل ضوء مستقيلٍ
في الظلامْ
فجأة صرنا ركاماً
بين أنياب الركامْ
وارتطمنا بالكلامْ
وسقطنا فانكسرنا كالرخامْ
وتبعثرنا.. تناثرنا بعيداً في الهلامْ
بحثوا عنا طويلاً دون جدوى
وتعذبنا طويلاً وتلاشينا كرغوةْ
بحث الخوف طويلاً
بحث الليل طويلاً
بحث الحزن المغطى بالخيام
وأفاقوا بعد بحث
بعد حفر ألف عامْ
عجزوا أن يجدونا بين أجزاء الحطامْ
واستمر الليل فينا كمطار لا ينامْ
كثريٍّ لا ينامْ

واستمر الجرح ينمو
واستمر اليأس يجري
في أخاديد العظامْ
سيدي.. شكراً جزيلاً للطعامْ
سيدي شكراً جزيلاً
للهدايا.. للكراسي
للستائرْ
للمرايا
لأريكات البصائرْ
سيدي شكراً ولكنْ
جيلنا لم يقبلوها
أتلفوها
أحرقوها بالخطايا والسجائرْ
أوقدوا الأحزان في صدر الحصائرْ
تركوا الأبواب تبكي
تركوا المصباح يبكي
تركوا الأجفان تبكي والضمائرْ
هجروا التاريخ ليلاً
سافروا في رحلةٍ.. في موجةٍ
لا تنتهي مثل الدوائرْ
سيدي عذراً لآلاف الدروسْ
كسّروها
مزقوها مثل لوح بالفؤوسْ
ما سترجو من ثقيفْ؟
من تفاهات البسوسْ؟

أيُّ شعرٍ يشتهينا؟
يحتوينا كالبصائرْ؟
أيُّ كوخ أو صديقٍ
يحتوي هذا اللسانْ؟
أيُّ ظلٍّ.. أيُّ نهرٍ
أيُّ صكٍّ بالأمانْ؟
يا ابن باديس احترقنا
وأقمنا في الشظايا والدخانْ
والتهمنا الذكرياتْ
وافترسنا كل غزلان الحياةْ
فاعذر الأشعار فينا
إنها طوق النجاةْ
إنها طوق النجاةْ.

وصايا شياطين الإنس

عاطف عكاشة- الإمارات

شَيَاطِينُ إِنْسٍ فِي الضَّلَالِ قِيَامُ ... وَمِنْ حَولِهِمْ لِلمُفْسِدِينَ زِحَامُ

يَقُولُونَ: مَاتَ الشَّرُّ أَمْ جَفَّ نَبْعُهُ ... وَمَا عَادَ فِي هَذَا الوُجُودِ لِئَامُ؟

لَقَدْ قَوَّضَ الإِسْلَامُ مَمْلَكَةَ الدُّجَى ... فَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا وَنَحْنُ نِيَامُ

فَكَيفَ سَتُعْمِي المُبْصِرِينَ رَذِيلَةٌ ... يُقَالُ حَلَالٌ حَولَهَا وَحَرَامُ؟

وَكَيفَ سَرَى الإِسْلَامُ فِينَا وَأَصْبَحَتْ ... تُقَامُ صَلَاةٌ بَينَنَا وَصِيَامُ؟

إِلَامَ نَرَى القُرْآنَ وَهْوَ مُبَجَّلٌ ... وَأَحْكَامُهُ بَينَ الأَنَامِ تُقَامُ؟

أَنَرْضَى صُعُودَ المُسْلِمِينَ إِلَى الذُّرَى ... وَفِي القَاعِ بَاقِي العَالَمِينَ سَوَامُ؟

أَيَحْبُوهُمُ القُرْآنُ كُلَّ رِيَادَةٍ ... وَفِي هَامِشِ التَّارِيخِ نَحْنُ طَغَامُ؟

أَلَيسَتْ دِمَاءُ المَكْرِ مِلءَ عُرُوقِنَا؟ ... فَكَيفَ عَلَى لَعْقِ الهَوَانِ نُسَامُ؟

تَبَنَّوا عِدَاةَ المُسْلِمِينَ فَرِجْسُهُمْ ... لَهُ حُرْمَةٌ فِي شَرْعِنَا وَذِمَامُ

أَلَيسَ عِدَاةُ المُسْلِمِينَ يَدًا لَنَا ... وَعَارٌ يَدُ الجَيشِ المُعِينِ تُضَامُ؟

أَرِيقُوا دِمَاءَ المُسْلِمِينَ فَإِنَّهَا ... لِكُلِّ عِطَاشٍ فِي الوُجُودِ مَرَامُ

سَتَلبَسُ أَثْوَابَ السَّحَابِ حُقُودُنَا ... وَأَمْطَارُهَا فَوقَ الرُّؤُوسِ حِمَامُ

مِنَ الدَّمِ تَرْوَى فِي الظَّلَامِ حُقُودُنَا ... وَتُعْلِنُ أَنَّا لِلسَّلَامِ قِوَامُ

وَتُمْطِرُ بِالكَيدِ المَتِينِ ضَغَائِنًا ... تُغَادِرُ أَرْضَ العُرْبِ وَهْيَ ضِرَامُ

وَفِي كُلِّ دَارٍ سَوفَ تَسْكُبُ فِتْنَةً ... لِتَنْبُتَ فِيهَا فُرْقَةٌ وَخِصَامُ

فَلَا سَاعَةٌ إِلَّا وَفِيهَا تَنَاحُرٌ ... وَلَا مَوضِعٌ إِلَّا وَفِيهِ صِدَامُ

سَيَقْذِفُ بُرْكَانُ الحُقُودِ جَحِيمَهُ ... لِيُعْجِزَهُمْ بَعْدَ السُّقُوطِ قِيَامُ

فَجُلُّ الأَمَانِي أَنْ تَرَاهُمْ عُيُونُنَا ... وَهُمْ لِلوُحُوشِ الضَّارِيَاتِ طَعَامُ

فَمَا أَجْمَلَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مُلُوكُهَا ... وَتَحْتَ التُّرَابِ المُسْلِمُونَ عِظَامُ

وَمَا أَجْمَلَ القُرْآنَ وَهْوَ مُعَطَّلٌ ... وَأَعْمِدَةَ الإِسْلَامِ وَهْيَ حُطَامُ

حُرُوفُ وَصَايَانَا تُنَاشِدُ عَزْمَكُمْ ... لِيُصْبَغَ مَأْمُومٌ بِهَا وَإِمَامُ

كَأَنِّي بِأَصْوَاتِ الضِّيَاءِ تُجِيبُنَا: ... خَسِئْتُمْ وَهَل يُخْفِي الضِّيَاءَ ظَلَامُ؟

وَلَيسَ عَجِيبًا أَنْ يَقُودَكُمُ العَمَى ... وَيَأْخُذَكُمْ بِالفَاحِشَاتِ هُيَامُ

فَمَنْ كَانَ مِنْ ثَدْيِ الظَّلَامِ رَضَاعُهُ ... فَلَيسَ عَلَى بُغْضِ الضِّيَاءِ يُلَامُ

رحلة في المنزل

ثلاثة أطفال وطفلة في العاشرة وأب وأم في المنزل وقت ضحى في يوم عطلة.. يجتمع الأولاد ويقتربون من الأبوين.

تُترك للمخرج حرية اختيار تنفيذ مشاهد الحديقة والبحر والملعب بحسب ما يراه مناسباً، وما هو أسهل مع مراعاة إقناع المشاهد بما يراه. كما يُترك له توزيع الأدوار والأسماء والمكان تسهيلاً للتنفيذ.

الأطفال: ينشدون وهم يقتربون بحركات طفولية

أبـــي أمـــي أبـــي أمـــي — خـذونـا رحـلـةً حـلـوةْ

نـعـيـش بـهـا سـعـادتَـنـا — نـعـودُ وكـلُّـنـا قـوةْ

الأول: ألا مـا أجـمـلَ الـرحـلـةْ!

الثاني: أنـا المـشـتـاقُ للـرحـلـةْ

الثالث: وهـــذا يـــوم عـطـلـتـنـا

الجميع: ألا مـا أجـمـلَ الـعـطـلـةْ!

البنت: نـريـح الـنـفـسَ في العطلةْ

الثاني: وفـيـهـا تـعـذُبُ الـرحـلـةْ

البنت بتودد: فـهـيّـا أمَّـنـا هـيّـا — نُـعـدَّ الأمـــرَ للـرحـلـةْ

الأول: أجـــل يـا أمَّـنـا هـيّـا — نُـعـدَّ الأمـــر للـرحـلـةْ

مصطفى عكرمة - سورية

الأم تذهب ومعها البنت

الأب مبتسماً للأول: وأيــن تـريـد أن تـذهـبْ

الأول متوداً: إلى البستانِ كي نلعبْ

نقضِّي اليوم في فرحِ

الثاني: وإن شئتمْ إلى الملعبْ

الأول: أرى البستانَ يعطينا فوائدَ لستُ أحصيها

ومن أشجارهِ نجني ثماراً سُرَّ جانيها

تَمدُّ ظلالَها حبّاً لننعمَ في مغانيها

وفيها الطيرُ صادحةٌ

الثالث: أنا أهوى أغانيها

الأول: إذن هيّا إلى البستانِ هيا يا أبي هيّا

نشاهدْ عمنا الفلاحَ سمحَ الوجهِ مرضِيّا

وبالترحاب يلقانا فهيّا يا أبي هيا

الأب: أرى البستانَ يمنحنا من الخيراتِ ما طابا

ومن زوّاره نختار أصحاباً وأحبابا

ونَسعد فيه لا نشكو مع الأصحاب أتعابا

الأول: إذن هيا إلى البستان هيّا يا أبي هيا

الأب ملتفتاً إلى الثالث: ولكن ما يرى عمرُ؟

الثاني: أرى أن نسمع الرأيا

الثالث: أودُّ زيارةَ البحرِ

الثاني: أجل يا ليتَ للبحرِ

نسير هناكَ أو نجري

الثالث: أحبُّ رياضةَ السيرِ

ونمرح عند شاطئهِ

الثاني: ونسبحُ آهِ لو نسبحْ!

فوائد ليس نحصيها يقدِّمُها لنا المسبحْ

الأب: أجـل مـا قلـتَ يـا ولـدي فـإن الخـيرَ في المسبحْ
إذن فلنمضِ للبحرِ

الثاني: أجـل فلْنمض للبحرِ

الأول ويلتفت إلى أمه: أنـا أرجـوكِ أن نـذهبْ أيـا أمّـي إلى الملعبْ
نمضّـي وقـتَـنـا فيـهِ ونـلـهـو مـثـلمَـا نـرغـبْ
نـرَوِّضُ جسمَنا فيه بـألـعـابٍ فـلا نـتـعبْ

تحضر الأم والبنت: أنـا أرجـو سـوى الملعبْ

الأم: وإني فيـه لا أرغـبْ

الأب: فـأيـن تـريـدُ أن نـذهـبْ أيـا مـن ترفضُ الملعبْ؟

الثالث: أنـا لا أرفـضُ الملعبْ

الأب: فـأيـن تـريـد أن تـذهـبْ؟

البنت: أنـا أرجـوك أن نمضي مـعـاً لحـديـقـة الـبـلـدِ

الأم: أرى بـحـديـقـة الـبـلـدِ زهـــوراً زيـنـت بـلـدي

البنت: أحـــبُّ حـديـقـةِ الـبـلـدِ أحـبُّ جمـالَـها الساحرْ
نـسـيرُ بـهـا يـــداً بيـدِ

الثاني: أنـا إن تـذهـبـوا شـاكرْ

البنت: نشـمُّ بـهـا شـذى الـزهـرِ ونـسـمـعُ غـنـوةَ الـطـيرِ

الأم: أغـــار عـلـى حـدائـقـنـا وأحـســبُ أنـهـا بيتي

البنت: ففي أحضانها نلهو ونمضي أجملَ الوقتِ

الأم: نعود إلى منازلنا ونحمل أطيبَ الذكرى

فكم أهدت لنا عطرا وكم شرَحت لنا صدرا!

الأب: أخاف هناك أن ننسى بحسن الزهرِ واجبنا

فنقطفه ولو سهْواً ونحرِمُ منه إخوتنا

الأم: ألا لا تقطفوا الزهرا أيا أحبابنا أبدا

فلن نلقى غداً عطرا ولن نلقى الجمالَ غدا

الأول: وسلوى أختنا تهوى زهورَ حديقةِ البلدِ

البنت: كما هِيَ سوف أبقيها إليها لن أمدَّ يدي

الأم: فقطف الزهر يحرمنا غداً من رؤية الزهرةْ

وبعد الحسن نلقاها لقطفِ زهورها قفرةْ

الثاني: إذن فلنمضِ للبحرِ

الثالث: أجل يا ليتَ للبحرِ

الأول: أبي أرجوك أين تَرى بهذا اليوم أن نذهبْ؟

الأب: أرى في قولكم فَهْماً لما قلتمْ وما اخترتمْ

ولكني أرى رأياً أفصّله إذا شئتمْ

الأول: أجل أبتاه قلْه لنا

الثاني: نُريدُ نريدُ أن نسمعْ

فقلْهُ يا أبي قلْهُ

الثالث: بما ستقوله أقنعْ

الكل: أجل إنّا جميعاً بالـ ـذي ترضى لنا نقنعْ

الأول: أجل أقنعْ

الثاني: أجل أقنعْ

الثالث: ولستُ بغيره أطمعْ

الأب: سمعت جميعَ ما قلتمْ وأرجو ما هو الأنفعْ

الأم: وكم نحتاج للأنفعْ

الجميع: أجـل نـرضـى بمـا ينفعْ

الأب: أرى بـرفـوف مكتبتي كتاباً يشرحُ الصدرا
وفيـه الخـيرُ أجمعُهُ وفيه العلمُ والبشرى
بـه الـرحمـنُ أكرمنا وأعطى أمتي القدْرا
يـذكّـرنـا بخالقنا ونجني عنده الأجرا
ويرشـدُنـا فلا نلقى غداً في عيشنا عسرا
تـزيـد بـه سعادتنا ويُبدلِ عسرَنا يسرا

الأم: أجـل مـا قلتَ إن لنا بـه مـا يسعدُ العمرا

الأب: تـلاوتُـه تـزيـلُ همو منا وتُنيلنا الأملا
ولـيـس بـغـيره أبـداً سنجني كلُّنا الأملا

الأم: ألا مـا أروعَ القرآنَ مـا أحـلـى معانيه!
فـليس يملُّ سامعُه وليس يملُّ تاليهِ

الأب: أجـل هـذا الـذي عندي وقد أصدقتكم قولي
فـمـاذا عـنـدكم قولوا ألم يعجبكمُ قولي؟

الأول: وهـل بعد الـذي قد قلـ ـتَ يا أبتاه من قولِ!

الأب: أجـلْ فالخيرُ كلُّ الخيـ ـرِ أن يـزدانَ بالفعلِ

الأم: أجـلْ فالخيرُ في الفعلِ

الثاني: إذنْ فليبدأ الفِعْلُ

الأب: تعالَوا يا أحبّائي ... لنتلوَ منه ما نتلو

الأول: ففيه سعادةُ الدنيا ... وفيه الخيرُ والفضلُ

الثاني: سنتلو كلَّ ما ترضى ... به عنّا، ولن نكسلْ

الثالث: وسوف ترى غداً أنّا ... سنذهب أينما نهوى

الأم: ونحيا مثلما وصّى ... على الإيمان والتقوى

الجميع وقد حملوا معاطفهم وهم يهتفون: ألا عهداً بأن نحيا ... على الإيمانِ والتقوى

فكل الخير في القرآنِ ... كل السعد في التقوى

الأب: ألا ما أعظمَ القرآ ... نَ يهدينا إلى الأقومْ

فخيرُ الناسِ إنسانٌ ... تعلّمَ منه أو علَّمْ

الجميع: ألا عهداً بأن نعلمْ ... ونعملَ بالذي نعلمْ

ليصبحَ أمرُنا أقومْ ... ونصبح في غدٍ أعظمْ

الأب: إذن فلنبدأ الآنا

الأم: أجلْ فلنبدأ الآنا

الأب: تعالَوْا كلُّكم وخذوا ... أيا أحباب قرآنا

سنقرأ سورة الرحمنِ

الأم: جلّ الله رحمانا

الأب: بها آلاؤه تبدو ... تزيد العقل إيمانا

يذكّرنا بقدرته ... وكيف أقامَ ميزانا

الأم: وزاد جميعَ ما في الكـ ... ـون إتقاناً وإحسانا

وأرشدنا بما سوّى ... لندرك سرَّ ما كانا

الطفل: عليه تدل رحمته ... فنرجو منه غفرانا

الطفلة: فشكراً يا أبي شكراً

طفل٢: ومن قلبي لك الشكرُ

طفل٣: فرأيك زادنا ثقةً ... بأمرٍ كلُّه خيرُ

الجميع: وعهداً أنْ سنبقى نقـ ... ـرأ القرآنَ ما عشنا

فزدنا فيه إيمانا ... وتقوى ربّنا زدنا

لماذا يا سومبك؟

ليلى عبدالرحمن الموسى- السعودية

لم يكن ثمة حديث عابر عندما كان يتحدث عن صعوبة تصور الحياة دون أن نكون فيها اسمًا ورسمًا.. تصور صعب فعلًا! تصورٌ يهزه مطلع سورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) (القيامة)!؟

لقد تعرفنا على الحياة من خلال تجربتنا الحية، عندما عشنا كل لحظة وعرفنا معنى الحياة فيها، أما الموت فنسمع عنه، ولا نعرفه إلا من خلال تجارب الآخرين، الذين مضوا دون أن يخبرونا عن كنهه وأسراره، تركونا إلى اللحظة التي نتعرف فيها عليه وهي لحظة فقدنا للحياة، فبقي الموت تجربة عالقة غامضة.. غيباً لا يغيب عن مخاوفنا وهواجسنا.

عمومًا ليس عيبًا أن نبصر الحياة من نافذتنا الحية، نقرأ التاريخ كشهداء عليه، وننظر إلى المستقبل كمخططين له، فالحياة لولا أنها تحدث لما تصورناها، والموت لولا أنه يقع لما صدقناه!..

إذن هو الخلود رغبة تتجذر في أعماقنا، إن أحدًا لا يصرح برغبته فيه، ويضطرنا التسليم بحقيقة الموت إلى تجاهل تلك الرغبة، التي ما تلبث أن تظهر في حنيننا إلى الأماكن القديمة، ورغبتنا في ذرية تحمل أسماءنا، فإن اختفى رسمنا فهذا اسمنا.

والخلود في الدار الآخرة، هو الذي يضبط هذا المفهوم، يطور أداءه، ويخرجه من تيه الرغبات، إلى واقع المشروعات، والقرارت، بل.... والكلمات.. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) (إبراهيم).

إن جوعة الخلود تقض مضاجع البشر التائهين عن خالقهم، فلا يمكن للطبيعة البشرية أن تحتمل تلك

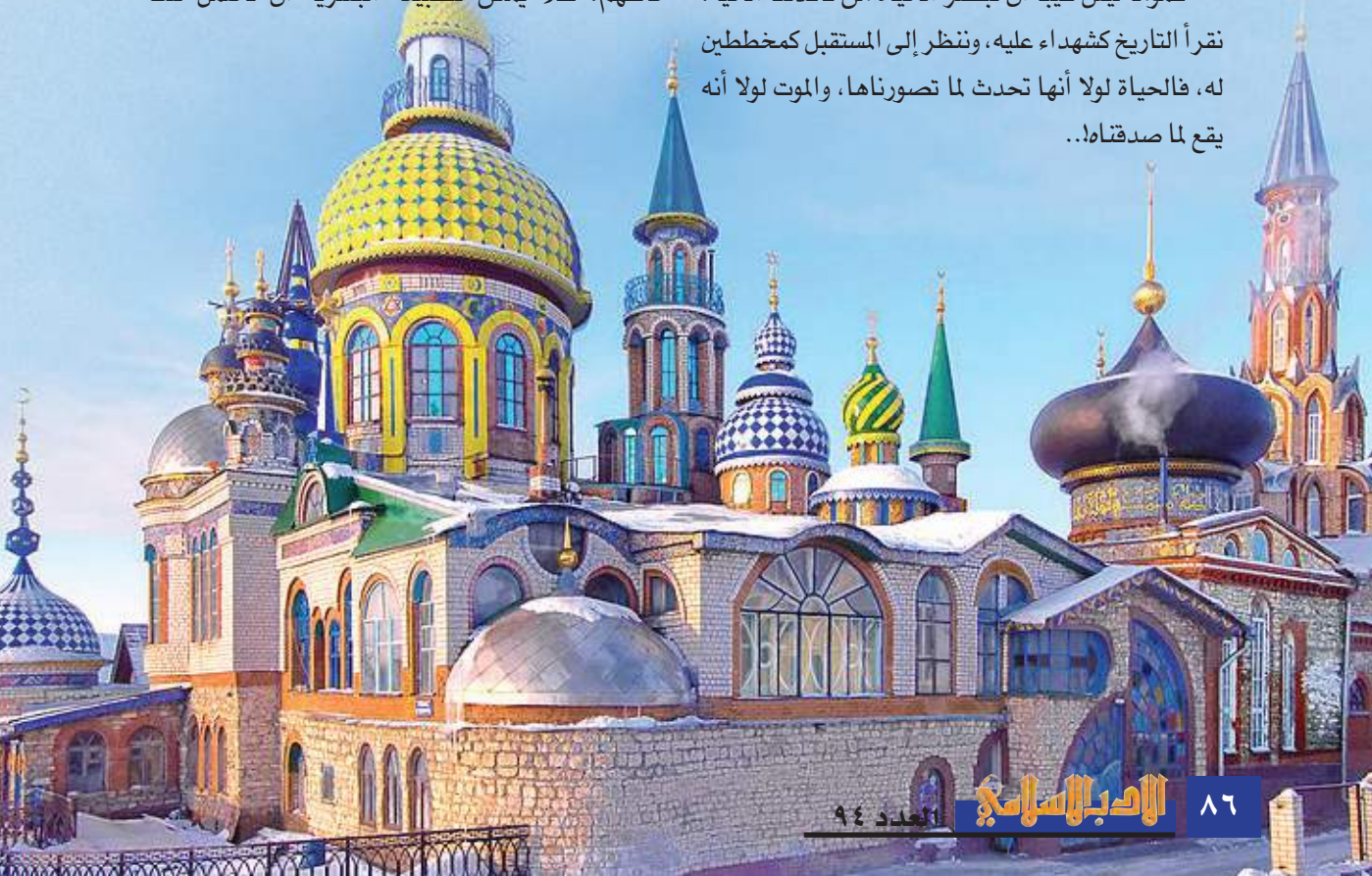

الجوعة، فكم هو مسكين ذلك الإنسان المبتور الموتور!. فالخلود معنى رفيف يحاكي رغبة النفس بالبقاء بعد فناء الجسد.

فلاعجب أن يرصد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، أجوراً هائلة للصلاة على الميت، أجوراً بمقدار جبل أحد، الذي يبلغ طوله سبعة كيلومترات، وعرضه ثلاثة كيلومترات، وما ذاك - والله أعلم- إلا لنتوافق مع حقيقة الموت.

فالميت معني بالصلاة عليه والدعاء له، لكن المعني الأول هو الحي المصلي، صلاة تختلف في حركاتها وسكناتها عن صلاته اليومية التي اعتاد عليها، وبين عينيه صورة لا يمكن تجاهلها، وهي صورة الجسد المسجى الذي فارق الحياة، إنها لحظة مواتية لإعادة النظر في موقعنا في الحياة.. بل في الكون.

حينئذ نلتفت فنجد نهراً خالداً يلبي تلك الرغبة الدفينة، والحاجة النفسية المتينة، إنه (الوقف) الذي يشد عضدنا أمام الموت الذي يجتاح أحاسيسنا.

فالراحة والطمأنينة اللتان نشعر بهما عندما نوقف وقفًا، أو نجري صدقة، أو ننشر علمًا، تتغذى عليها رغبتنا في الخلود، فتسري فينا حيوية جديدة، تعزز من إنسانيتنا، وتطور أداءنا، وليس سرًا أن الأوقاف كانت سر الحضارة الإسلامية الخالدة.

لن آخذ من وقتك -أيها القارئ الكريم- أكثر، فالقراء يعرفون في هذا المجال أكثر مما أعرف، وسأعرج بك على حكاية عروس، تحول مهرها إلى أغرب وقف، وأغرب مهر في أجمل بقاع الأرض!.. حيث يلتقي نهر الفولجا بنهر قازان قبل أن يصبا في بحر قزوين، وتحديدًا في مدينة قازان بجمهورية تتارية، قبل ١١٤٥ سنة، فقد حدث أن اشترطت فتاة تدعى (سومبك) في أثناء عقد قرانها بالخليفة العباسي مهرًا إبداعيًا، فبعد أن فتح الشيخ العقد، وسأل الفتاة عما تريده من مهر، جاء الجواب غريبًا فريدًا! فقالت: أريد رضا الله تعالى، وأريد بناء مئذنة مثل مئذنة المسجد الجامع، الذي بناه المتوكل سنة ٢٣٧ في مدينة سامراء.

وبالفعل بنى الخليفة المسجد منذ عام ٢٩٠ هـ، ولا يزال بناؤه عامرًا على مساحة ٣٨ ألف متر مربع، والمئذنة لا تزال قائمة، يصل ارتفاعها إلى ٥٢ مترًا، وبإمكان سيارة صغيرة الصعود عليها، يبلغ عدد درجاتها ٣٩٩ درجة، يصعدها المؤذن خمس مرات يوميًا..

لماذا كل هذا يا سومبك!؟

هل أُلقي في روعك أن ديار الإسلام ستصيبها نازلة؟ وسيُطفأ كل نور يشع منه الإسلام في بلادك!؟ فيبقى وقفك.. أقصد مهرك، مسجدًا ومنارة شامخة، تستعصي على عوامل التعرية البشرية والطبيعية.

وبين قازان وبغداد جسر مخملي من المشاعر الإنسانية.. رحلت سومبك عروس الخليفة إلى بغداد، ورحل من بغداد شاعرها ابن زريق البغدادي تاركًا زوجه العروس وفي قلبه لوعة، وفي فؤاده لهيب، متجهًا إلى الأندلس التي توفي فيها بعد أن كتب قصيدته الخالدة: لا تعذليه...

لك الله يابن زريق! رحلت من الدنيا حزينًا بعيدًا تاركًا يتيمتك.. أقصد قصيدتك التي مسح على رأسها كل من قرأها، وقد كفلتها عيون الشعر العربي دراسة ونقداً وخلودًا، فلا تأبه أيها الشاعر المرهف بخليفة طواه النسيان، فالتاريخ كتب قصيدتك بزلال العين، وماء الورد.

ولربما شاعر مثل ابن زريق في قبره المجهول ومكانه البرزخي، في حاجة لشاعرية من نوع آخر، كشاعرية امرأة سجلت مشاركة في أوقاف الندوة العالمية للشباب الإسلامي باسم ابن زريق البغدادي، وقد مضى على وفاته ١٤١٦عاماً.

عجيب أمرك أيها الإنسان ليس لك حلّ إلا الجنة، حيث خلودٌ.. في خلودٍ.. في خلود ■

الشعر الموافق للأدب الإسلامي

أمية بن أبي الصلت نموذجا

رسالة ماجستير

للباحثة: هيفاء غازي المطيري - السعودية

يعد أمية بن أبي الصلت من فحول شعراء الجاهلية، وعرف بتدينه، واشتهر بطلبه للنبوة، وكان يدعو إلى توحيد الله - عزوجل -، وعندما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يؤمن به حسدا وعنادا.

وقد جاء جل شعر أمية بن أبي الصلت موافقا للقرآن الكريم في معانيه وأساليبه، وألفاظه، كما أنه تفرد في شعره بذكر معان دينية متعددة، وهذا ما جعل بعض النقاد يحكم على شعره بالنحل.

هذا وقد صدق الرسول ﷺ أمية بن أبي الصلت في بعض شعره، وأعجب به، واستزاد منه، فعن عمرو بن الرشيد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء»، قلت: نعم. قال: «هيه»، فأنشدته بيتا. فقال: «هيه»، ثم أنشدته بيتا. فقال: «هيه»، حتى أنشدته مئة بيت. وأثنى ﷺ عليه بقوله: «فلقد كاد يسلم في شعره»، وقوله ﷺ: «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم».

ويمكن أن نستجلي أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

١- استنشاد الرسول ﷺ واستزادته من شعر أمية.

٢- قول الرسول ﷺ عند سماعه لشعر أمية بن أبي الصلت: «إن كاد ليسلم» رغم كفر أمية.

٣- قصائد أمية بن أبي الصلت تحتوي على مضامين سامية بالإضافة إلى مستواها الفني الرفيع، وهذا ما يدعو إليه الأدب الإسلامي.

٤- البحث في قصائد الشعراء الجاهليين الموافقة للأدب الإسلامي يكشف لنا عن جذور الأدب الإسلامي وقدمه قدم الإسلام نفسه، وأن الجديد هو مصطلح «الأدب الإسلامي» فقط.

٥- وجود الأدب الموافق في الأدب الجاهلي يؤكد أن الأدب الإسلامي أدب الفطرة السليمة والذائقة الراقية.

وتسعى الدراسة إلى:

١- الكشف عن جذور الأدب الموافق للأدب الإسلامي في العصر الجاهلي من خلال شعر أمية بن أبي الصلت.

٢- إثبات أن الأدب الإسلامي أدب الفطرة السليمة.

التأكيد على أن الأدب الإسلامي يشترط في العمل الأدبي بالإضافة إلى المضامين السامية المستوى الفني الرفيع.

وقد اعتمدت في البحث على المنهج الفني القائم على مراعاة الأصول الفنية في الشعر، واستعمال الآليات المتعددة للبحث العلمي من تحليل واستقصاء واستدلال وموازنة.

وجعلت ديوان أمية بن أبي الصلت بتحقيق: د.عبدالحفيظ السلطي هو الأصل في النقل من شعر أمية، على أني عدت إلى ديوان أمية بن أبي الصلت بتحقيق: بهجة عبد الغفور عند ذكر رأيه في قصيدة أمية بن أبي الصلت في مدح الرسول ﷺ.

وقمت بإعادة كتابة الأبيات كلما احتجت إلى ذكرها، مع ذكر معاني مفرداتها الغامضة؛ حتى تكون حاضرة في ذهن القارئ؛ لأنه ربما يفوت القارئ قراءتها في أول مرة ذكرت فيها.

وتتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، وقد عرضت في التمهيد لمحة موجزة عن الأدب الإسلامي، وعرفت فيه بأمية بن أبي الصلت وبحياته وشعره.

وفي الفصل الأول درست (المضمون): الذي احتوى على العاطفة، والأفكار، والمعاني، ودرست في المبحث الأول: شعر الإلهيات: الذي يحتوي على معاني توحيد الله - عز وجل - في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والدعوة إلى عبادة الله تعالى، واعتناق الحنفية، وتأمل الكون والاستدلال به على وحدانية الله وعظمته - سبحانه وتعالى -، والإقرار بأن الكون كله يوحد الله ويسبحه.

أما المبحث الثاني: فضم شعر اليوم الآخر، وظهرت فيه نظرة الشاعر للحياة الدنيا، وزهده فيها، وإيمانه بحتمية الموت، وفناء الكون بما فيه وبقاء الله - سبحانه وتعالى -، وتتضح فيه أسباب خوف الشاعر مما بعد الموت، وهي إيمانه بيوم القيامة، وما فيه من البعث، والحساب والجزاء، ووصف النار وعذابها وخزنتها، ووصف الجنة ونعيمها ورجائه في نزلها.

واشتمل المبحث الثالث: على دراسة الشعر في مجال مكارم الأخلاق التي أقرها الإسلام، وبينت فيه موافقة أمية في غرض المدح والفخر، والغزل للمنهج الإسلامي، ويضم هذا المبحث شعر الحكمة، وقصيدة أمية في مدح الرسول ﷺ ودعوته إلى اتباع النبي - عليه الصلاة والسلام - بالرغم من كفره به.

أما الفصل الثاني فوقفت فيه على أهم خصائص شعر أمية بن أبي الصلت، فنظرت

إلى الشكل ودرست في المبحث الأول: المعمار الفني الذي يظهر فيه اهتمام أمية بشعره وبالمتلقي؛ وذلك من خلال اختياره للمعمار الفني الذي يتناسب مع غرضه.

وفي هذا المبحث نظرت إلى القصائد من زاوية الموسيقا، وتوظيف أمية للإيقاعين الداخلي والخارجي لخدمة المعنى.

ونظرت إلى شعره الموافق للأدب الإسلامي من زاوية اللغة في المبحث الثاني، ومن أهم ما تطرقت إليه في هذا المبحث هو إسلامية ألفاظ أمية وموافقتها للقرآن الكريم، وما ورد في شعره الموافق للأدب الإسلامي من ألفاظ يكاد ينفرد أمية بذكرها. وأشرت إلى تأثير عصر أمية، وقراءاته المختلفة على مفرداته الشعرية، وتطرقت في هذا المبحث إلى معجم أمية الشعري.

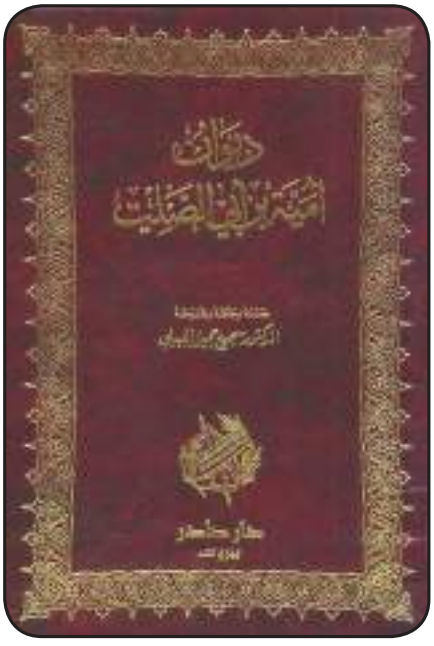

وفي المبحث الثالث: تناولت الصورة الفنية بالدراسة، وقمت فيه بتعريف الصورة الفنية، وبيان أهميتها في الشعر، ووقفت عند مصادر الصورة الفنية عند أمية بن أبي الصلت، وهي: الدين، والطبيعة، والبيئة، وقمت بتحليل صوره وأخيلته وبيان مزاياها وما تفرد به من صور.

ومن أهم ما صور أمية بن أبي الصلت الأمور المتعلقة بالعالم الغيبي من ملائكة، وحملة العرش، وعرش الرحمن، والجنة والنار، وخلق الإنسان، والكون، وهي صور موافقة لما جاء به الإسلام.

أما المبحث الرابع فذكرت فيه: سمات الأسلوب، وبينت تنوع أساليب أمية بن أبي الصلت، وأرجعت ذلك لتعدد ثقافاته وتنوع تجاربه، واطلاعه على الكتب السابقة، وتعدد موضوعاته الشعرية.

وتناولت بالدراسة أبرز سمات أسلوب أمية بن أبي الصلت في شعره: كالاقتباس من القرآن الكريم، وانتقائه الأفكار الدينية التي يأخذها من الكتب السابقة، ومن أخبار الرهبان والقساوسة، والحنفاء.

وكنت أعقد بعض الموازنات بين شعر أمية وبين شعراء عصره - الموحدين وغير الموحدين ممن أدركوا الإسلام أو لم يدركوه - الذين يقاربون أمية في المضمون أو الشكل؛ لبيان ميزة أمية ابن أبي الصلت على شعراء عصره، وبيان عمق المعاني الدينية الموافقة للإسلام في شعره، وإظهار سعة ثقافته الدينية الموافقة للإسلام.

ولم يمنع ذلك من عقد بعض الموازنات بين أمية وبين شعراء آخرين يخالفونه في عقيدته؛ لأستدل منها على أن للعرب معتقدات مختلفة بالبعث.

وقد بينت في بحثي أسباب إعجاب الرسول ﷺ بشعر أمية واستزادته منه، وقوله عليه الصلاة والسلام: «فلقد كاد يسلم في شعره»، وتلك الأسباب هي:

١- أن جل شعره يحمل قيما سامية، وأخلاقا حسنة، ومعاني دينية موافقة لما جاء به الإسلام.

٢- أن أمية يجمع إلى جانب سمو المعنى، جمال الشكل، وبديع الصور والأخيلة، وروعة الأسلوب ولطافته.

٣- أخذه من الكتب السابقة، وأخبار الرهبان والأحبار، ما يوافق الفطرة والعقل السليم والدين الحنيف.

٤- تفرد أمية بن أبي الصلت من بين شعراء عصره بالإكثار من الشعر الموافق للأدب الإسلامي حتى أصبحت تلك الموافقة سمة من سمات شعره.

وبعد هذا تأتي الخاتمة التي قدمت فيها خلاصة البحث، وعرضت لأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، بالإضافة إلى عرض بعض التوصيات التي ظهرت لي خلال قيامي بمتطلبات هذه الدراسة، ثم ختمت الدراسة بثبت المصادر والمراجع، وفهارس للآيات والأحاديث والقوافي والموضوعات.

وكان من أهم نتائج البحث ما يأتي:

١- تبين من خلال الدراسة أن أمية بن أبي الصلت هو الشاعر الجاهلي - الوحيد - الذي نال شعره إعجاب الرسول ﷺ بل استزاد منه، وأثنى عليه بقوله: «فلقد كاد يسلم في شعره»، كما أظهرت الدراسة أسباب إعجاب الرسول ﷺ بشعر أمية بن أبي الصلت واستزادته له وثناءه عليه.

٢- تبين من خلال هذه الدراسة أن جل شعر أمية بن أبي الصلت موافق للأدب الإسلامي، كما أن بعض شعره يوافق القرآن الكريم في ألفاظه، ومعانيه، وصوره وأساليبه. وهو الشاعر الوحيد الذي أكثر من تلك الموافقة، يضاف إلى ذلك أنه تفرد في ذكر معان إسلامية لم يسبقه إليها أحد، وصدقه الرسول ﷺ فيها.

٣- أثبتت الدراسة تأصل فكرة توحيد الله في أسمائه وصفاته، وفي ألوهيته وربوبيته في شعر أمية بن أبي الصلت الموافقة للأدب الإسلامي.

٤- تؤكد الدراسة على أن شعر أمية بن أبي الصلت شعر بناء هادف يسعى إلى ربط الإنسان والكون بخالقه - عز وجل -، وإلى تأكيد الثوابت الإيمانية في نفس الإنسان، والسمو بنفسه وبفنه من وحل المعتقدات الباطلة.

٥- أظهرت الدراسة جودة شعر أمية بن أبي الصلت الموافق للأدب الإسلامي وتفوقه فنيا في مضامينه وأساليبه، وصوره وأخيلته، ولغته.

٦- تبين من خلال الدراسة أن بعض شعر أمية بن أبي الصلت الموافق للأدب الإسلامي حكم عليه بالانتحال لموافقته للقرآن الكريم في ألفاظه، ومعانيه، وصوره، وأساليبه.

وختاما فالشكر لله - عز وجل - الذي أمدني بعونه، وأحاطني برعايته وهيأ لي كل الأسباب حتى اكتملت هذه الدراسة، ثم أتوجه بالشكر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعامة وكلية اللغة العربية بخاصة، التي أتاحت لي استكمال دراستي العليا.

نوقشت الرسالة في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكانت لجنة المناقشة مكونة من: أ.د. عبد الله بن صالح العريني مشرفا، وأ.د. وليد إبراهيم قصاب عضوا، و د.الجوهرة آل جهجاه عضوا

وحصلت على تقدير «جيد جدا». ■

ذات حياة

د.منى محمد العمد – الأردن

استيقظت من نومها وفي ذهنها فكرة واحدة، تريد أن تصنع لنفسها يوما جميلا، لن تنتظر أن يصنعه لها أحد، تدرك يوما بعد يوم أن أحدا لن يصنع لها شيئا، بل تدرك أنه لن يهتم لأمرها أحد، مع أن حولها كثيرين، وكلامهم كثير ووعودهم أكثر.

هو من بينهم كلهم لم يعدها بشيء، لذلك لا يمكنها حتى أن تلومه، بل لقد وعدها كثيرا وأخلف وعوده، لماذا تستثنيه؟ لماذا تحاول أن تخدع نفسها ؟

لماذا تدافع عنه حتى في سرها؟ هل هي محاولة يائسة لاستبقائه؟ إنه مثل الكثيرين حولها، موجود وغائب .

لماذا تستبقيه؟ وماذا لو نقلته من قلبها إلى ذاكرتها؟ مثل وجوه كثيرة عبرت حياتها، لكنه كان كثيرا ما يعطيها كلمات تبعث في روحها روحا، كلمات ليست كالكلمات، كانت تؤدي أدوارا، تجتاز بها الكثير من محطات الأسى على الطريق، لكنها تبقى في النهاية كلمات، مهما كانت ليست كالكلمات، هي تعطيها الصلاحية إن شاءت لتقودها أو لتتجاوز بها من الصحارى والقفار في حياتها مساحات، هي تعطيها القوة وتسمح لها أن تقتحم بها العقبات، ثم هي إن شاءت تسحب صلاحيتها منها فتعيدها كما كانت مجرد كلمات .

أعدت لنفسها فنجانا من القهوة، لم يعد مهما أن يشاركها أحد قهوتها، كانت دائما تقول لنفسها:

وما لذة القهوة إن لم يشاركني فيها أحد؟ لكنها اليوم تستيقظ مبكرة فتسارع لقهوتها التي تصنعها باهتمام لتوافق مزاجها بدقة، تنظر إلى الفنجان، تشرب بهدوء، قبل أن يقطع وحدتها أحد! قبل أن يبدأ هاتفها بالرنين، يثقل كاهلها بطلبات لا تنتهي.

هل هي حزينة على سنوات من عمرها ؟ سنوات مضت، ضاعت بلا جدوى، هل حان الوقت لتوقف هدر أيامها؟

تنظر عبر النافذة، هذه شتلات خضراء من نبتة الريحان، نما بعضها وأزهر آخر، لكن بعضها لا يكاد يحافظ على حياة، ترى ما السر في ذلك؟ وهي تسقيها من ماء واحد وفي وقت واحد، لديها نبتتان تحملان أزهارا جميلة ملونة إحداهما يبست وماتت، جفت أزهارها وتحجرت، والأخرى بدأت بإنتاج أزهار جديدة، أخذت المقص، وتخلصت به من الأزهار الجافة، وتركتها تخالط التربة، يقولون: إن الأزهار الميتة يمكن لها أن تدعم التربة لإنتاج أزهار جديدة!

ههنا نبتة خضراء يانعة تملأ مكانها بجمال مهيب، تتداخل أوراقها الطويلة التي تشبه أوراق الزنبق، خضراء محمرة الجوانب، لكنها مجرد أوراق خضراء لا تزهر ولا تثمر هي حتى لا رائحة لها، ربما مثلها كثير من البشر، ماذا لو استبدلت بها صورة لها، إنها تعطي نفس النتيجة، مجرد شكل جميل، تتذكر ما درسته ذات يوم إذ كانت صبية تملأ الأحلام قلبها، درست أن النباتات الخضراء تنتج الأكسجين الذي يساعدنا على التنفس، نعم ولكنها تذكرت أيضا أن هذه النباتات تقاسمها أكسجين غرفتها ليلا، هي أيضا تعطي وتأخذ، مع أنها تقف هناك دون حراك، تتابع جولتها الصباحية المبكرة، تمر بشجرة الرمان تحمل الكثير من الثمار، وعلى الأرض سقطت بعض الثمرات، أخذتها ونظرت، إنها ثمرة مريضة ولذلك سقطت، يا إلهي هذه الثمرة لم تجد من يساندها، من يساعدها لذلك سقطت وخالطت التراب، هل تضحي هذه الرمانة بحياتها من أجل أن تصنع حياة جديدة لرمانات أخرى؟ هل هو قانون الانتخاب الطبيعي الذي درسته أيام الصبا؟ تتساءل الآن: لماذا لم تر قسوة هذا القانون تلك الأيام؟ وقتها كانت تظن أن النباتات هي مجرد أشياء، مع أنها درستها في مادة اسمها علم الحياة، علم الحياة الذي من قوانينه أن الثمرة الضعيفة تسقط، نعم تسقط، لم يعد فيها من نفع لأحد فلا ضير أن تسقط وتتحلل أنسجتها الميتة لتنسج حياة جديدة لغيرها، يبدو أنها تشبه إلى حد بعيد هذه الرمانة المريضة، ترى هل هي ضعيفة فعلا أم أن الغصن ضعف عن حملها فسقطت؟ إنه قانون الحياة فلماذا تكون هي استثناء؟!

تعثرت بعود يابس وهي تمشي، جرح ساقها جرحا بسيطا لكنه آلمها، أرادت أن ترفع الغصن اليابس لكن شجيرة اليقطين الخضراء التفت عليه تعانقه، هل تحاول منحه الحياة، أم هي تحاول يائسة أن تدفعه ليشاركها حياتها؟ يا إلهي ألم تجد هذه اليقطينة الحكيمة سوى غصن يابس لا حياة فيه ليشاركها حياة؟ تحس أنها تقترف جريمة ربما بحقهما معا وهي تفصل شجيرة اليقطين عن العود اليابس وترميه بعيدا، إنه عود يابس لا حياة فيه، فكيف لا يزال قادرا على أن يسبب لها جرحا مؤلما نازفا، تركت اليقطينة على الأرض وحيدة، فهل ستكف عن البحث عن شجرة أخرى تتسلق عليها كشجرة الورد القريبة مثلا؟ أم ستبقي على وحدتها؟ هل تشغلها ثمراتها الصغيرة عن البحث عن غصن تتسلقه؟ ربما.

رن هاتفها رنينا متصلا، مسحت جرحها، وأسرعت إلى حيث كانت تجلس، كانت قهوتها قد بردت، ولا زال هاتفها يصدر رنينا متواصلا ■

على بوابة الأقصى

د. نصر عبدالقادر - مصر

رباه.. قد نادى المؤذن للصلاة.. ولا سجودْ
بيني وبين القبة الخضراء سد من جنودْ
سد من الأحجار والأحقاد والصلف العنيدْ
غبر الوجوه.. عيونهم أحداق ثعبان حقودْ
أننال إذن مرورنا.. من كف شيطان مريدْ!؟
أننال إذن سجودنا.. من كف عربيد كؤودْ!؟
وطني أنا هذا..؟ بلادي؟.. آه يا ذل العبيدْ!
أرضي أنا هذي..؟.. ربوعي؟.. آه يا وجع الطريدْ!
ووقفت منكسرا.. وفي جنبيَّ ينفجر الصديدْ
لا الشيب يشفع لي.. ولا ضعفي لقسوتهم يفيدْ
وهويت أنزف حسرة.. والأرض من تحتي تميدْ
قلبي مع الأقصى هنالك خلف هاتيك الحدودْ
عيناي تحتضنان قبته الحزينة من بعيدْ
أبكي.. ويبكي المسجد النائي وعينانا تجودْ
يا ثالث الحرمين كم يهفو جبيني للسجودْ
وطفقت أرنو.. والدموع لظى يسيل على الخدودْ
أسوان.. أرقب ما بنى الأفاك في أرض الجدودْ

رباه عاد لأرضنا... عصر القراصنة الجديد!
وتضيع أصداء الأذان بساحة الأفق المديدْ
رحلت مع الغيم المسافر في الفضاء.. فهل تعود؟

* * *

وسمعت «لا تحزن» تشق الغيم.. تبتدر الفضاءْ
فهتفت وا قدساه.. وا أقصاه.. مهد الأنبياءْ
وتمثلت لي من سحاب الدمع أبواب السماءْ
وحفيف أجنحة البراق يريق أمواج الضياءْ
والمسجد الأقصى تموج به ترانيم الدعاءْ
زمر الملائك سابحات بالصلاة وبالثناءْ
ومحمد خير الأنام يؤم عقد الأنبياءْ
هو درة العقد الطهور.. وهم على شرف سواءْ
هو شمس كل العالمين وسر ذياك البهاءْ
ومضى البراق بخير من وطئ الثرى نحو السماءْ
جبريل حاديه.. ووجه الأفق مؤتلق الرواءْ
للسدرة العصماء يعرج للمهيمن حيث شاءْ
هذا مقامك يا محمد فارق في رتب السناءْ
أحرز من الشرف الرفيع بفضل ربك ما أفاءْ
واسجد بظل العرش وانهل من ينابيع الضياءْ
في منزل القرب اجتباه إلى الكرامة والعلاءْ
وكساه تاج العز والإكرام.. يا فيض العطاءْ

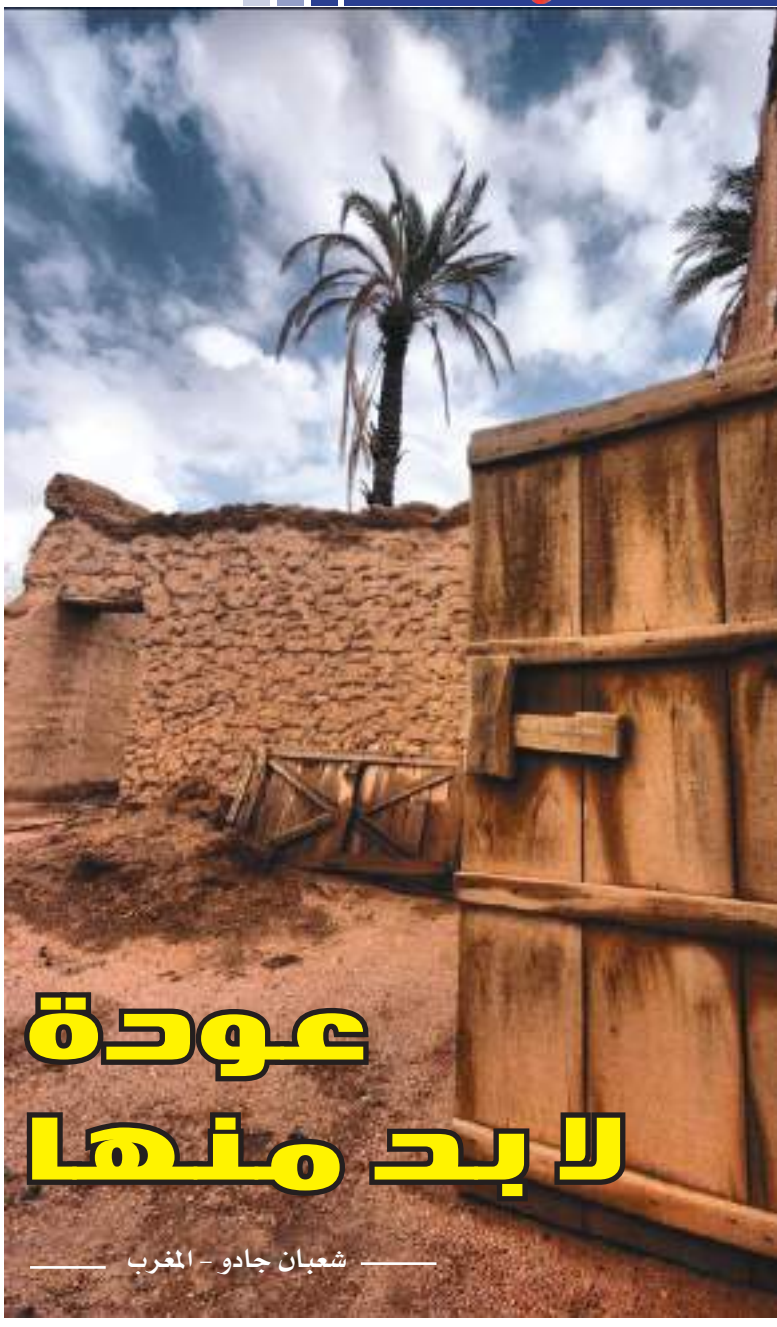

عودة لا بد منها

شعبان جادو - المغرب

يدي عاجزة؛ إن تمسكْ بالقلم يتسعِ الجرح، دائما كنت أعانق الأمل، الآن غلبني الوجع، صرت متبلداً، أصابتني حالة من السأم. الفراغ وحش مفترس يطبق بخناقه، يمسك بكلتا يديه على رقبتي؛ فيقبض عليها، عيناي تبرزان توشكان أن تخرجا من محجريهما، النصائح التي عللتني بها أمي مع بعض التعاويذ ما عادت تجدي، مالحة تلك الهموم في حلقي.

حاولت جاهدا أن أغير وجهتي صوب بلاد تنعم بالحب، تمتلك السعادة، الكثيرون أقنعوني بالبقاء هنا؛ من يرعى سيرة الأجداد؟ أخبرتهم أن الأطفال لا يجدون قطرات اللبن، ما يزالون على الثرى، الكبار رحلوا، اتهموني بالعقوق وتبلد المشاعر، الذكريات مثل قيد تشل خطوي، ما تنفع تلك النصائح والعيون شاخصة أن يأتي الجنرال بسوطه، يفزعني أن أتخيله هنا، إنه يتتبع الأحلام، يتدخل في الخواطر، يستدعي الوجع، الوجوه صارت نكرة لا نفع بها ولا رجاء منها.

بانت الحقيقة التي كانت متدثرة بطلاء زائف من القبلات والأحضان، حيث تقبع تلك الدمى الشوهاء عند المنعطف البارز ناحية الشجرة التي كنا نلعب عندها، تركت في يومي بعض أحلامي المؤجلة منحوتة على ساقها الكبير؛ أودعتها المرتجى!

الآن بعد ثلاثين عاما ها أنذا في المكان نفسه، نزلت من القطار القادم بي من العاصمة، عشت مغترباً طوال تلك الأعوام، ربما ثمة هاتف ألح علي بالقدوم.

لم تنم ليلة أمس، دموعها سحت مثل نزف جرح لم يجد من يطببه، أمسكت بي في رجاء وحنان، أقنعتني أن المكان هناك موحش؛ حيث الفقر والمرض، والعداء والحسد، أنكروك حين كنت فقيراً، ثيابك التي أتيت بها إلى أبي تطلب يدي بها، لم تكن غير ثقوب في وجه القهر، والآن وقد غزا

الشعر الأبيض رأسك، وتلك الانحناءة البادية على ظهرك، ما عاد في عمرك متسع لتغامر به! إنها لا تعلم أن الطين له عبق، تشمخ به الأنوف، هيهات لمن عرف الهوى يوما أن يغادر مرتع الصبا وملاعب الطفولة.

أمسكت بيدي، أقسمت علي أن تصطحبني، وحتى تضمن عودتي؛ أشارت علي أن نترك ولدينا عند خالتهما، رفضت في حدة ظاهرة، تألمت، أصررت أن يأتيا معنا، سيجدان بعضاً مما يذكرهما بالآباء. ولأن عنادي يحركني في أكثر حالاتي، استجابت في صمت، وها نحن الآن في القرية التي أنكرتنا، الشجرة التي أودعتها حلمي صارت حطاماً، بيت أبي لم يبق منه غير بعض ركام من حجر، سكنته الجرذان، بل لقد أوشك بنو أعمامي أن ينتهبوه؛ لولا أن أختي وقفت لهم وحدها، صنعت لها عشة تربي بها بعض الدجاجات، وفي المساء تغادر.

حين رأتني، لم تشعر بأخيها الفارس المرتقب، وجدته حطام رجل لا يملك من دنياه غير لقب، من بعيد رأيت العيون تترصدني، انحنيت ممسكًا ببعض الأحجار، شعرت بالحنين إليها، هنا كانت أمي تمسك بضرع البقرة؛ فتحلب اللبن، المكان صار أطلالًا، والذكريات كالحة، الضباب سيطر على كل المعالم، الشمس توارت عن المكان، لقد تحول البيت إلى نتوء يشير إلى الفناء.

وجدت العتب في عيني أختي؛ فرطت كثيرًا في أبيك، تركت بيته مأوى لكل وغد وطامع! الدموع ما عاد لها مكان، أمسكت بالفأس القريبة مني حيث تركها من ألقى الوحل في بيتي؛ بل ما كان يومًا اسمه بيتاً، شرعت في تنظيف مكان الخيمة، ونصبتها. هل كانت اعتصامًا!؟ لا، بل هو المبيت حتى تشرق الشمس من جديد، في الصباح سافروا! ■

أشكو زماني

نوال مهنى - مصر

أشكو زماني الضَّاحك الباكي
يا ليتَ تُجدي لوعَةُ الشَّاكي
أرنو إلى الأسعارِ تُلهبُني
وكأنَّها أرقامُ أفلاكِ
بسعيرها أودَتْ بحَافظتي
ولأجلها قد بِعتُ أملاكي
وأشرُّ ما أمسَى يُؤرِّقُني
يُدمي فؤادَ النَّاظرِ الحاكي
مرأى شَوَارِعنا وأكثُرها
حُشِدت بـ «مولات» وأكشاكِ
«ومبي» و«مَجْدُونَلْ» وتابعهم
«تكا» و«سنسبري» و«كنتاكي»
إعلانُها الجَذَّابُ حَاصَرَني
مُتَسَلِّقا بَابي وشبَّاكي
وَجَبَاتُها شَكْلٌ ولا طَعمٌ
تُغري ولو من سُمِّ فَتَّاكِ
عجَبَاً لِمَن صَنعوك قَد سَبَقوا
في خُبثِهم إخوانَ «بَاراكِ»
أموالنا صَارت لهم هَدَفاً
حتّى هَوَت في شَرِّ أشراكِ
وبلادُنَا سُوقٌ لِغَثِّهمُ
سَقَطتْ بِنَا في فَخِّ إربَاكِ

مِنَى وحبة الحصى

عاتكة أبو السعود[1] - سورية

نظرتُ للبطحاء.. ثمَّ إلى السماء.. فقلتُ في صَفاء: أيَّتها السماء.. كَم تمتَّعتِ من النُّجوم بلَألاء.. وكم تهتِ بها فخراً وزهوّاً وكِبرياء.. كم قلت لنا مِن العلياء: أحجاري مَاسيَّة.. تشعُّ بالضياء.. وأحجاركُم صخرية صمَّاء..!

مهلاً أيَّتها السماء.. خالقُ النَّجم هو خالقُ الحجارة الملساء.. تدبَّري تفكَّري.. أليسَ قمَرُك من الحجارة الصمَّاء..؟! أليس نجمك الماسيِّ يستمِدّ عطاءهُ من خالق الضياء..؟! ألم يخلق الله القمر من حجارة دونَ ماء..؟!

ولما تواضع.. أمدَّهُ الله من الشمس بالبهاء.. صار مقروناً بها في الأرض وفي السماء.. صار لألاءً.. نظنُّ أنَّ الخير منهُ.. بيْدَ أنَّ الخير كلّه بيدِ مالك العَطاء..

نظنُّ النور والإشراق والبسمة في وجهه، وهل هي إلا ممن أعطاه البهاء..

مَهلاً أيَّتُها السماء.. مهلاً أيَّتُها السماء..

* * *

مَدَّ البساطُ المخمليُّ جوانبهُ على الكون بحُنُوٍّ وخَجل.. وسوادُ الليل الدَّامس زيَّنهُ القَمَر في ليلة عيد الأضحى فرقصَ وحجَل.. ناظراً في خفَر.. ودَلال ووَجَل..

مُناجياً الخالق الباري.. ما هذهِ الجموع!؟ ما هذهِ الأصواتُ!؟ ما الخطبُ الجَلل!؟

سجدَ الكونُ للذي دَبرَّه وقال: تلكَ عظمةُ الله الأجلّ..

* * *

غمزتْ نجمةٌ فضيَّة بحاجبيْها نحو القمر البهيِّ وقالت بدلٍّ وخفَر: انظر إليَّ .. أعرني سمعكَ أيها القمر..! أتسمعُ مِثلي وترى ما أرى ولا تعجبُ..؟! أمْ أصابَك العَشَا بالنَّظر..؟! أترى الجباهَ المعفَّرة، والرُّؤوس المغبَّرة!؟ وتسمعُ أنينَ قلوبٍ أنَّتْ في السَّحَر..!؟ أتحسُّ وَجيبَ قلوبٍ تُخرج الآهاتِ من الحناجر تشكُو همَّها إلى مدبِّر القَدر..!؟

تمايل القمر تيهاً وصاح وزمجر: ويحكِ! أما تعلمينَ أنَّ اللَيلة ليلة عيد الأضحى الأكبر..!؟

ليلة عادَ هؤلاء من عرفات الخير الأعْطر.. نادَوا بصوتٍ واحدٍ إلهاً واحداً، هلَّل الجمْعُ.. ولبّى وكبَّر.. جاء الجوابُ سريعاً من الرؤوف الرحيم.. أفيضوا مغفوراً لكم مهما تعدد الجمع وكثر.

زغردتِ النجمة بصوت رخيم وقالت بدَلٍّ: حمداً لله يا قمر.. إنَّني لم أكن من هؤلاء البشر، لم أكنْ في الأرض ذات التراب والمدَر.. سفليَّة تُوطأ بالأرجل من قِبَلِ البشر.. أنا عُلْويَّةٌ أنظر إليهم.. ويا نِعم النَّظر..!

وبينما هما على هذه الحال.. والكلام بينهما سجال.. صعدَ إليهم صوتٌ أرضيٌّ في الحال هزَّ المشاعر وأطربَ البال.. أصغتِ النجمة بهدوء.. ومال القمر إلى جنب السماء.. يحاول الوداع..

نادتهُ النَّجمةُ بضراعة: أيّها الغَالي انتظر ساعة.. لا تُسرع في مفارقة الجماعة.. فإن الخير كلّه فيهم، ومعهم تحلُو الطَّاعة..

اسمعْ معِي أيها الغالي.. إلى ذاك الصوت السفليِّ العالي..

تعالَ معاً لنسجِّل للتاريخ ماذا يقول... علَّنا نستفيدُ منه قبل الأفول:

ربَّاهُ.. استخلفتنا فقبلنا، وعلى بابك أقبلنا.. ربَّاهُ.. دعوتَنا فلبَّينا ولرحابك أتينا..

ربَّاهُ.. مننتَ فأفضلتَ.. وحبوتَ فأنعمتَ.. عرفناكَ

قبل عرفات.. وفي عرفاتِ الله شهدنا نعماءك.. وها نحن في مقام التزلُّف لجنابك، والتقرُّب لرحابك.. نبحثُ عن حصاة الأرض السفليَّة.. لا ضوء لها.. ولا نُورَ.. ولا ضياء.. فاقتها نجمةُ السَّماء بالعُلُوِّ والارتقاء.. والسُّموّ والضِّياء..

يا حبَّة الحصَى.. أنتِ أغْلى عنْدي من نجمة السَّماء.. أنتِ أحبّ إليَّ - في المناسك - من قطرة الندى.. أنت أروى لظمأ قلبي - في هاجرة الغفلة والعصيان- من ماءٍ باردٍ زُلال.. أبحثُ عنك.. أحنِي الظهر.. أعفِّر اليد.. وأفرح بالعدد.. أحبَّةُ ماسٍ أنتِ..؟! بل أغلى... لأنِّي بكِ أطيعُ الله الأعْلى.. أكنزٌ من لجينٍ أم من تبْرٍ؟! بل أنت أبهى..! بك دحْرُ الشيطان وأعوانه، وطاعةُ الله ورضوانهُ..

* * *

يا حبَّة الحصَى.. أنتِ من الأرض التي - منها خُلقنا وإليها نعود- يوم الوعيد فيكِ عجْبُ الذَّنبِ للأجسام قبْلنا... فكيف لا نحترم هذي الحشود..؟! أنتِ عالم سفليٌّ، بل علويٌّ.. فيه جبهةُ الشَّاهِ وساق الحسود.. أنتِ لوحةٌ من جَمال.. مَا بيْنَ حَوَرٍ، وقَدٍّ، ونحورِ صَبايا غِيد.. أنتِ.. أنتِ عِبرة الزَّمان مِن بئرٍ معطلة وقصرٍ مشيد..

يا حبة الحصى.. يا نور العيون.. بك يرتاح المأفون من أوحال الدُّنى.. بك يسكنُ وجيبُ قلبٍ أقلقهُ الضَّنى.. يرفعُ اليدَ مكبِّراً مُهلِّلاً مُوحِّداً قد نَال المُنى: (بسم الله والله أكبر إرغاماً للشيطان في منى) إرضاء للرحمن واتباعاً للمصطفى العدنانِ، وبه يحلُو الهنا،سبعاً، في سبعٍ.. في سبعٍ، وعلى السبع تدور الدُّنى[٢].

* * *

أحبك يا حبة الحصى.. فلو نظمتُك عقداً لتباهيتُ به على المخلوقات، ولو نظمتُك شعراً لفقتُ أهل الشعر والمعلّقات، ولو رسمتُك لوحةً سُباعيةً أو سبعينيةً لسبقتُ في الروعة والبهاء الصور المرسومات..!! لوحتُك تالدة من زمن الذبيح[٣].

.. وأنشودتك خالدة للقلب تريح.. رناتٌ وأفعالٌ مع أصوات التكبير في الكون الفسيح.. تردِّدُ في أرجاء الأكوان: اسكنْ أيُّها القلبُ.. ألا تستريح.. ألا تستريح.. ألا تستريح..؟!

* * *

تلألأ الحصَى تلألؤَ الدُّموع المتحدِّرة على الخدود والنُّحور.. لمعَ الحصى لمعانَ البسمة على الثُّغور.. ومادت الأرضُ تيهاً بهذا الحصَى.. فقالَ لها الربُّ: اسكني فأنَا الرحيم الغفور..

صاحتِ الحصَى: حمداً لبارئي.. حمْداً لخالقي.. حمْداً لأنِّي لم أكن في السماء نجمة.. وأنَّ الأرض مملوءةٌ بي تمور.. هرولتْ نجمة السَّماء إلى صديقها القمَر.. تناجيه بصوتٍ أجشّ ووجهٍ أغبر.. منادية.. ألا هلمّ إلى السفر.. لقد سبقنا الانسان يا قمر، وأوقعتنا الحصيَّات في الخفر .. ألا يا قمري إلى أين المفر؟!

اصفرَّ وجه القمر خجلاً وأمْسكَ بيدِ أخته مُسافراً تاركاً وراءهُ صدى كلماتٍ بالحنين عامرة... بالحبِّ غَامرة: إليكم يا أهل الأرض من الله المغفرة.. إليكم يا أهل الأرض من الله المغفرة■

الهوامش:

(١) داعية ومدرسة ومربية من مدينة حلب، سورية.

(٢) إشارة لرمي الجمرات في منى سبع حصيات للجمرة الواحدة، والسبعون لمجموع الجمرات التي ترمى في الأيام الثلاثة، وإلى قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) (الطلاق: ١٢).

(٣) إشارة إلى تعرض الشيطان للخليل عندما أراد ذبح إسماعيل عليهما السلام، وحَصْبُهما له بالحجارة.

الوطن في الشعر السعودي المعاصر

تأليف: عطا الله الجعيد

عرض: محمد عباس محمد عرابي

صدر مؤخرا (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م) عن نادي الطائف الأدبي كتاب (الوطن في الشعر السعودي المعاصر) للكاتب والصحفي والإعلامي الأستاذ عطا الله الجعيد رئيس نادي الطائف الثقافي الأدبي، وهو يقع في (٢٨٤) صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على إهداء وافتتاحية، ومقدمة، وبابين، وخاتمة.

المقدمة:

بين فيها الكاتب أن من مميزات الشعر السعودي أنه يستمد عناصر وجوده وقوته من القرآن العظيم، وأدب النبوة ومنهلها الصافي، ومن تراث العرب والمسلمين الذي نشأ أول ما نشأ على ثرى هذه البلاد والذي يعد امتدادًا لتراث الأدب العربي القديم.

وقد أخلص شعراء وطننا لهذا الصرح الشامخ لدولة التوحيد. دولة الأمن والاطمئنان التي أسسها بجهاده جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله). فعبروا عن شعورهم الوطني الصادق وطموحهم المتقد، وتصميمهم على بناء نهضة كبرى والوصول إلى غد مشرق.

ومما يلحظ أن الشعراء السعوديين في الفترة الأخيرة قد أبدعوا في الكتابة عن الوطن، وكان كل واحد منهم ومضة مشرقة أضاءت الشعر الوطني بصفة خاصة وتاريخنا الأدبي الحافل بصفة عامة، مما دفعني إلى تناول هذا الموضوع بالدرس والتحليل.

وبين الكاتب أن موضوع (الوطن) في الشعر السعودي المعاصر يتجه إلى إثبات ما وصل إليه الشعراء في عصرنا في هذا الجانب، و يتجه كذلك إلى تصويره في شعرهم، وتوضيح الملامح الشعرية له في هذا العصر وما تأثر به الشعراء من علاقات مكانية وزمانية وغيرها. وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وبابين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

المقدمة: ذكر فيها الكاتب فكرة البحث وأهميته.

التمهيد: أوضح فيه الكاتب مفهوم الوطن اللغوي والاصطلاحي، وما يعنيه الوطن بالنسبة للمواطن، وما يستوجب على المواطن تجاه وطنه.

كما قدم فكرة موجزة عن الوطن في الشعر العربي قديمًا وحديثًا وما يتضمنه من ألوان وما اتخذه من صور، وأشهر الشعراء العرب الذين جعلوا للوطن في أشعارهم نصيبا لا يستهان به.

الباب الأول: تناول فيه تصوير الوطن في الشعر السعودي المعاصر، وجعله في ثلاثة فصول، يبحث الفصل الأول في دلالة تصور الوطن في الشعر، ويبحث الفصل الثاني في صور الولاء، أما الفصل الثالث فيبحث في صور الحنين في الشعر السعودي.

الباب الثاني: خصصه للملامح الشعرية للوطن، وجاء في أربعة فصول، وقف الفصل الأول على المديح والفخر، والفصل الثاني وقف على الغزل، والثالث على الخصوصية، أما الفصل الرابع فقد أفردته للوطن / العلاقات.

ويتكون من العلاقات المكانية: النشأة، والعلاقات الزمانية: الكبر – الذكريات، وعلاقات أخرى: المرأة – السفر – الأصدقاء. ولقد وقف بعد ذلك على بعض النماذج التحليلية.

وفي **الخاتمة** ذكر أهم النتائج التي توصل إليها بعون الله وتوفيقه، والتوصيات التي يوصي بها الباحث، وأعقبها بثَبت بالمصادر والمراجع.

نتائج البحث

توصل الكاتب في بحثه إلى النتائج التالية:

- اشتمل شعر الوطن السعودي المعاصر على أبواب متعددة من الأغراض تتضمن الفخر والمديح والولاء والحنين والغزل.
- استمد شعر الوطن السعودي المعاصر عناصره من القرآن العظيم وأدب النبوة ومنهلهما الصافي ومن تراث العرب الأصيل.
- غلب الاتجاه الاجتماعي في الشعر الوطني السعودي الحديث على الاتجاهات الوطنية الأخرى، فقد دعا شعراؤه مباشرة إلى التقدم والرقي،كما دعوا إلى الأخذ بيد الوطن إلى العلا والتطور، واستنهضوا همم الشباب للفداء والتضحية، كما دعوا لمحاربة الجهل ونشر نور العلم.
- تماسك البناء العام للقصيدة الوطنية، فنجد ارتباط أولها بآخرها نسجًا وفصاحة وجزالة ألفاظٍ، ودقةَ معانٍ، و يرجع ذلك لوحدة الموضوع ووحدة المشاعر.
- تأثر شعر الوطن السعودي الحديث بالبيئة المحلية، فلقد تفاعل الشاعر مع ظروف بيئته الصحراوية وعبر عن أسرارها وسقى بتطلعاته عطشها.
- ابتعد شعر الوطن السعودي المعاصر عن النمطية، واستجاب للحس الحضاري.
- تميزت الصورة في شعر الوطن السعودي الحديث بالإيحاء مؤسِّسة بذلك ذوقًا جديدًا، وذلك استجابة لروح العصر، ولم يَتَأَتَّ لها ذلك إلا بعامل الاطلاع الواسع على روافد من الثقافة الغربية التي ربطت الشعرية بفاعلية الخيال على مرتكزات فلسفية حديثة.
- تطور القافية في شعر الوطن السعودي بحسب أذواق الشعراء المعاصرين وما تستدعيه الموضوعات الشعرية مع تنوع في وظيفتها.. فلم تعد لها نفس الوظيفة الإيقاعية التي نعرفها في الشعر القديم؛ بل أصبحت نابعة من الدفعة الشعورية.
- المحافظة على خصوصية شعر الوطن الحضارية والثقافية حين انتقال الشعراء بجماليات القصيدة العربية من حيزها التقليدي إلى حيز جديد منشئين بذلك خصوصية للإبداع السعودي.
- قدرة الشاعر السعودي المعاصر الواعية على إكساب المكان في شعر الوطن دلالات خاصة من خلال معايشته لهذا المكان.
- استخدام شعراء الوطن الألفاظ الشعبية وتطويعها دون ركاكة، وهذا يعد عاملاً من عوامل ربط أبناء المجتمع بتراثهم.

التوصيات:

وفي ضوء النتائج أوصى الكاتب بما يأتي:

- تكثيف الدراسات حول شعر الوطن السعودي المعاصر بتأليف معاجم شعرية تضم شعر الشعراء الموهوبين ذوي الحس المرهف، والخيال الواسع، والعطاء الجيد، الذين أبدعوا في الفترة الأخيرة في الكتابة عن الوطن ودخلوا آفاقًا حداثية متعددة، محققين بذلك نقلة أدبية في الشعر الوطني.
- الدعوة إلى توسعة نطاق الرؤية الشعرية لدى بعض شعرائنا إذ إن معظمهم يأخذ على عاتقه هموم التجربة المحيطة به دون النظر لهموم الإنسان والوطن.
- الإكثار من المحاولات النقدية الجادة التي تدور حول القصيدة الوطنية الحديثة التي واكبت حركة الحداثة في الشعر العربي الحديث على الرغم من كل التحفظات والهجمات التي تواجهها على الساحة المحلية■

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب الرياض - محمد شلال الحناحنة

الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض محاضرة بعنوان: (الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم)، ألقاها الإعلامي الدكتور عبدالرحمن بن معاضة الشهري الأستاذ في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود، وذلك مساء الخميس ١٤٣٨/٥/٢٦هـ، وقد أدار اللقاء الشاعر الدكتور حبيب بن معلا المطيري، وحضرها حشد كبير من الأدباء والإعلاميين والمثقفين.

وذكر المحاضر عناية المفسرين بالشعر العربي في تفسير الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، مثل ابن عباس ترجمان القرآن الكريم، الذي خصص مجلساً للسؤال عن الشعر، وقد اشتهر مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس مثل تفسير قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ (الآية ٣٥-الرحمن) ما النحاس؟! فأجابه ابن عباس رضي الله عنهما هو الدخان الذي لا لهب فيه. فقال نافع: هل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال نعم، أما سمعت بقول النابغة الجعدي:

يضيءُ كضوء سراج السليـ ـطِ لم يجعل الله فيه نحاساً

وأشار المحاضر إلى أنَ معظم شواهد المفسرين لا تخرج عن الاختيارات المتقدمة للشعر العربي مثل (المفضليات) و(الأصمعيات) ومختارات (الحماسة) المتعددة.

واستحوذت قبيلة تميم على النصيب الأكبر من حيث عدد الشعراء، وعدد الشواهد الشعرية التي استشهد بها في الجاهلية والإسلام ، ثم قبيلة كنانة، ثم بكر ببطونها المختلفة.

واستشهد الطبري بشعر مئة واثنين وعشرين شاعراً جاهلياً في تفسيره، وجاء الشاعر الأعشى في مقدمة شعراء الجاهلية عند الطبري، وقد استشهد له القرطبي في تفسيره بمئة وثلاثين شاهداً شعرياً، وأكثر ابن عطية والزمخشري من الاستشهاد بشعره، ثم يأتي بعد الأعشى بقية الشعراء الجاهليين والإسلاميين كالنابغة الذبياني،

المعنى في التاريخ الأدبي

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض محاضرة بعنوان: (المعنى في التاريخ الأدبي) ألقاها الدكتور صالح بن الهادي رمضان الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وذلك مساء الخميس ١٤٣٨/٠٦/٢٤هـ.

وقد أدار اللقاء الأديب الدكتور وليد قصّاب، وحضره عدد من الأدباء والمفكرين والإعلاميين، ومحبّي ومتابعي الأدب الإسلامي.

تحدث المحاضر عن المعنى في التاريخ الأدبي في وقفات عديدة، فقال: يمكن أن ينحو المرء منحى بلاغيا من عنوان هذه المحاضرة فيتصل بالنظرية البلاغيّة، ويمكن أن ينحو منحى تأويليًّا في التاريخ الأدبي والثقافي العام، وأعني تأويل نصوص بعينها لإعطاء معنى لتاريخ خاص كالسيرة الذاتية الأدبية والفكرية، ولعلنا في الأدب حين نتحدث عن المعنى

وجرير والفرزدق، ورؤبة بن العجاج، وذي الرمّة.

ومن مصادر الشواهد الشعرية في القرآن الكريم: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن مثنى، ومعاني القرآن للفرّاء. وشواهد غريب القرآن لابن قتيبة

وفي الختام، أثارت المحاضرة عدداً من الحوارات والأسئلة والمداخلات التي أجاب عنها الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن معاضة الشهري، شارك فيه الدكتور محمد بن ناصر الشهري، والدكتور يوسف العليوي، والأديب خليل الصمادي، والدكتور جبران سحاري. وعبّر الأديب د.ناصر الخنين عن سعادته الغامرة بالتوأمة بين مركز تفسير والرابطة. وأشاد الناقد الدكتور وليد قصّاب بالمحاضر الدكتور عبدالرحمن الشهري.

وأثنى - أخيراً - الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية على المحاضر معبراً عن إعجابه به، لتمكنه الرّائع من مادّته وموضوعه.

رابطة الأدب الإسلامي في المعرض السابع للكتاب بجامعة جازان

شاركت رابطة الأدب الإسلامي العالمية (في معرض جامعة جازان السابع للكتاب) خلال الفترة من (٦/٢٨) - (١٤٣٨/٧/٨هـ) الموافق (٣/٢٧) - (٢٠١٧/٤/٥م)، فقد خصصت الجامعة مشكورة جناحاً للرابطة لعرض إصداراتها من الكتب النقدية والإبدعية في الشعر والقصة والمسرحية، وكتب الأطفال والناشئين، وأعداد مجلة الأدب الإسلامي.

وشكر الدكتور ناصر بن عبد الرحمن الخنين نائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المملكة كلّاً من مدير جامعة جازان، وعميد شؤون المكتبات، لتيسير مشاركة الرابطة في المعرض، ومنحها جناحا خاصا.

ويقوم عضو الهيئة الإدارية الدكتور أحمد بن يحيى البهكلي بالإشراف على جناح الرابطة، ومتابعة أموره مشكورا مأجورا بإذن الله تعالى.

نلقي الضوء على علم الدلالة الإدراكي. وهندسة الفكر البشري وصلته باللغة.

وأضاف المحاضر أن المعنى يحتاج إلى قوة تدفعه، وهي الغرض، والقصد، وهو قوة القول في الشيء، وأغراض الشعر هي رغبة ورهبة! وغضب وطرب، فتاريخ المعنى هو المسار الذي يسعى المبدع لتحقيقه في نصوصه.

وذكر أن الأغراض عند العرب ذكاء نوعي مثل قول الأصمعي: كفاك من الشعراء أربعة: زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا غضب.

وأثار هذا اللقاء العديد من الأسئلة والمداخلات شارك فيها الأديب الدكتور وليد قصاب، والدكتور فيصل، والدكتور سامي العجلان، والدكتور متعب البدراني، الدكتور محمد غنوم، والدكتور الأديب حيدر البدراني.

وشكر الأديب الدكتور ناصر الخنين نائب رئيس المكتب، الدكتور صالح بن الهادي على محاضرته، وذكر أن المحاضرة مشبعة بالفلسفة والمنطق، وليت المحاضر أشار إلى معاني القرآن الكريم، وهي الأسوة لنا لفظا ومعنى، وهناك بحوث ومؤلفات في مقاصد سور القرآن الكريم، ومن ذلك الزلزلة في توظيف الشرط فيها ودلالات الأفعال، ووظفت المشاهد فيها لتحفيز الناس للعمل ، ولو نظرنا إلى سورة الفاتحة كذلك في تطور معانيها ، فالمبدع يستطيع أن يأخذ المعنى ثم يطوره.

أحمد باجنيد مسيرة إنسان

في ليلة من ليالي الوفاء خصصت ندوة الوفاء أمسية للفقيد الشيخ أحمد محمد باجنيد رحمه الله، قدم لها وأدارها الدكتور عبدالله بن صالح العريني أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام بن محمد بن سعود بالرياض، وكانت بعنوان (أحمد باجنيد مسيرة إنسان) وذلك يوم الأربعاء١٤٣٨/٥/٢٥هـ الموافق ٢٠١٧/٢/٢٢م.

وتحدث في الندوة العلامة السيد عمر بن حامد الجيلاني، عضو مجلس أمناء جامعة الأحقاف، والأستاذ محمد سالم بن علي جابر المدير التنفيذي لموقع الألوكة وصاحب دار الوفاق للدراسات التاريخية والنشر، والدكتور يحيى محمد أبو الخير، أستاذ الجغرافيا في جامعة الملك سعود، و الدكتور محمد أبو بكر حميد الكاتب والأديب المعروف، ثم تحدث الدكتور محمد محمد باجنيد الأخ الأصغر للشيخ أحمد ومدير عام معهد الإدارة العامة بالمنطقة الشرقية، والدكتور عائض الردادي الذي تحدث عن رحلة نادرة له إلى حضرموت بصحبة الشيخ أحمد باجنيد، وذلك عام ١٤٢١هـ، واستعرض بعض المعلومات التي دونها في تلك الرحلة، وشيئاً من ذكرياتها الجميلة ، وختم بما تأكد له من أصالة أخلاق الشيخ أحمد باجنيد وصفاته.

ثم أتاح مدير الندوة المجال للمداخلات التي أخذت أسلوب المواقف وشارك فيها الدكتور رائد الريمي، ثم تحدث الأستاذ شمس الدين درمش عن مواقف للشيخ أحمد مع رابطة الأدب الإسلامي في منحها مقراً لها لسنوات عدة، ودعمه لمؤتمراتها، ثم تحدث الدكتور أحمد أبوبكر، بذكر عدد من المواقف التي كان الشيخ أحمد يعمل لنشر

كتب العلم والمحافظة على كتب التراث، بالإضافة إلى سعيه في كفالة طلاب العلم رغم ظروفه الصحية.

ثم تحدث الأستاذ أحمد عبدالرحمن مصطفى أقدم موظفي الشيخ أحمد باجنيد الحاليين عن التعامل الإنساني والراقي للشيخ أحمد مع موظفيه وعماله، وحرصه على عمل الخير. والدكتور عبدالرحمن باذيب، والدكتور سعيد با إسماعيل والسيد علوي الكاف، والشيخ إبراهيم الفايز، والسيد علوي باهارون، والدكتور عبدالكريم السمك، والشيخ إبراهيم بن عبداللطيف المبارك، بالإضافة إلى قصيدة شعرية من الشاعر أحمد البهكلي، ودعاء من الشيخ عبدالله أحمد بافضل للفقيد يرحمه الله.

وقد كانت كلمة الأستاذ حسين أحمد باجنيد ابن الفقيد هي مسك ختام كلمات تلك الأمسية.

باجنيد في أحدية المبارك

أقامت أحدية الدكتور راشد المبارك رحمه الله ليلة الأحد١٥/٥/١٤٣٨هـ، الموافق ١٢/٢/٢٠١٧م ندوة عن الشيخ أحمد محمد باجنيد عميد ندوة الوفاء رحمه الله، والذي توفي فجر يوم الجمعة ٢٢/٤/١٤٣٨هـ.

وقد توافد محبو الشيخ أحمد باجنيد وأصدقاؤه إلى دارة المبارك فازدحم بهم المكان في حضور كثيف، عكس المكانة التي زرعها الفقيد رحمه الله في قلوب الناس.

وقد أدار الندوة الدكتور يحيى محمد شيخ أبو الخير بمقدمة رائعة عن صفات الشيخ أحمد، ثم توالت الكلمات في التعبير عن صور من مكارمه رحمه الله.

فتحدث السيد العلامة عمر بن حامد الجيلاني، وناب ابنه هاشم عنه بقراءة كلمته، ثم كانت كلمة الأستاذ يحيى محمد باجنيد أخو الفقيد، والدكتور عزالدين عمر موسى، والدكتور محمد أبوبكر بن حميد.

ثم ألقي عدد من قصائد الرثاء لكل من الشاعر حيدر الغدير، والشاعر أحمد الخاني، والشاعر حسين محمد باجنيد، والشاعرة خالدة أحمد باجنيد، والشاعر أيمن أبو مصطفى، والشاعر إبراهيم التركي، والشاعر جميل الكنعاني، والشاعر حيدر مصطفى البدراني.

بالإضافة إلى عدد كبير من المشاركات النثرية ومنهم الأستاذ ضياء الدين بامخرمة سفير جمهورية جيبوتي وعميد السلك الدبلوماسي في المملكة، والسيد محمد بن حسن بن عبيد الله السقاف رئيس مركز بن عبيد الله لخدمة الثقافة والمجتمع بسيؤون، والدكتور عائض الردادي وكيل وزارة الإعلام سابقا، والأستاذ حمد الصغير، والشيخ الداعية محمد أحمد بافضل، والأستاذ عبدالله عمر باوزير، والمهندس أسامة ياسين الفرا. وختمت الكلمات بكلمة مؤثرة لنجل الفقيد المهندس محمد أحمد باجنيد عن والده رحمه الله.

وليد قصاب في ثلاثية بامحسون

أحيا الدكتور وليد قصاب أمسية شعرية وقصصية في ثلاثية الدكتور عمر بامحسون بمدينة الرياض يوم ٨ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ، الموافق للسابع من آذار ٢٠١٧م.

وقد ألقى عددا من القصائد ذات الموضوعات المختلفة، وعددا من قصائده السردية التي كانت على شكل قصة متكاملة العناصر.

وتميزت الأمسية بحضور كثيف وحضور إعلامي متميز، وحظيت القصائد بإعجاب الحضور واستحسانهم. وأدار الأمسية الأستاذ بدر الحسين عضو رابطة الأدب الإسلامي.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

مكتب الأردن يحتفل بتوسعة مقره

مساء يوم السبت الموافق ٢٠١٧/٣/٢٥ أقام مكتب رابطة الأدب الإسلامي في عمَّان، حفلاً خاصاً بمناسبة اكتمال الأعمال الأساسية لتوسعة مقر الرابطة. وقد حضر الحفل لفيفٌ من أعضاء الرابطة وضيوفها وبعض أعضاء الشرف فيها، وقد بُدئ الاحتفال بتلاوة آياتٍ من القرآن الكريم رتلها الدكتور تيسير الفتياني عضو الهيئة الإدارية في الرابطة، وقام الرئيس المكلف لمكتب الرابطة الدكتور عدنان حسونة بالترحيب بالأعضاء والضيوف. واستعرض معهم مسوغات التوسعة والفوائد المترتبة عليها، ومراحل الإنجاز والكُلف المقدرة لها. وأشار بالشكر والتقدير إلى الجهات والأعضاء الذين قاموا بالمساهمة في تمويل مشروع التوسعة.

وخصّ بالذكر المحسن عضو الشرف السيد محمد الإستانبولي، والمكتب الرئيس في الرياض، وبعض

الأعضاء الذين تبرعوا بمبالغ مختلفة لإنجاز هذا المشروع.

وقد قام أعضاء الهيئة الاداريَّة بالمشاركة في توضيح بعض القضايا التي أثارها الإخوة الحضور لتطوير عمل الرابطة، وخصوصاً الاهتمام بالشباب حيث تكرّم عضو الشرف السابق في الرابطة الأستاذ ظاهر محمد عمرو بالتبرع مشكوراً بتكاليف مسابقة شبابية سنويّة تعقدها المكتب الإقليمي للرابطة لهذا الغرض في الأردن. وفي نهاية الاحتفال تجوّل الإخوة الحضور بمرافق وقاعات المكتب وأبدوا إعجابهم بالتوسعة الجديدة.

ابن الفارض سلطان العاشقين

بتاريخ ٢٠١٧/١/١٤م، الموافق يوم السبت كان جمهور رابطة الأدب الإسلامي في عمَّان على موعدٍ مع الإعلامي والأديب الدكتور هشام الدَّباغ للاستماع لمحاضرة بعنوان «ابن الفارض سلطان العاشقين» حيث تطرق في بداية محاضرته للحديث حول الشعر الصوفي، والذي يعدُّ ابن الفارض علماً من أعلامه. وأوضح المحاضر أن ابن الفارض كان شافعي الطريقة والمذهب في الفقه، وقد مال إلى الزهد، ودرس الفقه في الأزهر، ورحل إلى مكة المكرمة، وأقام بعزلةٍ في أحد الوديان القريبة نظم خلالها سلسلة أشعاره في الحب الالهي، والتي تميزت باستخدامه المفرط للمحسنات البديعية والمجاز المحلق في الرمزية والتصور الصوفي.

وتطرق الشاعر والناقد محمد سمحان إلى

الموسيقى الشعرية في أشعار ابن الفارض، وأنها كانت ثمرة بلاغته، وحسن سبكه، وجمال إتقانه. وقد أثارت المحاضرة نقاشاً واسعاً ومداخلاتٍ متنوعة أغنت المحاضرة، وأسهمت في جلاء بعض جوانبها. وقد أدار المحاضرة الدكتور عدنان حسونة الرئيس المكلف لمكتب الرابطة في عمان.

مكتب السودان - الخرطوم

عبد الله الشيخ البشير شاعرا ومربيا

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في السودان في الفترة الماضية مجموعة من البرامج والأنشطة على رأسها ندوة عن الشاعر الكبير عبد الله الشيخ البشير شاعرا ومربيا، كما أنها وضعت برنامجا كبيرا وجد القبول والترحيب في مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية.

فوز مصطفى عطية جمعة بجائزة الطيب صالح العالمية

فاز د.مصطفى عطية جمعة في مسابقة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي (المحور النقدي) الدورة السابعة ، فبراير ٢٠١٧م عن الكتاب الذي تقدّم به في الموضوع المطروح وعنوانه: القرن المحلق الرواية الإفريقية وأدب ما بعد الاستعمار، ثلاثية الروائي الصومالي نور الدين فارح نموذجا.

وقد أقيم حفل التكريم في العاصمة السودانية (الخرطوم، والذي سبقه مؤتمر عن الأدب الإفريقي المعاصر. وقد حضره الرئيس التونسي السابق د.المنصف المرزوقي، وكوكبة من النقاد والمبدعين والصحفيين العرب والأجانب والمستشرقين.

مكتب القاهرة- اللجنة الإعلامية :

مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية

د. سعد أبو الرضا

في يوم الاثنين الموافق ٢٦ ديسمبر ٢٠١٦م، شارك مكتب الرابطة بالقاهرة في مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية بمقر جامعة الأزهر، أسهم في المؤتمر كل من السادة الدكتور سعد أبو الرضا والدكتور صابر عبد الدايم والأستاذة نوال مهنى والأستاذ محمد علي عبد العال والأستاذ فوزي تاج الدين، ولفيف من أعضاء الرابطة بمصر.

ندوة حول ذكرى مولد المصطفى

د. بسيم عبدالعظيم

وفي يوم الجمعة الموافق ٣٠ ديسمبر٢٠١٦م، شارك مكتب الرابطة بالقاهرة مع منتدى الإبداع الثقافي وفرع اتحاد الكتاب بمدينة شبين الكوم في ندوة حول ذكرى مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم، شارك فيها السادة الدكتور سعد أبو الرضا والدكتور زهران جبر والدكتور بسيم عبد العظيم (الذي أصبح رئيس فرع شبين الكوم لاتحاد الكتاب) والدكتور توفيق منصور والشاعر محمد عبد القادر الفقي والأستاذ زينهم البدوي والشاعر محمد حافظ والشاعرة نادية كيلاني والشاعر أحمد عبدالحفيظ ومحيي الدين صالح، أدار الندوة الشاعر أحمد بسيوني رئيس منتدى الإبداع الثقافي بشبين الكوم (المنوفية).

أمسية شعرية

د. صابر عبدالدايم

وفي يوم الاثنين الموافق ٢٣ يناير ٢٠١٧م، أقامت الرابطة أمسية شعرية شارك فيها عدد كبير من شعراء القاهرة، أدار الأمسية الشاعر الدكتور صابر عبدالدايم، وعقب على الشعراء الدكتور سعد أبو الرضا.

حصاد الوهم

د. زهران جبر

وفي يوم الاثنين الموافق ١٣ فبراير ٢٠١٧م، كان اللقاء مع الدكتور زهران جبر حول ديوانه الحديث الموسوم بـ(حصاد الوهم) حيث تمت مناقشة الديوان بعد قراءة بعض النماذج من محتوى الديوان قام بها الدكتور زهران، أدارت الندوة الشاعرة نوال مهنى التي بدأت بتقديم الشاعر ونبذة عن مشوار حياته الأدبية، ثم تناول الدكتور سعد أبو الرضا الديوان في دراسة نقدية شبه فيها زهران بالمتنبي في بعض مواقفه وبلاغته واعتزازه بنفسه وتفرده، مشيرا إلى صبر الدكتور زهران وصموده وحرصه على لغته ومفرداته، كما تناول مدلول مقدمة الديوان مشيرا إلى أنه بدأ الديوان بقصيدة فيها توبة مما يوضح البعد الإسلامي في الديوان، وتناول أيضا الرمزية وكثرة الأفعال المتجذرة والحوار والواقعية في قصائد الديوان، وعلق الناقد الأدبي محمد جافور مقارنا بين الدكتور زهران والشاعر العباس بن الأحنف، وكيف أن الشاعرين دارا في فلك واحد.

جدير بالذكر أن هذا هو الديوان الثاني للدكتور زهران جبر، حيث صدر له من قبل ديوان (قبض الريح) فيه قصيدة نونية من (٦٢٥) بيتاً من الشعر الموزون المقفى، مما يدل على سعة قاموسه اللغوي وتمكنه من نواصي الشعر، وله تحت الطبع ديوان (السراب).

منظومة الأدب الإسلامي

د. صلاح عدس

في يوم الاثنين الموافق ٢٧ فبراير ٢٠١٧م، أقام مكتب الرابطة بالقاهرة ندوة حول كتاب عنوانه (منظومة الأدب الإسلامي) للدكتور صلاح عدس (عضو الرابطة) حضرها عدد كبير من أعضاء الرابطة والضيوف، حيث قامت الشاعرة نوال مهني (رئيسة جمعية الأدب الإسلامي) بتقديم الضيف، والإشارة إلى جهوده في مجال الأدب الإسلامي وكتاباته في الصحف المصرية منافحا عن الأدب الإسلامي وفكره ورموزه.

تحدث الدكتور صلاح عن المعركة الأدبية التي لم تنته بعد بين الأدب الإسلامي من ناحية، ومن يريدون هدم اللغة الفصحى من ناحية أخرى، وتحدث عن العلاقة بين الأدب والدين.

وقدم الدكتور سعد أبو الرضا دراسة وافية عن كتاب (منظومة الأدب الإسلامي) مشيرا إلى أن الدكتور صلاح عدس تناول الموضوع بإيجاز شديد فيما يتعلق بالمفاهيم والمصطلحات الفنية، وأنه يوازن بين ما سبق وبعض المفاهيم الغربية في عجالة وكانت تحتاج إلى تفصيلات كثيرة، كما أشار د.سعد إلى أن د.صلاح عدس تحدث عن الشعر والتصوف وكذلك شعراء أهل البيت، وموازنته بين نجيب الكيلاني ونجيب محفوظ حيث فضل الأول على الثاني.

وعلق د.سعد على مجمل الكتاب قائلا: إن الكتاب ثري بما أثاره وناقشه من قضايا الأدب الإسلامي، وأثنى على جهود د.صلاح عدس في هذا المضمار.

وقدم الدكتور زهران جبر مداخلة حول الكتاب وأهميته وتوقيت صدوره المناسب، كما قدم الأستاذ فريد إبراهيم مداخلة مثمرة حول الموضوع ذاته، وفي نهاية الندوة قدم بعض الشعراء قصائد متنوعة في أمسية شعرية أدارتها الشاعرة نوال مهني.

حركة الأدب الإسلامي في الجزائر

د. محمد بلقاسم بن جيدل

وفي يوم الاثنين الموافق ١٣ مارس ٢٠١٧م، كان اللقاء مع الدكتور محمد بلقاسم بن جيدل (عضو الرابطة) حول حركة الأدب الإسلامي في الجزائر، أدار الندوة الدكتور صابر عبد الدايم، حيث رحب بالضيف وقدم تعريفا موجزا عنه وعن نشاطه الأدبي، وأوضح له جانبا من نشاط مكتب القاهرة في هذا المجال.

وتحدث الضيف عن سعادته الغامرة لوجوده في القاهرة وتواصله مع مكتب مصر، وأشار إلى أن مصطلح (النقد الأدبي الإسلامي) أشمل من المصطلحات الأخرى التي يروج لها بعض النقاد.

وعقب الدكتور صابر وقال: إننا بهذا نطمئن على حركة الأدب الإسلامي في الجزائر الشقيق، كما علق الدكتور سعد أبو الرضا على الاقتراض في النقد الأدبي، وقال الشاعر محمد علي عبد العال: إن كل أدب أخلاقي يعد أدبا إسلاميا، وأبدى الدكتور بن جيدل وجهات النظر المتداولة حول نظرية النقد الأدبي الإسلامي.

وأقيمت أمسية شعرية بعد الندوة شارك فيها عدد من شعراء الرابطة والضيوف.

كتب وصلت

- جهود نقاد رابطة الأدب الإسلامي في نقد الشعر العربي المعاصر، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م، وهي رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد الأدبي، للباحث عادل إبراهيم العدل، نوقشت في كلية الآداب بجامعة بنها، في مصر، بإشراف الأستاذ الدكتور سعد أبو الرضا.
- زمن الغربة- النيل لا طعم له، د.حلمي محمد القاعود، دار الوادي بالقاهرة، ط١، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.
- لسان الضاد، ديوان، د.عودة أبو عودة، دار المأمون للنشر، عمان الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
- ما أقول لكم (الصحف الأخرى)، د.حسن المراني، مطابع الأحمدية، وجدة، المغرب، ط١، ٢٠١٦م.
- أسلوبيات دراسات نظرية وتطبيقية، د.سعد أبو الرضا، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، القاهرة، مصر.
- منظومة الأدب الإسلامي، د.صلاح عدس، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٦.
- سوق الكلام، للأديب والناقد د.مصطفى عطية جمعة، دار النسيم للطباعة والنشر، بالقاهرة، كتاب في الإبداع المسرحي، ط١، ٢٠١٧م.
- عصارة قلم، محمد المبارك، خواطر وقصص قصيرة جدا، ط١، ١٤٣٨هـ،

الأحساء، السعودية.

■ أنفاس العشي، ديوان، د.حبيب بن معلا اللويحق، في سلسلة إصدرات النادي الأدبي بالأحساء، رقم (١٥)، ط١، ١٤٣٧هـ.

■ صدرت خمس قصص جديدة للأطفال، للدكتور وليد قصاب، عن دار رواية في لندن، ط١، ٢٠١٧م، وهي:
- الوفاء.
- الحمار والحصان
- من قطرات يتشكل بحر.
- درس العصفور.
- الكذاب.

■ ثلاث قصص (تأليف مشترك) رضا الزواوي، ومحيي الدين سليمة، من قصص الأطفال، عن دار الهدى للنشر والتوزيع بالرياض، السعودية:
- اختفاء الوزير.
- أبشري يا أم جمانة.
- نهاية الوحش

■ الكلب الوفي، قصة تعليمية، رضا الزواوي.

■ روضة الأناشيد أناشيد الحروف، تعليمي، رضا الزواوي.

■ محمود مفلح شاعر وقضية، أوراق اليوم الدراسي، رئيس اليوم الدراسي: أ.د. كمال أحمد غنيم، مؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع، والرابطة الأدبية، مركز العلم والثقافة.

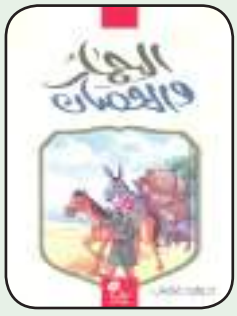

كلمة الأدب ودلالاته

د. عبدالباسط بدر

عندما يبحث الدارسون دلالة كلمة الأدب، يرجعون إلى أصول لغوية قديمة، ويستشهدون بعبارات مأثورة وأبيات من الشعر وردت فيها كلمة الأدب بمعان مختلفة، تبدأ بإطعام الطعام، حيث يقال: أدب فلان أي أقام مأدبة وأطعم فيها ضيوفاً، وتمر بالمعاني الأخلاقية التعليم والتهذيب، وتنتهي إلى الدلالة الاصطلاحية التي تعني البليغ من القول شعراً أو نثراً. ولا شك أن ثمة قاسماً مشتركاً بين المعاني المتعددة والمتباينة لكلمة الأدب، هذا القاسم يتضمن السمو والقيم والعطاء، سواء في البذل للآخرين، أو في الخلق الرفيع، أو في الجمال البياني، وهذا ما يجعل الأدب عند العرب في أحدث دلالاته لا يبتعد عن القيم الفاضلة، أو هذا ما يفترض أن يكون عليه.

وعندما تمازجت العربية بالإسلام، فأنزل الله سبحانه وتعالى قرآنه الكريم ببيان عربي معجز، تلبست اللغة العربية بالقيم الإسلامية، وصارت مقاييس الرفعة فيها تستند إلى القيم الأساسية الراسخة في شريعة الله السمحة، والتي جاءت - كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم - متممة لمكارم الأخلاق. لذلك لم يكن غريباً أن يقوم مصطلح الأدب على الجمع بين رفعة المضمون وجمالية الصياغة، وأن يشتد التداخل والتمازج بين الإبداع البياني والقيم الإسلامية الرفيعة، وأن تظهر مؤلفات تجمع بين هذين الأمرين، ومن هذه المؤلفات كتاب عبدالله بن المقفع: الأدب الصغير والأدب الكبير.

وأياً ما كانت الحقيقة؛ فالكتاب في يقيني كتاب أدب بامتياز، وفي الوقت نفسه كتاب أخلاق وقيم رفيعة، تطلّع المؤلف إلى أن تكون من أسس الشخصية المسلمة والمتفوقة. أما أنه كتاب أدب فلأسلوبه الأدبي السلس الجميل، وعباراته الشفيفة العذبة، وتشبيهاته الصائبة المقنعة، وأما أنه كتاب قيم وأخلاق فلحرصه على توجيه المتلقين بالتزود بأفضل ما يبني الشخصية المسلمة المتوازنة والمتميزة بسلوكها الأمثل، وحكمتها العالية وثقافتها الواسعة.

يبين ابن المقفع أهمية الأدب باعتباره تهذيباً للنفوس وتزكية للعقول فيقول: **«للعقول سجيات وغرائز بها تقبل الأدب، وبالأدب تسمو العقول وتزكو، فكما أن الحبة المدفونة في الأرض لا تقدر أن تخلع يبسها، وتظهر قوتها، وتطلع فوق الأرض بزهرتها وربيعها ونضرتها ونمائها إلا بمعونة الماء الذي يغور إليها في مستودعها، فيذهب عنها أذى اليبس والموت، وتحدث لها بإذن الله القوة والحياة، فكذلك سليقة العقل مكنونة في مفرزها من القلب، لا قوة لها، ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الأدب الذي هو ثمارها وحياتها ولقاحها»**.

ويؤكد ابن المقفع نظريته في الاستفادة من إبداع السابقين بإقراره بنفسه أنه سلك هذا السبيل، فوضع في كتابه غير قليل مما أخذه من الآخرين، وخاصة مادار على ألسنة الناس من الحكم والأمثال ولباب الأدب، يقول: **«وقد وضعت في هذا الكتاب - الأدب الصغير والأدب الكبير- من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصقالها، وتجلية أبصارها، وإحياءٌ للتفكير، وإقامة للتدبير، ودليلٌ على محامد الأمور، ومكارم الأخلاق؛ إن شاء الله»**.

وبعد: فقد طوَّف ابن المقفع في كتابه في آفاق واسعة من عناصر بناء الشخصية المتوازنة، وحرص على أن تستند إلى القيم الإسلامية العالية، وسلك في عرضه مادة الكتاب أسلوباً نثرياً سلساً غنياً بالتشبيهات والصور المعبرة عن الفكرة تعبيراً واضحاً، فاجتمعت فيه عناصر رئيسة للأدب الإسلامي، الذي يحمل الفكرة والفائدة والقيم العالية في الدين والأخلاق، والبيان الأدبي العذب■

من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

(المجموعة الثانية)

من إصدارات
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
(المجموعة الأولى)

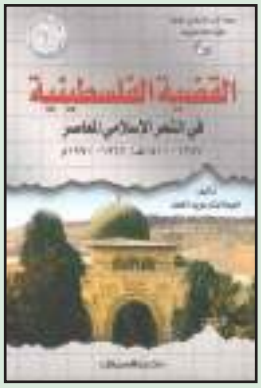

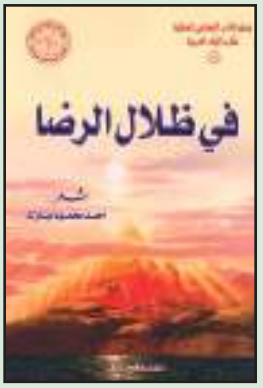

من إصدارات

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

سلسلة أدب الأطفال